عجائب المقدور في أخبار تيمور

كتاب عجائب المقدور فى أخبار تيمور
للفاضل الأديب الكامل الأريب
وحيد عصره وفريد دهره أقضى
القضاة شهاب الدين أحمد بن محمد بن
عبد الله الدمشقى الانصارى
المعروف بابن عربشاه
طاب الله ثراه
آمين

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الحمد لله) الذى على منوال ارادته وتدبيره تنسج مقاطع الامور ومن ينبوع قضائه الى لجج قدره تجرى تيار الاعصار والدهور اذاق بنى آدم بأس بعض ليبلوهم أيهم أحسن عملا وهو العزيز الغفور وأرسل عليهم فى القرن الثامن من الهجرة جوارف آفات كقطع من الليل المظلم لم يدر أحد ما هى فاذا هى تيمور (أحمده) حمد من كان على شفا جرف من نارها فانقذه منها وشكره شكر من ورطه فيها عدله فانجته ايادى فضله عنها (وأشهد) أن لا اله الا هو الحكم العدل الذى يقتص للمظلوم من الظالم يوم الفصل (وأشهد) أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذى أرسله رحمة للعالمين وجعله رسول الله وخاتم النبيين فاخبر صلى الله عليه وسلم عن السر المصون ونبأ بما كان فى الازل وبما يكون الى يوم يبعثون واستعاذ من غلبة الدين وقهر الرجال ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال صلى الله عليه صلاة تذكى المسك الاذفر فى صدور المكاتب والتواريخ وتدنى لقائلها فى يوم الجزاء ثمرات الحسنات من أعلى

النهار يخ وعلى آله وصحبه الذين أفاضوا سيول الفتح في الأقاليم فعمروها وشيدوا أركان الإسلام وأثاروا الأرض بالإيمان وعمروها بالعدل والإحسان أكثر مما عمروها وسلم تسليما كثيرا دائما أبدا كثيرا (أما بعد) فلما كان في التواريخ عبرة لمن اعتبر وتبصرة لمن افتكر وإعلام أن قاطن الدنيا على سفر واستحضار لصورة حال من مضى وغبر كيف قدر واقتدر ونهى وأمر وبغى وعمر وختل وختر وغلب وقهر وكسر وجبر وجمع وادخر وتكبر وتجبر وكيف عبس وبسر وضحك واستبشر وتقلب في أطواره من الطفولية الى الكبر الى أن تلقته أيدي العبر واختطفته وهو آمن مما يكون مخاليب القضاء والقدر فخالط ما صفا من عيشه الكدر وتنغص حتى ذهب منه ما حلا ومر ان في ذلك لعبرة لمن اعتبر وتذكرة لمن ادكر وتبصرة لمن استبصر (وكان من أعجب القضايا) بل من أعظم البلايا الفتنة التي يحار فيها اللبيب ويدهش في دجى حندسها الفطن الأريب ويسفه فيها الحليم ويذل فيها العزيز ويهان الكريم (قصة تيمور) رأس الفساق الأعرج الدجال الذي أقام الفتنة شرقا وغربا على ساق أقبلت الدنيا الدنية عليه فتولى وسعى في الأرض ليفسد فيها وأهلك الحرث والنسل وتيمم حين همه النجاسة الملكية صعيد الأرض فغسل بسيف الطغيان كل أغر محجل فتحققت نجاسته بهذا الغسل أردت أن أذكر منها ما رأيته وأقص في ذلك ما رويته اذ كانت احدى الكبر وأم العبر والداهية التي لا يرضى القضاء في وصفها بذا القدر والله أسأل إلهام الصدق وسلوك طريق الحق انه ولي الاجابة ومسدد سهم المرام الى غرض الاصابة وهو حسبي ونعم الوكيل

(فصل في ذكر نسبه وتدريج استيلائه على الممالك وتغلبه)

(اسمه تيمور) بتاء مثناة مكسورة فوق وياء ساكنة مثناة تحت وواو ساكنة بين ميم مضمومة وراء مهملة هذه طريقة املائه وفي التصريف زنة بنائه لكن كثرة الالفاظ الاعجمية اذا تداولتها صولجانات اللغة العربية خرطتها في الدوران على بناء أوزانها ودحرجتها كيف شاءت في ميدان امانها فقالوا في هذا تارة تمور وأخرى تمرلنك ولم يحجر عليهم في ذلك حرج ولا ضنك وهو بالتركي الحديد ابن ترغاي بن ابغاي ومسقط رأس ذلك الغدار قرية تسمى خواجه ايلغار وهي من أعمال الكش

فأبعدها الله من وحش والكش مدينة من مدن ما وراء النهر عن سمرقند نحو من
ثلاثة عشر شهرا قيل رؤي ليلة ولد كأن شيئا يشبه الخوذة تراءى طائرا في عنان الجو
ثم سقط إلى فضاء الدو ثم انبث على الأرض وانتشر وتطاير منه مثل الجمر والشرر
وتراكم حتى ملأ البدو والحضر وقيل لما سقط إلى الأرض ذلك السقيط كانت
كفاه ملوأتين من الدم العبيط فسألوا عن أحواله الزواجر والقافه وتفحصوا عن
تأويل ذلك من الكهنة وأهل العيافه فقال بعضهم يكون شرطيا وقال بعضهم
ينشأ لصا حراميا وقال قوم بل قصابا سفاكا وقال آخرون بل يصير جلادا بتاكا
وتظافرت هذه الأقوال إلى أن آل أمره إلى ما آل وكان هو وأبوه من الفدادين
ومن طائفة أوباش لا عقل لهم ولا دين وقيل كان من الحشم الرحاله والأوباش
البطاله وكان ما وراء النهر مأواهم وتلك الضواحي مشتاهم وقيل كان أبوه
إسكافا فقيرا جدا وكان هو شابا حديدا جلدا ولكنه لما كان به من القلة يتجرم
وبسبب تلك الإضرام يتضرر ويتضرم ففي بعض الليالي سرق غنمة واحتملها فضربه
الراعي في كتفه بسهم فأبطلها وثنى عليه بأخرى في فخذه فأخطلها فازداد كسرا
على فقره وإقداما على شره ورغبة في الفساد وحنقا على العباد والبلاد وطلب له
في ذلك الأضراب والنظراء وعشي عن ذكر الرحمن فقيض له من الشياطين القرناء
مثل عباس وجهانشاه وقماري وسليمان شاه وايدكو تيمور وجاكو وسيف
الدين نحو أربعين لا دنيا لهم ولا دين وكان مع ضيق يده وقلة عدده وعدده وضعف
بدنه وحاله وعدم ماله ورجاله يذكر لهم أنه طالب الملك ومورد ملوك الدنيا
موارد الهلك وهم في ذلك يتناقلون عنه هذا النقل وينسبونه إلى كثرة الحماقة وقلة
العقل ويدنونه منهم ويقبلون إليه ليسخروا منه ويضحكوا عليه شعر

إن المقادير إذا ساعدت * ألحقت العاجز بالحازم

فشرع فيما يقصده والقضاء يرشده والقدر ينشده

لا يؤيسنك من مجد تباعده * فإن للمجد تدريجا وتدريبا
إن القناة التي شاهدت رفعتها * تنمو فتنبت أنبوبا فأنبوبا

وكان في بلد الكش شيخ يسمى شمس الدين الفاخوري وهو معتقد تلك البلاد
وعليه لكل من قصده بأمر من أمر الدين والدنيا الاعتماد فذكر أن تيمور وهو

فقير عاجز بين عزمه وهمه وذل ناجز لم يكن له سوى ثوب قطن واله باعه واشترى
بثمنه رأس ماعز وقصد به الشيخ المشار اليه وعول فيما قصده عليه وقد ربط بطرف
حبل عنق ذلك العناق وربق عنق نفسه بالطرف الآخر من ذلك الرباق وجعل
يتمشى على عمى من جريد حتى دخل على ذلك الشيخ المفيد فصادفه وهو
والفقراء مشغولين بالذكر مستغرقين فيما هم فيه من الوجد والفكر فلا زال
قائما حتى أفاقوا من حالهم وسكتوا عن مقالهم فلما وقع نظر الشيخ عليه سارع
الى تقبيل يديه وانكب على رجليه فتفكر الشيخ ساعة ثم رفع رأسه الى الجماعة
وقال كان هذا الرجل بذل عرضه وعروضه واستدناني طلب لا ما يساوي عند الله
تعالى جناح بعوضة فترى ان نمده ولا نحرمه ولا نرده فامدوه بالدعاء اسعافا لما
طلبه فاشبهت قضيته قضية ثعلبه ورجع من عند الشيخ وخرج وعرج بعد
ما عرج الى ما عرج وقيل انه كان في بعض تعرماته فضل الطريق صورة كما ضلها
معنى وسيره وكاد يهلك عطشا وجوعا وسار على ذلك اسبوعا فوقع في اثناء ذلك
على خيل السلطان فتلقاه الجشار باللطف والاحسان وكان تيمور يعرف
خصائص الخيل بسماتها ويفرق بين نجابتها وهجنتها بمجرد النظر الى هيآتها فاطلع
الجشار على ذلك منه وأخذه لذلك عنه وزاد فيه رغبته وطلب منه دوام الصحبة
وجهزه الى السلطان مع افراس له طلبها منه وأخبره بفضيلته وما شاهده منه فانعم
السلطان عليه ووصى به الجشار ورده اليه فلم يلبث الجشار أن مات فتولى تيمور
وظيفته ولا زال يترقى عند السلطان حتى تزوج شقيقته ثم انه قاضبها في بعض
مكالمته ومقاله فعيرته بما كان عليه من أول أمره وحاله فسل السيف وعلاها على
أم رأسها من بين يديه فلم تكترث به ولم تلتفت اليه فضربها ضربة أزهق بها نفسها
وأسكنها رمسها ثم لم يسعه الا الخروج والعصيان والتمرد والطغيان الى ان كان
من أمره ما كان وكان السلطان اسمه حسين وهو من بيت الملك ونافذ الكلمة في
وتحت ملكه مدينة بلخ وهي من أقصى بلاد خراسان ولكن كانت احكامه وأوامره
جارية في ممالك ما وراء النهر الى أطراف تركستان وقيل كان أبوه أمير مائة عند
السلطان المذكور وهو بالجلادة والشهامة بين اضرابه مشهور ويمكن الجمع بين
هذه الاقاويل باعتبار اختلاف الزمان وتنقل الاحوال والحدثان والاصح ان

أباه ترغاي المذكور كان أحد أركان دولة السلطان ورأيت في ذيل تاريخ فارسي يدعى المنتخب وهو من بدو الدنيا الى زمان تيمور وهو شيء عجيب نسبا يتصل منه تيمور الى جنكيز خان من جهة النساء حبائل الشيطان ولما استولى تيمور على ما وراء النهر وفاق الاقران تزوج بنات الملوك فزادوه في القابه كوركان وهو بلغة المغول الختن لكونه صاهر الملوك وصار له في بيتهم حركة وسكون وكان للسلطان المذكور من الوزراء أربعة عليهم مدار الحضرة والمنعة هم أعيان الممالك وبرأيهم يقتدي السالك والترك لهم قبائل وشعوب تكاد توازي قبائل العرب وكان واحد من هؤلاء الوزراء كان من قبيلة اسراج أرائه في بيوت تعبيرها فتيلة طويلة قبيلة أحدهم تسمى ارلات وقبيلة الثاني تدعى جلاير وقبيلة الثالث يقال لها قاوجين وقبيلة الرابع اسمها برلاس وكان تيمور ابن رابعهم في الناس فنشأ شابا نبيها مقداما حازما حاذقا أريبا وكان يصاحب نظراءه من أولاد الوزراء ويعاشر أضرابه من فتيان الامراء الى ان قال لهم في بعض الليالي وقد اجتمعوا في مكان خال وأخذت منهم العشرة والنشاط وارتفعت أستار الاسرار وامتد للبسط بساط ان جدتي فلانة وكانت من ذوي القيافة والكهانة رأت مناما ماذاقت منه أحلاما وعبرته بانه يظهر لها من الاولاد والاحفاد من يدوخ البلاد ويملك العباد ويكون صاحب القران وتذل له ملوك الزمان وذلك هو انا وقد قرب الوقت ودنا فعاهدوني ان تكونوا الى ظهرا وعضدا وجناحا ويدا وان لا تستخذلوا عني أبدا فاجابوه الى ما دعاهم اليه وتعاهدوا ان يكونوا في السراء والضراء معه لا عليه ولم يزالوا يتجاذبون اطراف هذا الكلام في كل مقام ويتفاوضون فيه عند بريق الغدر من غير احتشام واكتتام حتى أنس برقه قاطن كل مصر وشام وخاض في حديثه كل قديم جبرة من خاص وعام وشعر به السلطان وعلم ان غرس خلافه في دوح المملكة بان فاراد أن يرد كيده في نحره ويريح الدنيا من شره والعباد والبلاد من عاره وعره ويعمل بموجب ما قيل

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى * حتى يراق على جوانبه الدم

فاخبره بذلك بعض الناصحين فخرج وهو الى حضيض العصيان وهو سالم فعرج ويحكى انه في بعض هذه الاوقات واثناء هذه الحالات توجه الى الشيخ شمس

الدين

الدين المشار اليه واعتقده كما ذكر فيما عولت عليه فانه كان يقول جميع ما نلته من
السلطنة وفتحته من مستغلقات الامكنة انما كان بدعوة الشيخ شمس الدين
الفاخوري وهمة الشيخ زين الدين الخوافي وما لقيته من بركة الا بالسيد بركه
وسيأتي ذكر زين الدين وبركه ثم قال تيمور ما فتحت أبواب السعادة والدولة على
ولا خمدت شمعتي من فتوحات الدنيا الى الامير سهام سجستان ومن حين أصابني
ذلك النقصان آنا فآنا الى هذا الزمان والظاهر ان مبدأ أمره ونمو جده في تلك
الفتنة كان فيما بين الستين والسبعين والسبعمائة وقال لي شيخي الامام العالم
العامل الكامل المكمل الفاضل فريد الدهر وحيد العصر علامة الورى أستاذ
الدنيا علاء الدين شيخ المحققين والمدققين قطب الزمان مرشد الدوران أبو عبد
الله محمد بن محمد البخاري نزيل دمشق أدام الله تعالى أيام حياته وأمد الاسلام
والمسلمين ببركاته في شهور سنة ست وثلاثين وثمانمائة ان تيمور قتل
السلطان حسينا المذكور في شعبان سنة احدى وسبعين وسبعمائة ومن ذلك الوقت
استقل بالملك وكانت وفاته في شعبان سنة سبع وثمانمائة على ما سيأتي فمدة استيلائه
مستقلا ست وثلاثون سنة وذلك خارج عما تقدم من خروجه وتحزبه الى حين استيلائه
ولما خرج هو ورفقاؤه يتحرمون في بلاد ما وراء النهر ويعاملون الناس
بالعدوان والقهر فتحرك لدفعهم كل ظاعن وساكن وضيقوا عليهم تلك المغاني
والاماكن فقطعوا جيحون وعسر عليهم ذلك المكان فاشتغلوا بالجرم في بلاد
خراسان خصوصا في ضواحي سجستان ولا تسأل عما أفسد في فدافد خراسان
ومفاوز باورد وماخان فذهب بعض الليالي وقد أضر بهم السغب واشتغل فيهم من
الجوع اللهب فدخل حائطا من حوائط سجستان قد أوى اليه بعض رعاة الضان
فاحتمل منها رأسا وأدبر فشعر به الراعي وأبصر فاتبعه بالطعن وضربه بسهمين
أصاب بأحدهما فخذه وبالآخر كتفه فلله در ساعد الذي أبطل بهذا الضرب الموزون
نصفه ثم أدركه واحتمله الى سلطان هراة المسمى ملك حسين أوصله فبعد ضربه
أمر بصلبه وكان للسلطان ابن رأيه فيرمتين يدعى ملك غياث الدين فشفع فيه
واستوهبه من أبيه فقال له أبوه انه لم يصدر منك ما يدل على صلاحك ويسفر عن
نجابتك وفلاحك وها اجتنائي سرامي مادة الفساد لئن أبقي لهلك العباد والبلاد

فقال ابنه وما عسى ان يصدر من نصف آدمي وقد أصيب بالدواهي ورمي ولا شك ان أجله قد اقترب فلا تسكرن في موته السبب فوهبه اياه فوكل به من داواه الى ان اندمل جرحه وبرئ قرحه فكان في خدمة ابن سلطان هراة من أعقل الخدم واضبط الحكماء فتوفرت عنده حرمته وارتفعت درجته وسمعت كلمته فعصى من نواب السلطان نائبه المتولي على سجستان فاستدعى تيمور أن يتوجه اليه فاجابه الى ذلك وعول عليه وأضاف اليه طائفة من الاعوان فوصل الى سجستان وقبض على نائبها المتمادي في الطغيان واستخلص أموال تلك البلاد وأخذ من أطاعه من الاجناد وتلا آية العصيان بالجهر وارتحل بمن معه الى ماوراء النهر (وقيل) بل كان في خدمة ابن السلطان الى ان ودع أبوه الحياة وانتقل واستقر ولده في الملك واستقل فعند ذلك هرب تيمور الى ماوراء النهر وقد قوي منه الرأس والظهر وكان اذ ذاك قد اجتمع عليه رفقاه وانحاز اليه أصحابه المتحزبون وعشراؤه فارسل غياث الدين الطلب وراءهم وقصد ان يكفي المسلمين شرهم وعناءهم وهيهات فقد كان سبق العذل السيف وضيع اللبن في الصيف

(ذكر عبور تيمور جيحون على فتره وما جرى من العبرات بهذه العبره)

فوصل تيمور وجماعته الى جيحون وكان اذ ذاك مثلهم طاغيا ولم يمكنهم التواني لان الطلب كان خلفهم ساعيا فقال تيمور لاصحابه النجاء النجاه ليتعلق كل منكم بعنان فرسه ومعرفته وليلق نفسه في الماء وتواعدوا الى المكان وقال توجهوا من شيرتوان فمن لم يأت الموعد يعلم أنه قد فقد فتهافتوا هم وخيولهم في ذلك الماء العجاج والتيار الزخار والامواج تهافت الفراش على السراج ولم يعلم واحد منهم حال الآخر ولا اطلع من تقدم منهم على أمر من تأخر وكابدوا أهوال الموت وشاهدوا أهوال الفوت فنجوا ولم ينقص منهم أحد واجتمعوا الى ذلك الموعد وذلك بعد ان أمنت منهم البلاد واطمأن في ممالكها كل رائح وغاد فجعلوا يتجسسون الاخبار ويتتبعون الآثار ويحاربون الله ورسوله ويؤذون عباده ويقطعون سبيله ولم يزل على ذلك يجري ويمشي الى ان وصل مدينة قرشي

(ذكر ما جرى له من الخطبه في دخوله الى قرشي وخلوصه من تلك الورطه)

فقال

فقال يوما لاصحابه وقد أضر به الدهر واضرى به وانغمس منهم ربع الفساد
واعشب ان بالقرب منا مدينة نخشب مدينة أبي تراب النخشبي رحمة الله عليه
مدينة مصونة مسورة مكنونة ان ظفرنا بها تمكنا ظاهرا وملاذا وملجأ
ومعاذا وانها كهاموس لو حصلناه وأخذنا ماله وقتلناه لتقوينا بماله من
خيول وعدد وحصل لنا الفرج بعد الشدة وأنا أعلم طاعن عن الحاضر باهون
الوصول واسهل حبائل الشمر واذيالهم وتركوا في مكان خيلهم واستعملوا في نيل
مرادهم ايديهم ودخلوا حين المدينة وقصدوا بيت الامير ورفعوا أيديهم فصادفوا
بيتهم بالحصن وكان الامير في البستان خارج البلد فاخذوا ما وجدوا له من أسلحة
وعدد وركبوا خيله وقتلوا من وجدوا من الا كارة له فاجتمع عليهم اهل البلد
وارسلوا الى الامير فادركهم بالمدد فتراكم عليهم البلاء باطنا وظاهرا فلم يجدوا لهم
سوى الاستسلام ناصرا فقال له أصحابه لقد ألقينا بأنفسنا الى تهلكة الهلاك من
هذا الجار فقال لا عليكم في مثل هذه المواطن تمتحن الرجال ويراز فاجمعوا كيدكم
ثم ائتوا صفا واندفعوا نحو باب المدينة يدا واحدة زحفا حاطمين على العدو من
غير توان ولا هدو فاني أظن أنه لا يثبت لكم شيء ولا يقف امامكم حي فامتثلوا أمره
ورفعوا الصوت وقصدوا الباب خائضين غمار الموت وهجموا على العساكر هجوم
الليث واندفقوا اندفاق الغيث ففتح لهم عند فتح الباب لامر يريده مسبب
الاسباب فلم يلوا امامهم أحدا على أحد ولا نفعهم ما عوقبوا به من العدد والعدد ثم
انثنوا الى مكانهم سالمين ولم يزالوا على ذلك ماثقين غانمين واجتمع عليهم أصحابهم
وانحاز اليهم في الفساد أضرابهم فصاروا نحوا من ثلاثمائة ودب يتعبر اليهم من
أهل الشر فئة فارسل اليهم السلطان عسكرا غيره كثرتهم فكسروه واستولوا على
حصن من الحصون فجعلوه معقلا لكل ما ادخروه شعر

لا تحقرن شأن العدو وكيده * فلربما صرع الاسود الثعلب

(وقيل) * ان البعوضة تدمي مقلة الاسد *

(وقيل) * ولربما قتلت بالبيدق الشاه *

﴿ذكر من أسرى فتنة ذلك الباغي واستعبد من أحرار ملوك الاطراف﴾

وأرسل تيمور الى ولاة بلخشان وكانت الولاة بها الاخوين توءما واستقلالا تلقيا

ذلك من أبيهما وكان السلطان نزعهما من أيديهما ثم أقرهما فيهما على أن يكونا من
تحت أمره واسترهن أولادهما عنده فصار أسيرى قهره فلما راسلهما تيمور على
طاعته أجاباه ودخلا تحت كلمته

﴿ذكر نهوض المغل على السلطان وكيف تضعضعت منه الاركان﴾

ثم ان المغول نهضت من جهة المشرق على السلطان حسين فاستعد لهم وقطع جيحون
ووقع الحرب بين الجهتين فانكسر السلطان فراسلهم أيضا ذلك الجبان واسم
حاكمهم قمر الدين خان فأجابوا مراده واتفقوا على ما أراده وسلطوه على السلطان
ليستخلص من يده بلاده وواعدوه بمظاهرتهم وأمدوه بمظاهرتهم ورجعوا الى
بلادهم وقد أسلموه زمام قيادهم فقويت بذلك شوكته وسكنت القلوب هيبته
فلم يسع السلطان الا بذل الجهد والامكان فى اطفاء نائرته وقطع دابرته فجعله
نصب عينيه وتوجه بنفسه اليه بعسكر جرار كالبحر الزخار حتى انتهى الى مكان
يسمى قاغلغار وهو صدفان بينهما مضيق هو الجادة العظمى والطريق يسير
المار فى ذلك مقدار ساعة وفى وسط الدرب باب اذا أغلق وأحمى فلا شىء مثله
فى المناعة وحواليه جبال كل منها شاهق ذيله قد شمخ وقدمه قد غاص ثبوتا ورسخ
فصح ان يقال فيه أنف فى السماء واست فى الماء فأخذ العسكر فم ذلك الدرب بسد
من جهة سمرقند وتيمور على الجانب الآخر وهو كالضايق والحاصر

﴿ذكر الحيلة التى صنعها والخديعة التى ابتدعها﴾

فقال تيمور لأصحابه انى أعرف هنا جادة خفية ما سلكها أحد لا تطأها القطا
ولا يهتدى اليها القطا فهلم نسرى ليلنا ونقود فى السرى خيلنا فنصبحهم من
ورائهم وهم آمنون فان أدركناهم ليلا فنحن الفائزون فأجابوا الى ذلك وشرعوا
فى قطع تلك الوعور والمسالك وسار ليلهم أجمع وبلغ الفجر المطلع فأدركهم
الصباح ولم يدركوا الجيش فضاقت عليهم الارض بما رحبت وتنكد لهم العيش
ولم يمكنهم الرجوع وآذنت الشمس بالطلوع فوصلوا الى العسكر وقد أخذ فى
التحميل وعزم على الرحيل فقال أصحابه بئس الرأى فعلنا فى قبضة العدو
حصلنا لقد وقعنا فى الاشراك وألقينا بأيدينا أنفسنا الى الهلاك فقال تيمور

لا ضرر توجهوا نحو العسكر وانزلوا بمرأى منهم على خيلكم واتركوها ترعى
واقضوا من ورد النوم والراحة ما فاتكم في ليلتكم فتراءوا عن خيلهم كأنهم صرعى
وتركوا خيولهم ترعى شعر

وإذا السعادة لاحظتك عيونها ❊ نم فالمخاوف كلهن أمان
واصطد بها العنقاء فهي حبائل ❊ واقتد بها الجوزاء فهي عنان

فغفل العسكر عنهم وظنوا انهم من أحزابهم حتى اذا استراحوا ركبوا خيولهم
وصاحوا ووضعوا السيوف في أعدائهم راكبين أكتافهم من ورائهم فقتلوهم
قتلا ذريعا وغادروهم بين حاصر بها وهم انطب المدهم ولم يعلم أحد البلاد
كيف دهم واتصل الخبر بالسلطان وقد خرج التلافي عن حيز الامكان فهرب
الى بلخ وقد انسلخ من المملكة أى انسلاخ وشرع تيمور في النهب والغارات والسلب
ثم ضبط الاثقال وجمع الاموال ولم يراع الناس والمداره وأطاعوه وهم ما بين
راض وكاره واستولى على ممالك ما وراء النهر وتسلط على العباد بالغلبة والقهر
وأخذ في ترتيب الجنود والعساكر واستخلاص الحصون والدساكر وكان نائب
سمرقند واحد الاركان شخصا يدعى على شير من جهة السلطان فكاتبه تيمور على
أن تكون الممالك بينهما نصفين ويكونا معا على السلطان حسين فرضي على شير
بذلك وولاه الولايات والممالك وتوجه اليه ومثل بين يديه فزاد في اكرامه
وبالغ في احترامه

❊ذكر توجهه الى بلخشان واستنصاره بمن فيها على السلطان❊

ثم انه ترك على شير بعدما ركن اليه وقصد بلخشان فاستقبله ملكاها وتمثلا بين يديه
وأتحفاه بالهدايا والخدم وأمداه بالجيوش والحشم فسار وهما معه من بلخشان
قاصدين بلخ لمحاصرة السلطان فتحصن منهم فأحاطوا به من كل مكان فأخرج
أولادهما الذين كانوا عنده في الرهان فضرب أعناقهم بمرأى من أبويهم ولم يرق
لهم ولا من عليهم ثم انه ضعف حاله وقل عنه خيله ورجاله فنزل مستسلما للقضاء
والقدر راضيا بما ذهب في قضاء الله عما لا وجد فقبض عليه تيمور وضبط
الامور ثم رد أميري بلخشان اليها مكرمين وتوجه الى سمرقند ومعه السلطان حسين

وذلك في شعبان سنة احدى وسبعين بعد ما خلا من الهجرة سبعمائة سنين ووصل الى سمرقند واتخذها دار ملكه وشرع في تمهيد قواعد الملك ونظمها في نظام سياسته وسلكه ثم انه قتل السلطان وأقام من جهته شخصا يدعى سيورغاتمش من ذرية جنكيزخان وقبيلة جنكيزخان المتفردين باسم الخان والسلطان لانهم هم قريش الترك لا يقدر أحد أن يتقدم عليهم ولا يتمكن أحد من انتزاع ذلك الشرف من أيديهم ولو قدر أحد على ذلك لكان تيمور الذي استخلص الممالك وسلك المسالك فرفع سيورغاتمش دفعا للطاعن وقطعا للسان سنان كل طاعن وانما لقب تيمور الامير الكبير وان كان في أمره كل مأمور منهم وأمير وانا ان في امره كالحمار في الطين وشبيه الخلفاء بالنسبة في هذا الزمان الى السلاطين واستمر على شيرغاتمش (؟) باقيا في سمرقند وكان يكرمه ويستشيره في أموره ويقدمه

﴿ذكر وثوب توقتاميش خان سلطان الدشت وتركستان﴾

ثم ان توقتاميش خان سلطان الدشت والتتار راى ما جرى بين تيمور والسلطان فاردم قلبه وغار وذلك لعلة النسب والجوار وهيأ العسكر الجرار والجيش الزخار وتوجه الى مصاف تيمور من جهة سغناق واترار فخرج اليه تيمور من سمرقند وتلاقيا باطراف تركستان قريبا من نهر خجند وهو نهر سيحون وسمرقند بين نهري سيحون وجيحون فقامت بين العسكرين سوق المحاربة ولم ينفق بينهم فيها سوى معاملات المضاربة ولا زالت رحى الحرب تدور الى أن انطحن عسكر تيمور فبينما عسكره قد ذل وعقد جنوده انحل واذا برجل يقال له السيد بركة قد أقبل فقال له تيمور وهو في غاية الضرر يا سيدي السيد جيشي انكسر فقال له السيد لا تخف ثم نزل السيد عن فرسه ووقف وأخذ كفا من الحصباء وركب فرسه الشهباء ونفخها في وجوه عدوهم المردى وصاح بقوله ياغي قاجدي وصرخ بها تيمور تابعا لذلك الشيخ النجدى وكان عالي الصوت فكأنه دعى الابل الظماء الى جوف تابوت فعطفت عساكره عطفة البقر على أولادها وأخذت في الجلاد مع اضدادها وانداها ولم يبق في عسكره من جذع ولا قارح الا وهو يقول ياغي قاجدى صائح ثم انهم كروا كرة واحدة بهمة متفافقة ونهمة متساعدة

فرجع جيش توقتاميش منهزمين وولوا على أعقابهم مدبرين فوضع عسكر تيمور
فيهم السيوف وسقوهم بهذا الفتوح كاسات الحتوف وغنموا الأموال والمواشي
وأسروا وساط الروس والحواشي ثم رجع تيمور الى سمرقند وقد ضبط
أمور تركستان وبلاد خجند وعظم لديه السيد بركه وحكمه في جميع ما استولى
عليه وملكه وهذا السيد اختلف القول فيه فمن قائل انه كان مغربيا عمر حجاما
فذهب الى سمرقند وتسيد بها وعلا قدره وتسامى ومن قائل انه كان من أهل
المدينة الشريفة ومنهم من يقول انه من أهل مكة المنيفة وعلى كل حال فانه كان
من أكابر الأعيان في بلاد ما وراء النهر وخراسان لاسيما وقد أمد تيمور
بهذه النجدة وخلصه بهذه اللطيفة المصادفة للقضاء والقدر في هذه الشدة فقال
تيمور تمن علي واحتكم لدي فقال له يا مولانا الأمير ان أوقاف الحرمين
الشريفين في الأقاليم كثير ومن جملة ذلك اندخوى من عمالة خراسان وأنا
وأولادي من جملة مستحقي ذلك الاحسان واذا أقيم أصل ذلك وخصصه ومن فقهه
وخصصه وضبطت أوقافه ومصارف ذلك ومصارفه ما كانت حصتي وحصة أولادي
أقل من هذه القصبة في هذا الوادي فأقطعني اياها فأقطعه اياها مع مضافاتها
واعمالها وقراها وهي الى الآن في يدي أولاده وأسباطه وأحفاده

(ذكر علي شير مع تيمور وما وقع بينهما من المخالفة والشرور)

ثم ان تيمور وقع بينه وبين علي شير مخالفه وأشار الى كل منهما طائفة فاغتاله تيمور
وخذله ثم قبض عليه وقتله فصفت الولايات والممالك لتيمور بعض الصفا وهرول
الى طاعته من الناس كل وحد ورأس كان في التأبي وقفا

(ذكر ما جرى لدعار سمرقند والشطار مع تيمور وكيف أحلهم دار البوار)

وكان في سمرقند طائفة من الدعار كثيرون وهم أنواع فمنهم مصارعون ومناقفون
وملاكمون ومعالجون وهم فيما بينهم فرقتان كالقيس واليمن والعداوة والمقاتلة
بينهم قائمة على مر الزمن ولكل طائفة منهم رؤس وظهور وأعضاد وضروس
وكان تيمور مع ابتهم يصانعهم لما كان يظهر له عنادهم وخلافهم فكان اذا قصد
جانبا أقام له في سمرقند نائبا فاذا بعد عن المدينة خرج من تلك الجماعة طائفة

فخلعوا النائب أو نحو جوا معهم النائب وأظهروا المخالفة فما يرجع تيمور الا وقد اثر رد نظامه وتخبطت أموره وتشوش مقامه فيحتاج الى تجديد وتمهيد وتخريب وتشييد فيقتل ويعزل ويعطي ويجزل ثم يتوجه لتمهيد ممالكه وتوطيد مسالكه فيعودون الى عكرهم ويؤوبون الى خداعهم ومكرهم وتكررت هذه القضية نحوا من تسع مرار فضاق تيمور ذرعا بالاشرار والدعار فاعمل الحيلة في اغتيالهم وكف اذاهم واستئصالهم فصنع سورا ودعا اليه الدعار كبيرا وصغيرا وصنف الناس أصنافا وجعل كل ذي عمل الى عامله مضافا وميز أولئك الدعار مع رؤسائهم على حده وفعل معهم مافعله انوشروان بن كيقباد بالملاحدة وأرصد له في أحد الاطراف أنصارا وقرر معهم ان كل من أرسله اليهم يولونه دمارا ويكون ارساله اليهم على قتله شعارا ثم انه جعل يدعو رؤس الناس ويسقيهم بيده الكاس ويخلع عليهم أنفس اللباس واذا أفضت النوبة من أولئك الدعار الى أحد سقاه كاسه وخلع عليه واشار أن يتوجه به الى نحو الرصد فاذا وصل اليهم خلعوا عنه خلعته بل وثوب الحياة فيفتكوه وسكبوا جسده قالبه في بوتقة الفناء فسبكوه الى أن أتى على آخرهم واستوفى بذلك قطع دابرهم ومحا آثارهم واطفأ نارهم فصفت له المشارع وخلا لمملكه من مجاذب ومنازع ولم يبق له فيما وراء النهر مانع ولا مدافع

(فصل في تفصيل ممالك سمرقند وما بين نهري بلخشان وخجند)

فمن ذلك سمرقند وولاياتها وهي سبعة تومانات وأندكان وجهاتها وهي تسعة تومانات والتومان عبارة عما يخرج عشرة آلاف مقاتل وفيما وراء النهر من المدن المشهورة والاماكن المعتبرة المذكورة سمرقند وسورها قديما على مازعموا اثنا عشر فرسخا وكان ذلك على عهد السلطان جلال الدين قبل جنكيز خان ورأيت حد سورها من جهة الغرب قصبة بناها تيمور وسماها دمشق ومسافتها عن سمرقند نحو من نصف يوم والناس الى الآن يحفرون سمرقند العتيقة ويخرجون دراهم وفلوسا سكتها بالخط الكوفي فيسبكون الفلوس ويخرجون منها فضة (ومن مدن) ماوراء النهر مرغينان وهي التخت كانت قديما وبها كان ايلك خان ومنها خرج الشيخ الجليل العلامة برهان الدين المرغيناني صاحب الهداية رحمه الله وخجند

وهى على ساحل سيحون وترمذ وهى على ساحل جيحون ونخشب وهى قرشى المذكورة والكش وبخارى واندكان وهى اماكن مشهورة وغير ذلك (ومن الولايات) بلخشان وممالك خوارزم واقليم صغانيان الى غير ذلك من الاطراف الواسعة والاكناف الشاسعة وفى عرفهم ما وراء النهر الى جهة الشرق توران وما كان فى هذا الطرف الى جهة الغرب ايران ولما اقتسم كيكاوس وافراسياب البلاد كانت توران لافراسياب وايران لكيكاوس بن كيقباد وعراق عجم وعرب ايران

﴿ذكر ابتداء ما فعله من التسلط بالقهر بعد استقصائه ممالك ما وراء النهر﴾

ولما وصفت له ممالك ما وراء النهر وذلت لاوامره جوامح الدهر شرع فى استخلاص البلاد واسترقاق العباد وجعل يشبع انامل الحيل الاشراك والاوهاق ليصطاد بذلك ملوك الاقاليم وسلاطين الآفاق فأول ما صاهر المغول وصافاهم وهادنهم وهاداهم وتزوج ببنت قمر الدين ملكهم وصار آمنا من تبعتهم ودركهم وهم جيرانه من جهة الشرق ولا تباين بينه وبينهم ولا فرق اذ الملة وهى الجنسية والمصاهرة والمجاورة حاصلة للجهتين والملة وهى التوراة الجنكيزخانية مشاعة فى كلا الدولتين فأمن شرهم وكفى كيدهم وضرهم

(ذكر تصميمه العزم وقصده جميع الاطراف واولا ممالك خوارزم)

فحين امن مكرهم وسعد بالمصاهرة ثغرهم صمم العزم على التوجه الى ممالك خوارزم وهم مجاوره غربا بالشام ومباينوه بتشييد قواعد الاسلام وتختهم مدينة جرجان وهى من اعظم البلدان وهذه المملكة ذات مدن عظيمة وولايات جسيمة تختها مجمع الفضلاء ومحط رحال العلماء ومقر الظرفاء والشعراء ومورد الادباء والكبراء ومعدن جبال الاعتزال وينبوع بحار اهل التحقيق من ارباب الهدى والضلال نعمها كثيرة وخيراتها غزيرة ووجوه فضائلها مستنيرة واسم سلطانها حسين صوفى وهو من الاعتقادات الباطلة قد صوفى ومدن ما وراء النهر وضع بعضها اقرب من بعض لانها كلها مبنية باللبن والآجر على الارض واهل خوارزم كاهل سمرقند فى اللطافة وافضل من اهل سمرقند فى الحشمة والظرافة

يتعاطون المشاعرة والادب ولهم فى فنون الفضل والمحاسن أشياء عجب خصوصا فى معرفة الموسيقى والانغام ويشترك فى ذلك منهم الخاص والعام ومما هو مشهور عنهم أن الطفل فى المهد منهم اذا بكى أو قال آه فان ذلك يكون فى شعبة دوكاه فلما وصل تيمور الى خوارزم كان حسين صوفى قد انتقل عنها فنهب حواليها وما وصلت يده اليه منها ولم يقدر عليها فلم يكترث بها ولا التفت اليها ثم لم أطراف حاشيته وعاد الى عاصمته

(ذكر عوده ثانيا الى خوارزم)

ثم انه شد حزام الحزم وكر ثانيا الى خوارزم باستعداد تام وجيش طام وكان سلطانها أيضا غائبا وأقام بجملة بكرها خاطبا محاصرها وناجزها وشدد على أعناق مسالكها التلابيب وكاد أن يتشبث بأذيالها منه المخاليب فخرج اليه رجل من أعيانها وكان تاجرا وله قدم صدق عند سلطانها يقال له حسن سوريج والتمس أن يرفع عنهم ذلك الامر المريج وأن يبذل له ما طلب فى مقابلة ما يريد من أسر وسلب فطلب منه حمل مائتى بغل فضة ترفع الى خزائنه نضه فلم يزل يراجعه ويلاطفه ويعاتبه حتى صالحه على ربع سؤاله وقام المصالح بذلك من ماله وصلب ماله ووزن له ذلك فى الحال وأخذ تيمور فى الترحال وكف عن الاذى شياطين جنده وعزم على التوجه الى سمرقنده

(ذكر مراسلته ملك غياث الدين سلطان هراه الذى خلصه من الصلب وراود فيه أباه)

ثم انه راسل سلطان هراه ملك غياث الدين الذى كان مغيثه عملا بقوله لعن الله على كل نفس خبيثه وطلب منه الدخول فى ربقة الطاعه وحمل الخدم والتقادم اليه بحسب الاستطاعه والا قصد دياره وبلغه دماره فأرسل ملك غياث الدين يقول صحبة الرسول أما كنت خادما لى وأحسنت اليك وأسبلت ذيل احسانى ونعمى عليك فخنت وقتلت وفتكت وغللت وفعلت فعلتك التى فعلت وذلك بعد أن نجيتك من الضرب والصلب فان لم تكن انسانا تعرف الاحسان فكن كالكلب فعبر جيحون وتوجه اليه فلم يكن لغياث الدين قوة الوقوف بين يديه فارسل الى حشمه

ومكان قراه فاجتمعوا هم ومواشيهم حول هراه وحفر خندقا حول البساتين محيطا بالرباع وضعفة المساكين وحصر نفسه في القلعة وحسب أن يكون له بذلك منعه وذلك لركاكة رأيه أولا وآخرا ولجموده وقرب عهده وقلة عقله وانعكاس فكره ودولته قلت شعر

من لم يصادف سعده تقديره * يخطفه في تدبيره تدميره

فلم يكترث تيمور له بقتال وحصار ولكن أحاطت به العساكر دائرة مدار ومكث تيمور في الامن والدعه وعدوه في الضيق بعد السعه فاضطربت الرؤس والحواشي وماتت الانعام والمواشي وغص البلد بالزحام وهلكت الخواص والعوام وأضناهم الشغب وعلاهم الصراخ والصخب فأرسل اليه السلطان يطلب منه الامان وعلم أنه اختنق بسببه وأنه أمانه أولا فبلي به فذكر سابقة العرفان وما أسداه اليه من احسان وطلب منه تأكيد الأمان بالايمان فحلف له تيمور انه يحفظ له الذمام القديم وأن لا يراق له دم ولا يمزق له أديم فخرج اليه ودخل عليه ومثل بين يديه فدخل تيمور الى المدينة وصعد الى قلعتها الحصينه وصحبته السلطان وقد أحاطت به جنود هراة والاعوان فأشار واحد من أبطال أصحاب هراة على السلطان أن يقتل تيمور ويجعل نفسه فداه وقال له ما معناه أنا أفدي المسلمين بنفسي ومالي وأقتل هذا الأعرج ولا أبالي فلم يجبه الى اشارته واستسلم لقضاء الله تعالى وارادته وقال ان لله تعالى تصريفا في عباده ولا بد أن ينفذ فيهم سهم مراده ولا مفر من القضا ولا محيص عما قدر الله تعالى وقضى شعر

واذا أتاك من الامور مقدر * وفررت منه فنحوه تتوجه

وهذا امر لا بد من ظهوره فلا تبحث عن حقيقة أموره فمن غالب القضا غلب ومن ناهب الزمان سلب ومن قاوى تيار المقدور غرق ومن استلذ بالغفلة في مشارب اللهو شرق وذكر في ذلك الوقت مقالة أبيه واطلع على تحقيقه ولكن السهم خرج فما أمكن رده الى فوقه

﴿ذكر اجتماع ذلك الجافي بالشيخ زين الدين أبي بكر الخوافي﴾

وكان في بعض قدماته خراسان سمع أن في قصبة خواف رجلا قد نحه الله تعالى

الاطراف عالما عاملا كبيرا فاضلا ذا كرامات ظاهره وولايات باهره
وكلمات زاهره ومقامات طاهره ومكاشفات صادقه ومعاملات مع الله تعالى
بالصدق ناطقه يدعى الشيخ زين الدين أبا بكر الطايبادي اجتهاده في حظيرة القدس
أعلى وكر فقصد تيمور رؤيته وتوجه اليه وجماعته فقالوا للشيخ ان تيمور
قادم عليك وواصل اليك بقصد رؤيتك ويرجو بركتك فلم يرفع الشيخ بلفظه
ولا رفع لذلك لحظه فوصل تيمور اليه ونزل عن فرسه ودخل عليه والشيخ مشغولا
بحاله على عادته جالس في فكره على سجادته فلما انتهى اليه قام الشيخ
فاحدودب تيمور منكبا على رجليه فوضع الشيخ على ظهره يديه وقال تيمور لولا
أن الشيخ رفع يديه عن ظهري بسرعة لخلته انقض وقد تصورت أن السماء وقعت
على الارض وأنا بينهما رضضت أشد رض ثم انه جلس بين يدي ذلك المنتخب
على ركبتي الادب وقال له بالملاطفة في المحاوره على سبيل الاستفهام لا المناظره
يا سيدي الشيخ لم لا تأمرون ملوككم بالعدل والانصاف وأن لا يميلوا الى الجور
والاعتساف فقال له الشيخ أمرناهم وتقدمنا بذلك اليهم فلم يأتمروا فسلطناك
عليهم فخرج من فوره من عند الشيخ وقد قامت منه الحدبه وقال ملكت الدنيا
ورب الكعبه وهذا الشيخ هو الموعود بذكره ثم ان تيمور قبض على ملك هراة
واحتاط على ما ملكت يداه وضبط ولاياتها باثباتها وقرر لكل جانب نائبا
وتوجه الى سمرقند قافلا عنها أماكنه وحبس السلطان في المدينه وأرصد عليه بابها
ووكل بحفظه أصحابها وأضاف اليهم أسده الحفاظ الزبانية الشداد الغلاظ وذلك
لحلفه أن لا يريق دمه وأن يحفظ له ذمه فلم يرق له دما ولكنه قتله في الحبس
جوعا وظما

﴿ذكر عوده الى خراسان وتخريبه ولايات سجستان﴾

ثم عاد الى خراسان وقد عزم على الانتقام من سجستان فخرج اليه أهلها طالبين
الصلح والصلاح فأجابهم الى ذلك على أن يمدوه بالسلاح فأخرجوا اليه ما عندهم
من عدة ورجوا بذلك الفرج من تلك الشدة فحلفهم وكتب عليهم قسامات
بالله ان مدينتهم خلت من السلاح وارشه فلما تحقق ذلك منهم وضع السيف فيهم

فاصاف

فأضاف بهم جنود المنايا من بكرة أبيهم ثم خرب المدينة فلم يبق بها شجر ولا مدر ومحاها فلم يبن لها عين ولا أثر ورحل عنها وليس بها داع ولا مجيب وما فعل ذلك بهم الا لانه أولا منهم أصيب وذكر لي الشيخ الفقيه زين الدين عبد اللطيف بن محمد بن أبي الفتح الكرماني الحنفي نزيل دمشق بالمدرسة الجقمقية في سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة ان الذين تخلصوا من القتل من أهل سجستان بهزيمة أو غيبة أو بنوع لطيفة من الله تعالى الأمان لما تراجعوا اليها بعد رجوع تيمور عنها أرادوا أن يجمعوا جمعا فأضاعوا يوم الجمعة وما اهتدوا اليه حتى أرسلوا الى كرمان من دلهم عليه

﴿ذكر قصد ذلك الغدار ممالك سبزوار وانقيادها اليه وقدوم واليها عليه﴾

ثم لما أثار بسجستان ما أثار قصد بعساكره مدينة سبزوار وكان واليها يدعى حسن الجوري مستقلا بالامارة وهو رافضي فما أمكنه الا الاطاعة واستقباله من الهدايا والخدم بما استطاعه فأقره على ولايته وزاد في رعايته

﴿فصـــل﴾ وكان من عادة تيمور ومكره انه كان في أول أمره اذا نزل باحد مستضيفا استنسبه وحفظ اسمه ونسبه وقال له اذا بلغك اني استوليت وعلى الممالك استقليت فأتني بعلامة كذا واني أكافيك اذا فلما انتشر ذكره وشاع أمره وفشا في الدنيا خبره وخبره هرعت الناس بالعلائم اليه ووفدت من كل فج عميق عليه وكان ينزل كل أحد منزلته ويحله مرتبته

﴿ذكر ما جرى لذلك الداعر في سبزوار مع الشريف محمد رأس طائفة الدعار﴾

وكان في مدينة سبزوار رجل شريف من الشطار يدعى السيد محمد السربدال معه جماعة من الرجال كلهم دعار يسمون السربدالية يعني الشطار وكان هذا السيد رجلا مشهورا بالمآثر والفضائل مذكورا فقال تيمور علي به فاني ما حبيت الا بسببه وقد كنت متشوقا اليه ومتشوفا لعلم ما لديه فدعوه له فدخل عليه فقام اليه واعتنقه وقابله ببشر ومنطقه وأكرمه وأدناه وقال في جملة نجواه ياسيدي السيد قل لي كيف أستخلص ممالك خراسان وأحويها واني أحوزها أدانيها وأقاصيها وماذا أفعل حتى يتم لي هذا الامر وارتقي هذا المسلك الصعب الوعر فقال له السيد يا مولانا الامير أنا رجل فقير وقير من آل الرسول من أين

أنا وهذا الفضول وانى وان قيل لى شريف رجل عاجز ضعيف لا طاقة لى بموارد
الملك ومن أنا حتى أتشاور فى اصلاح الملك ومن داخل الملوك أو خارجهم أو
عارضهم فى أمورهم أو مازجهم كان كالعائم فى مجمع البحرين وكالجاثم فى منتطح
الكبشين والخارج فى لجة عمان وشتان ما بين المأمون والطحان فقال لا بد ان
تدلنى على هذه الطريقة وتخبرنى من المجاز الى هذه الحقيقة ولولا انى تفرست فيك
ذلك وتحققت ان برأيك تقتدى الممالك ولولا انك أهل لهذه المعرفة ما فهت لك
ببنت شفة ولا استغنيت عنك استغناء التفه عن الرفه فان فراستى اياسيه
وقضاياى كلها قياسيه فقال ذلك الشيخ أيها الامير ارتسم فى هذا مقالى
وتتبع اشارتى فقال ما استشرتك الا لاتبعك ولا جاريتك الا لامشى معك فقال ان
أردت ان يصفو لك المشرب وتنال الممالك من غير ان تتعب فعليك بخواجه على ابن
المؤيد الطوسى قطب فلك هذه الممالك ومركز دائرة هذه المسالك فان أقبل
عليك بظاهره ولم يكن بباطنه الا معك وان ولى عنك بوجهه فلن يفيدك غيره وان
ينفعك فكن على استجلاب خاطره وحضوره اليك أبلغ جاهد فانه رجل صلب
وظاهره وباطنه واحد وان طاعة الناس منوطة بطاعته وأفعال الكل مربوطة
باشارته فما فعل فعلوا فان حط حطوا وان رحل رحلوا وكان هذا الرجل أعنى
خواجه على المذكور رجلا شيعيا مواليا عليا يضرب السكة باسم الاثنى عشر اماما
ويخطب باسمائهم وكان شهما هماما ثم قال السيد يا امير ادع خواجه على فان لبى
دعوتك وحضر حضرتك فلا تترك من أنواع الاحترام والتوقير والاكرام
والتكبير شيئا الا وأوصله اياه فانه يحفظ لك ذلك ويراعاه وأنزله منزلة الملوك
العظام فى التعظيم والتوقير والاحترام ولا تدع معه شيئا مما يليق بحشمتك فان
ذلك كله عائد الى حرمتك وعظمتك ثم خرج السيد من عند تيمور وجهز قاصدا الى
الخواجه على المذكور يقول له انه قد مهد له الامور فان جاءه قاصده فلا يتوقف عن
الطاعة ولا يقعد عن التوجه اليه ولا ساعة ويكون منشرح البال آمنا سطواته فى
الحال والمآل فاستعد خواجه على لقدوم الوارد وورود القاصد وهيأ الخدمات
والتقادم والحمولات وضرب باسمه واسم متولاه الدرهم والدينار وخطب باسمهما
فى جوامع الامصار وقعد لامره متنجزا وأقام للطلب مستوفزا واذا بقاصد تيمور

جاءه

جاءه منه بكتاب فيه من ألطف كلام وألين خطاب يستدعيه مع انشراح الصدر وتوفير التوقير وتكثير البر فنهض من ساعته ملبيا بلسان طاعته ولم يلبث غير مسافة الطريق وقدم بأمل فسيح وعهد وثيق فلما أشعر بوفوده جهز لاستقباله اساورة جنوده وسر سرورا شديدا وكأنه استأنف ملكا جديدا فلما وصل قدم هدايا فاخرة وتحفا متكاثرة وظرائف ملوكية وذخائر كسروية فعظمه تعظيما بالغا واولاه انعاما سابغا وأسبل قادمة جناحه من خلع اعزازه واكرامه ذيلا سابغا واستقر به على ولايته وزاده في بره وكرامته فلم يبق في خراسان أمير مدينة ولا نائب قلعة مكينة ولا من يشار اليه الا وقصد تيمور وأقبل عليه فمن أكابرهم أمير محمد حاكم باورد وأمير عبد الله حاكم سرخس وانتشرت هيبته في الآفاق وبلغت سطوته مازندران وكيلان وبلاد الري والعراق وامتلأت منه القلوب والاسماع وخافه القريب والبعيد وعلى الخصوص شاه شجاع وكل هذا في مدة قصيرة وأيام قلائل يسيرة نحو من سنتين بعد قتله السلطان حسين

﴿ذكر مراسلة ذلك الشجاع سلطان عراق العجم أبا الفوارس شاه شجاع﴾

ولما صفت له بلاد خراسان وأذعن لطاعته كل قاص ودان راسل شاه شجاع سلطان شيراز وعراق العجم يطلب منه الطاعة والانقياد وارسال الاموال والخدم ومن جملة كتابه وفحوى خطابه ان الله تعالى سلطني عليكم وعلى ظلمة الحكام والجائرين من ملوك الانام ورفعني على من ناواني ونصرني على من خالفني وعاداني وقد رأيت وسمعت فان أجبت وأطعت فبها ونعمت والا فاعلم ان في قدمي ثلاثة أشياء الخراب والقحط والوباء واثم كل ذلك عائد عليك ومنسوب اليك فلم يسع شاه شجاع الا مهادنته ومهاداته ومصاهرته ومصافاته فزوج ابنته بابن تيمور ولم يتم ذلك السرور لحدوث الشرور فانقبضت تلك الباسطة بواسطة افساد الواسطة وتخريب الخطاب وتقريب الماشطة قلت بديها مفهما ۞ شعر

اذا اتخذت لامر عز واسطة ۞ فاحذر دهاه وكن منه على وجل
واعلم بان طباع الانس قد جبلت ۞ من الجفاء ومن مكر ومن دغل
فلا تثق منهم يوما بواسطة ۞ واشرع بنفسك فيه غير متكل

فاعمار حل الدنيا واحدها * من لا يعول فى الدنيا على رجل

ومتعنان الكلام فى هذا المقام يخرجنا من المرام ولكن تمت رياض المحبة زاهره وأرباض المودة عامره وفصول المراسلة والمصادقة بين الطرفين سائره واستمر واعلى ذلك من غير نزاع الى أن توفى شاه شجاع وكان شاه شجاع هذا رجلا عالما فاضلا يقرر الكشاف تقريرا شافيا كاملا وله شعر رائق وأدب فائق فى شعره العربى على ما قيل شعر

الا ان عهدى فى الفراق يطول * وأسباب صبرى لا تزال تزول
أصون هواها كالماذر شارق * ولكن عبابى قد يتم فضول
ومن لم يذق صرف الصبابة فى الصبا * مات يقينا انه لجهول

ومن شعره الفارسى

أى بكام عاشقان حسنت جميل * كى كزيتم ديكرى برتو بديل
كر زيادت عافلم عيشم حرام * ور زجورت دم زنم خونم سبيل
هركسى تدبير كارى ميكند * مارها كرديم بانم الوكيل

وهو شاه شجاع بن محمد بن مظفر وكان أبوه من أفراد الناس ومن أهل البر يسكن ضواحى يزد وابرقوه ذا بأس شديد يخافه القريب والبعيد ويرجوه وكان قد نبغ بين يزد وشيراز عربى من آل خفاجة سلط على سالكى الطريقة سفيقة الحجار يدعى جمال لوك أفقر الغنى وأباد الصعلوك لا يبالى بالرجال قلت أو كثرت ولا يكترث بكواكب النبال اذا الكواكب على رأسه انتثرت فأباد طائفة من البلاد وأهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد فكمن له أبو شاه شجاع فى بعض وهد أو بقاع ثم قاتله مواجهه وكافحه مشافهه ونازله فصرعه وقطع رأسه وانتزعه فقصد برأسه السلطان فقدمه على سائر الاعوان وأقطعه أماكن عدة وقربه وجعله عدة لكل شدة وكان له عدة أولاد وأقارب وأحفاد كل منهم رئيس مطاع فمن أولاده شاه مظفر وشاه محمود وشاه شجاع فصار كل منهم ذا كلمة نافذه ويد مطيعة آخذه ولم يكن للسلطان ولد يبقى وراءه فى أمور الملك أو يعقب فلما أقبل عليه رائد المنية أجابه وولى مدبرا ولم يعقب وكان اذ ذاك قد ثبتت أوتاد محمد بن مظفر فتقدم فى السلطنة ومن سواه أخر فصار فى ممالك عراق العجم الملك المطاع واستقل

من غير شقاق ونزاع وتصرف في الممالك كيف يشاء ورداه الله خلعة قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء ومات في سنة ... ولده شاه مظفر المشهور وخلف ولده شاه منصور ثم جرى بين شاه شجاع وبين أبيه من النزاع والشرور ما الاختصار فيه وقبض على أبيه وقهره وكحله بكريتيه وأعدمه بصره وتمكن من السلطنة واستقر وكان به مرض جوع البقر بحيث انه كان لا يقدر على الصوم لا في السفر ولا في الحضر وكان كثيرا ما يدعو الله الغفور أن لا يجمع بينه وبين تيمور فلما أدركه الاجل وطوى فراش الموت منه بساط الامل أحضر ماله من الاقارب والاولاد وقسم عليهم الممالك والبلاد فولى ابنه لصلبه زين العابدين شيراز وهي كرسي الملك ومقصد الوافدين وأقطع أخاه السلطان أحمد ولايات كرمان وأعطى ابن أخيه شاه يحيى يزد وابن أخيه شاه منصور أصفهان وأسند وصيته بذلك الى تيمور وخلد ذلك في رق منشور وأشهد على ذلك من حضر جمعه فكان كمن سلم الرخ لابي زوبعه ولما أدرج الموت ثوب عمر شاه شجاع انتشرت بين أقاربه شقق الشقاق والنزاع فقصد شاه منصور زين العابدين وقبض عليه واستولى على شيراز وكحله بكريتيه وخالف عمه ونقض حبل عهده وفعل مع أبيه ما فعل أبو جده وحبل هذه القصة ممدود والاشتغال بنقضه وابرامه يخرج عن المقصود فاغمض تيمور واغتمض وتجرع الغصص وارتمض ولكن ارتقب في ذلك انتهاز الفرص

﴿ذكر توجه تيمور مرة ثالثة الى خوارزم بالعساكر العابثة العائثة﴾

ثم ان تيمور جدد الحزم وصمم العزم على التوجه الى خوارزم فتوجه الى تلك البلاد من خراسان على طريق استراباد وكان سلطانها أيضا غائبا فاراد ان يولى عليهم من جهته نائبا فخرج اليه حسن المذكور وصالحه واشترى منه الشرور والمقابحه وقال له يا مولانا الامير كلنا عندك أسير ولكن سلطاننا غائب واذا أقيم علينا من جهتك نائب ثم رجع الينا السلطان فلا بد أن يقع بينهما شنآن واذا كان الامر كذا فربما يصل الى منه أذى فيكون ذلك سببا لتأكيد العداوه ويزداد بينكما الجفا والقساوه فينقض حبل عهدك على المساكين ويقع فساد والله لا يحب المفسدين ومن حسن صورة صار نائبك فكل الخلق يجب عليه ان يراعي خدمتك وجانبك ورأيك أعلى واتباع مرسومك أولى فسمع تيمور كلامه وقبل

قوله وقوض للرحيل خيامه وكان لحسن المذكور ابن شهم فالح له عقل شهم صالح
فمكانه فتك بحظية من حظايا السلطان وذاع ذلك في المكان وفاح ذفره في أنف
الزمان فلم يتقيد بذلك الفعل القبيح حسن وقال ان لي على السلطان منناً وأي منن
حيث حميت بلده من كل ظلوم كفار وبذلت في ذلك مالي وجاهي ثلاث مرار
فلا بد أن يقابل هذه المصالحة بالعفو عن جريمة ولدي والمسامحة فلما آب السلطان
من سفره واطلع على حقيقة الامر وخبره قبض على حسن وولده وقتلهما
وألقاهما بين يدي أسد قهره فأكلهما وخرب ديارهما ونقل الى خزائنه شعارهما
ودثارهما ثم لم يلبث حسين صوفي ان توفي وولي بعده ولده يوسف صوفي وكان
تيمور قبل ذلك قد صاهرهم وناصرهم على مخالفيهم وظاهرهم وزوج ابناً له يدعى
جهان كير عقيلة منهم ذات قدر كبير وأصل خطير ووجه مستنير أحسن من
شيرين وأظرف من ولاده ولكونها من بنات الملوك كانت تدعى خانزاده فولدت
له محمد سلطان وكان في نجابته واقباله ساطع البرهان فلما شاهد تيمور فيه ما له
مخائل السعاده وقد فاق في النجابة أولاده وأحفاده أقبل دون الكل عليه وعهد
مع وجود اعمامه اليه لكن عاند الدهر ذلك الظلوم فتوفي قبله في آق شهر من بلاد
الروم وسيأتي ذكر ذلك

❁(ذكر توجه ذلك الباقعه الى خوارزم مرة رابعه)❁

فلما سمع تيمور ما جرى على حسن من الشرور تحنق وشدد الازم ووجه ركاب
الغضب الى خوارزم فأخذها وقتل سلطانها وهدم أركانها وخرب بنيانها وولى
على ما بقي منها نائباً من عنده ونقل جميع ما أمكنه نقله منها الى ممالك سمرقنده
وتاريخ خراب خوارزم عذاب كما ان تاريخ خراب دمشق خراب

❁(ذكر ما كان ذلك الجان راسل به شاه ولي أمير ممالك مازندران)❁

ثم انه لما كان توجه الى خراسان راسل شاه ولي أمير ممالك مازندران وكاتب الامراء
المستقلين بذلك المكان فمنهم اسكندر الجلابي وارشيوند وابراهيم القمي واستدعاهم
الى حضرته كما هو جاري عادته فأجابه بالضرورة ابراهيم وارشيوند واسكندر وتأبى
عليه شاه ولي ذلك الغضنفر فلم يلتفت الى خطابه وخشن له في جوابه

(ذكر مراسلة شاه ولي لسلاطين العراق وما وقع في ذلك من الشقاق وعدم الاتفاق)

ثم أرسل شاه ولي الى شاه شجاع سلطان عراق العجم وكرمان والى السلطان أحمد بن الشيخ أويس متولي عراق العرب واذربيجان يخبرهما بورود خطابه وصدور جوابه ثم قال أنا ثغركما وان انتظم أمري انتظم أمركما وان زلت بي منه بائقة فانها بعمالكما لاحقة فان ساعدتماني بعدد كفيتكما هذا النكد والاقتصار ان كما قيل شعر

من حلقت لحية جار له * فليسكب الماء على لحيته

فأما شاه شجاع فاطرح قوله ورماه وعادى تيمور كما ذكر وعاداه وأما السلطان أحمد فأجاب بجواب مهمل وقال هذا الاشل الاعرج الجغتائي ما عساه أن يفعل ومن أين ومن أين للاعرج الجغتائي أن يطأ العراقين وان بينه وبين هذه البلاد لخرط القتاد وانكم بين مكان ومكان فلا يخل العراق بخراسان ولئن عقدت على التوجه الى ديارنا نيته لهان به منيته ولترحلن عنه أمنيته فانا قوم لنا البأس والشده والعدة والعدد والدولة والنجده ولنا يصلح التشامخ والتأبي حتى كأنه قال فينا المتنبي نحن قوم ملجن في زي ناس * فوق طير لها شخوص الجمال فلما علم ذلك منهم شاه ولي وأيقن أن كلا منهما من شجوه خلي قال أما أنا فوالله لأوافقه بعزم صادق ونفس مطمئنة فلئن ظفرت به لأتركنه نكالا في الامصار ولاجعلنه لكما عبرة لاولي الابصار وان ظفر بي فلا علي ما يصل اليكما فلينزلن القضاء العام والبلاء الطام عليكما ثم استعد لقتاله واستسلم لقدر الله تعالى وقضائه ولما ترا آى الجمعان واتصلت المراشقة بالضرب والطعان ثبت شاه ولي ساعة لما نابه من قهره وعهره ثم ولى الدبر لما لاحظ ما رأى من كره وفره وتبع السنة في الفرار مما لا يطاق وتوجه الى الري اذ ما أمكنه التوجه الى العراق وكان بها أمير مستقل يدعى محمد جوكار متصرفا بحكومته في تلك القرى والامصار وكان كريما شجاعا وملكا مطاعا ومع ذلك فانه دارى تيمور وراعى منه بعض الامور وخاف سطوته وبأسه فقتل شاه ولي وأرسل الى تيمور رأسه

(ذكر ما جرى لابي بكر الشاسباني من الوقائع مع ذلك الجاني)

وكان في بعض ولايات مازندران رجل يسمى أبا بكر من قرية تدعى شاسبان وكان في الحروب كالاسد الغضوب وكان قد أباد وأبار ألجم الغفير من عساكر التتار اذا التقى في المجال لا تثبت له الرجال واذا وضع العمامة أقام فيهم القيامه ولازال يكمن بين الروابي والجبال ويجندل الجنود والابطال حتى صارت تضرب به الامثال وترعد منه الفرائص ولو في طيف الخيال فكان القائل منهم يقول لمركوبه اذا عاق عليه أو سقاه فتأخر عن الماء أو جفل من الخلاء كأن أبا بكر الشاسباني في الماء أو بين العليق تراه وقيل لم يتضرر عساكر تيمور في مدة استيلائه مع كثرة حروبه ومصافاته وابلائه الامن ثلاثة أنفار أضر وا به وبعساكره غاية الاضرار وأوردوا كثيرا منهم موارد النار * أحدهم أبو بكر الشاسباني وثانيهم سيدي علي الكردي وثالثهم أمة التركماني فأما أبو بكر هذا فذكروا انه في بعض مضائق مازندران تغلب عليه الجغتاي من كل مكان وسدوا عليه وجه الخلاص وشدوا حبل المقنص فألجأه الى جرف مقابله جرف مقدار ثمانية أذرع ما بين الجرف الى الجرف كان مقره صب النقير أو واد في قعر السعير فنزل أبو بكر عن جواده المغير وطفر وطفر من أحد الجرفين الى الآخر بما عليه من السلاح والمغفر ولم ينل منهم ضرا أو نجا كما نجا تأبط شرا ثم اتصل بحاشيته وأباد هم ونقل الى طاحون الفناء منهم من استكمل دياسهم وحصادهم ثم ما أدري أمره الى ماذا آل وكيف تقلبت به الاحوال * وأما سيدي علي الكردي فانه كان أميرا في بلاد الكرد معه طائفة من الخيل الجرد والرجال غير المرد في جبال عاصيه وأماكن وعرة متقاصيه فكان يخرج هو وجماعته ومن شملته طاعته ويترك على فم المضائق من هو به واثق ثم يشن على عساكر تيمور الغارات ويدرك فيهم للمسلمين الثارات ويقتطع من حواشيهم وما يمكنه من مواشيهم ثم يرجع الى أوكاره ويختفي من أوطاره ولم يزل على ذلك الثبات في حياة تيمور وبعد ان مات الى أن أدركته الوفاة ففات * وأما امة التركماني فانه كان من تراكمة قراياغ وله ابنان قد وسم كل منهما على قلب تيمور أي داغ وكانت الحروب والنزال بينهم وبين أميران شاه وعساكر الجغتاي لا تزال وفنوا من جماعتهم عددا لا يحصى وجانبافات الاستقصا الى

ان غدر واحد من المنتسبين اليهم فطلب غرتهم ودل عسكر اميرانشاه عليهم
فبيتوهم ليلا وأراقوا من دمهم سيلا فاستشهد الثلاثة في سبيل الله رحمهم الله
قلت شعر

وأصعب فتنة تشميت الاعدا ✽ وأنكى منه تخذيل الموالى

(وقيل شعر)

وظلم ذوى القربى أشد مضاضة ✽ على المرء من وقع الحسام المهند

(وقيل شعر)

اذا كان هذا بالاقارب فعلكم ✽ فماذا الذى أبقيتم للاباعد

✽(ذكر توجه تيمور الى عراق العجم وخوض شاه منصور غمار ذلك البحر الخضم)✽

ولما توفى شاه شجاع ووقع بين أهله كامر نزاع واستقرار عراق العجم على شاه
منصور وخلصت ممالك مازندران وولايتها لتيمور وكان شاه شجاع قد أوصى الى
تيمور بولده زين العابدين كما ذكر ووكل أمره اليه وبعد تيمور على شاه منصور
طريقا عاقه مع ابن عمه زين العابدين فاحتج بذلك ومشى عليه فاستعد شاه منصور
أقاربه فكلهم صار محاربه وعاد مجاذبه ومجانبه وأقام كل منهم بحفظ جانبه
فتهيأ للاقاته وحده بنحو ألفي فارس كاملي العده بعد ان حصن المدينه وحوطها
بالاهبة المكينه ورتب خيلها ورجلها وحرض على التصبر والتربص أهلها
فقال له أكابر اعيانها والرؤس من سكانها كانا بك في التقحم وسدا الحرب قد
التحم وقد منعناه من الوصول الينا ودافعناه عن الهجوم علينا وربما جندلنا
له رجالا وابطلنا من عسكره ابطالا ثم عاذا تصنع انت بألفي راكب مع هذا
الغمام المتراكب وربما حل عقدك أو بهل جندك فلا ترى لنفسك في
الهيجاء الا طلب الخلاص والنجاة وتترك الجماعة على وضم بعد ان زلت بنا منك
القدم ولا ينفعنا بعد تأكيد العداوة الندم ولا يحصل منا اذ ذاك هذا العسكر الا
بالقتل والنهب والاسر فوضع يده على دبوسه شاه منصور وقال هذا الالف في
الكاف السادس من أم من يفر من تيمور أما أنا فأقاتل وجندى فان خذلني
جندى قاتلت وحدى وبذلت في ذلك جدى وجهدى وعانيت عليه وكدى وكدى
فان نصرت نلت قصدى وان قتلت فلا على من بقى بعدى وكان أنا كنت الحاضر

والخاطر فى خاطر الشاعر حين قال

اذا هم ألقى بين عينيه عزمه ❊ ونكب عن ذكر العواقب جانبا

وقيل ان شاه منصور فرق رجاله على قلاعه وأراد بذلك حفظ مدنه فضاع فى ضياعه ثم جمع رؤساء شيراز وأجنادها وأفلاذ كبدها وأولادها وقال ان هذا عدو ثقيل وهو وان كان خارجيا فهو فى بلادنا دخيل فالرأى أنى لا أحصره فى مكان ولا أقابله بضرب أو طعان بل أنتقل فى الجوانب وأتسلط أنا ورعاياى عليه من كل جانب فنصفع أكتافهم ونقطع أطرافهم ونواظبه بالنهار ونراقبه بالليل ونعد له ما استطعنا من قوة ومن رباط الخيل وكلما وجدنا منه غرة كسرنا منه القفا والغرة فتارة ننطحه وأخرى نرمحه وكرة نجسده ومرة نجرده ونسلبه الهجوع ونمنعه الرجوع فتشتد عليه المضائق وتنسد عليه الطرق والطرائق غير أن القصد منكم يا أحرار ويا غرر القفار ونسور النفار أن تحتفظوا بضبط الاسوار ولا تغفلوا عنها آناء الليل وأطراف النهار فانى ما دمت بعيدا عنكم لا يدنو أحد منهم منكم وان حاصروكم ففيكم كفايه واستودعكم الله وهو نعم الوقايه وغاية ما تكونون فى هذه البوسا مقدار ما وعد الله تعالى نبيه موسى ولله هذا الرأى ما كان أمتنه ووجه هذا القصد ما كان أحسنه ثم انه خرج ذاهبا وقصد جانبا

❊ذكر دقيقة قصدت حلت ونقضت ما ابرمه شاه منصور من عقد حين حلت❊

فبينما هو عند باب المدينة جائز نظرته عجوز من مشومات العجائز فبدرته بالملام وآذته بالكلام ونادت بلسان الاعجام انظروا الى هذا التركى بحرام رعى أموالنا وتحكم فى دمائنا وفارقنا أحوج ما نحن اليه فى مخاليب أعدائنا جعل الله حمل السلاح عليه حراما ولا أنجح له قصدا ولا أسعف له مراما فقدحت زناده وخرجت فؤاده وتأججت نيران غضبه وأحرق أكداس تدبره شواظ لهبه وثارت نفسه الابيه وأخذته حمية الجاهليه حتى ذهب لب ذلك الرجل الحازم وغاظ فأمسى وهو لغلطه ملازم فثنى عنان عزمه وكر اسنان ازمه واقسم لا يبرح عن المقاومه ولا يرجع فى مجلس قضاء الحرب عن ملازمة المصادمه ويجعل ذلك دأبه صباحا ومساء وعشاء الى أن يعطى الله النصر لمن يشاء ثم قابل ورتب ابطاله

وقاتل وكان في عسكر شاه منصور أمير خراساني مباطن لتيمور يدعى محمد بن
زين الدين من الفجرة المعتدين وجل العساكر كان معه فسار الى تيمور وأكثر
الجند تبعه فلم يبق منهم الا دون الالف فما فر واحد منهم من الزحف فثبت
شاه منصور بعد ان تضعضعت منه الامور فلم تزل نيران الهيجاء تتقطع وزناد
الحرب تورى اذ تنقدح وشرار السهام تتطاير وغبار الرؤس عن مناصل السيوف
تتطاف فتتناثر حتى أقبل جيش الليل وشمر للهزيمة جند النهار الذيل فراجع
كل منهم الى وكره واعمل شاه منصور فكره في مكره

*(ذكر ما نقل عن شاه منصور مما أوقع بعسكر تيمور
من الحرب والويل تحت جنح الليل)*

فعمد الى فرس جفول من بين الخيول أسمح من دهر رمح وأرمح من عمر سمح
وأتى بها عسكر العدو وقد أخذ الليل في الهدو ثم ربط في ذنبها قدرا من النحاس
ملفوفة في قطعة بلاس وشدها اشد احكام وثاقها وصوب رأسها نحو العدو وساقها
فجالت الفرس في العسكر واضطربت واختلطت الناس واحتربت وانسابت
جداول السيوف في بطون تلال النحور وانسربت حتى كأن الساعة اقتربت أو
السماء عليهم بالشهب انقلبت والارض بهم اهتزت وربت وشاه منصور واقف
حواليهم كالبازي المطل عليهم يقتل من شذ ويبيد من ند وصاروا كما قيل

شعر
الليل داج والكباش تنتطح * نطاح جد ما أراها تصطلح
فقائم وقاعد ومنبطح * ومن نجا برأسه فقد ربح

قيل انهم اقتتلوا فيما بينهم حتى فني نحو من عشرة آلاف نفس فلما قوض الليل
خيامه ورفع النهار أعلامه علموا البلاء كيف دهاهم وليت الليل لم يكن فارق
ذراهم ثم ان شاه منصور أصبح وقد قل ناصره وفل موازره فانتخب من جماعته
فئة نحوا من خمسمائة فجعل يصول بهم صولة الاسد ويخوض بهم غمار الموت
فلا يلوي امامهم أحد على أحد ويجول يسرة ويمنة ويلتهب ويصيح أنا شاه منصور
الصابر المحتسب فتراهم بين يديه حمرا مستنفرة فرت من قسورة وقصد مكانا فيه
تيمور فهرب منه ودخل بين النساء واختفى بينهن وتغطى بكساء فبادرنه وقلن

نحو حرم وأشرن الى طائفة من العسكر المصطدم وقلن هنالك بغيتك وبين
أولئك مطلبتك فألوى راجعا وتركوه مجاذبا وقصد حيث أشرن اليه وقد
أحاطت به جموع العساكر وحلقت عليه قلت بديها شعر

وما حز أعناق الرجال سوى النسا * وأي بلاء ما الحسن به أبلى
وكم نار شر أحرقت كبد الورى * ولم يك الا مكرهن لها أصلا

وكان على فرس فاقت خصالا فضرب فيهم بسيفين يمينا وشمالا وفرسه السبوح
كانت تقاتل معه وتصدم وتكدم من يقرب منها في تلك الحمة وكأنه ينشده معنى
ما قلته في مرآة الادب شعر

يد الله فوقي فعلت يداهم * وهذي يدي فيهم بسيفين تضرب

فصار كلما قصد رعلة من تلك الرعال افترقت أمامه يمينا وشمالا وان كانوا كلهم من
أهل الشمال ولكن شعر

اذا لم يكن عون من الله للفتى * فأول ما يجني عليه اجتهاده

حتى أثخنته الحرب وكلت يداه من الطعن والضرب وخذلت أبطاله وقلت خيله
ورجاله وتغيرت من كل جهة أحواله وسقطت طرائقه وسقطت مضائقه وتروست
شمائقه وضرست فيالقه وخمدت بوارقه وهمدت بيادقه وحص جناحه
وقص جناحه وخف مراحه وأثقلته جراحه وسكنت همهمته وسكتت غمغمته
فانفرد عن أصحابه وقد آذاه الجراح وأودى به ولم يبق معه في ذلك البحر سوى
نفرين أحدهما يدعى توكل والآخر مهتر خضر وأخذه الدهش وغلب عليه العطش
ونشف الرهج والوهج كبده وطلب شربة ماء فما وجده ولو وجد ما يبل به ريقه لما قدر
أحد أن يقطع عليه طريقه فرأى الاولى أن يطرح نفسه بين القتلى فأطرح بينهم
نفسه ورمى أهبته وسيب فرسه وقتل توكل ونجا خضر الدين وبه من الجراح نحو
من سبعين وعمر بعد ذلك حتى بلغ تسعين وكان من الابطال والمصارعين فتراجع
جيش تيمور وتضام وانتعش بعد أن بلغ موارد الحمام وذلك بعد ان قتل منهم
ما لا يعد وأفنى ليلا ونهارا ما لا يحصى ولا يحد وطفق تيمور في القلق والضجر
والارق لفقد شاه منصور وعدم الوقوف على حال ذلك الاسد الهصور أهو في
الاحياء فيخشى فكره أم انتقل الى دار العفاء فيؤمن مكره فأمر بتفتيش الجرحى

والتنقيب

والتنقيب عنه بين القتلى والطرحى الى أن كانت الشمس تتوارى بالحجاب ويغمد حسام الضياء من الظلام فى قراب فعندما ضم دينار البيضاء تحت ذيل ملاءة الضياء وقد نساج القدرة فى جو الفضاء سدا والليل اذا سجى ونثر على سطح هذا الاديم المسا دراهم كواكبه الزهراء واتسع الظلام واتسق عثر واحد من الجغتاى على شاه منصور وبه أدنى رمق فتشبث شاه منصور بذلك الانسان بل الشيطان الخوان وناداه الامان الامان أنا شاه منصور فاكتم عنى هذه الامور وخذ منى هذه الجواهر وخاف فى قضيتى ولا تجاهر وكانى لا رأيتك ولا رأيتنى ولا عرفتك ولا عرفتنى وان أخفيت مكانى وتلطفت الى اخوانى وأعوانى كنت كمن أعتقنى بعد ما اشترانى ومن بعد ما أماتنى أحيانى وكنت ترى مكافاتى وتغنم مصافاتى ثم أخرج له من الجواهر ما يكفيه وذريته الى اليوم الآخر فكان فى قصته واستكشاف غصته كالمستغيث بعمرو عند كربته فما عتم أن وثب على شاه منصور وحز رأسه وأتى به الى تيمور وحكى له ما جرى بتخبير المشترى فما صدقوه ولا فى كلامه استوثقه بل أخرج من قبائله وشعوبه من عرفه به فعرفوه بشامة كانت على وجهه علامه فلما علم أنه شاه منصور بعينه وتميز له صدق ذلك الرجل من مينه تحنق وتحيف وتحرق لقتل شاه منصور وتأسف ثم سأل ذلك الرجل عن محتده وعن والده وولده وعن قبيلته وذويه وخدومه ومربيه فلما استوضح أخباره وعلم نجاره ووجاره أرسل مرسومه الى متولى تلك الداره فقتل أهله وأولاده وأعوانه وأنصاره وآله وأحفاده وأختانه وأصهاره وقتل عشيرته قتلة ومحا آثاره وصادر مخدومه وقتله وخرب دياره ثم أرسل الى اطراف ممالكه مطالعات يذكر فيها صورة تلك المصافات والواقعات وما شاهد من ثبات شاه منصور وثباته وعشيانه غمرات الحرب وضرباته وما حصل فى واقعة القتال على الحديد فى صفوف اسلاته وكيف زلزلت العاديات وولولت النساء فى فتح حجراته بعبارات هائلة وكلمات فى ميادين الفصاحة والبلاغة جائله وهذه المطالعات تقرأ فى المحافل والمشاهد وتتلى فى المصادر والموارد ويستشهد بها ذوو الآداب ويعتنى بحفظها الكتاب والصبيان فى الكتاب رأيت فى أخبار بعض المتقنين انه فى شوال سنة خمس وتسعين ورد رسول صاحب بسطام يؤذن سلطان مصر

بالاعلام ان تيمور قتل شاه منصور وانه تولى على شيراز وسائر البلاد وأرسل
رأسه الى حاكم بغداد وأمره بالطاعه هو ومن معه من الجماعه وأرسل اليه خلعه
وأن يضرب السكة باسمه ويخطب بذلك فى الجمعه فلبس خلعته وائتمر عقلا كما به
أمر وانه علق رأس شاه منصور بعدما طاف رايه على السور وما أظن لذلك صحة

﴿ذكر ما وقع من الامور والشرور بعد واقعة شاه منصور﴾

فاستولى تيمور على ممالك فارس وأرض عراق العجم وأرسل من دانا من أقارب
شاه شجاع وملوك الامم واستمال الخواطر وأمن البادى والحاضر ورحل الى
مدينة شيراز وضبط أحوالها وقرر فيها خيلها ورجالها ونادى بالامان للقاصى
والدان فلبت دعوته ملوك البلاد ولم يسعهم معه الا الاطاعة والانقياد فوصل
اليه سلطان أحمد من كرمان وشاه يحيى من يزد وعمى سلطان أبو اسحاق فى
شيرجان فأنعم وخلع على من أطاعه وانقاد ولم يتعرض لمن أظهر العناد ولم يشق
بينه وبين مخالفيه العصا وأكرم من أطاعه ليوقع بذلك من عصى وطرح على
شيراز وسائر البلدان بالامان وأقام فى كل بلدة من جهته نائبا وتوجه الى اصبهان
وأحسن الى زين العابدين الذى هو وصيه من أبيه ووظف له من الجوامك والادرارات
ما يكفيه وذويه

﴿ذكر ما صنع الزمان عند حلوله باصبهان﴾

فلما وصل الى أصبهان وكانت من أكبر البلدان مملوة بالافاضل محشوة بالاماثل
وبها شخص من علماء الاسلام والسادة الاعلام قد بلغ فى العلم الغايه وفى
العمل والاجتهاد النهايه أفعاله مبروره وكراماته مشهوره ومآثره مذكوره
ومحاسنه على جبهة الايام مسطوره وهو معتقد المسلمين وكان اسمه امام الدين
وكان أهل أصبهان يذكرون له تيمور ويحذرون من شره أى محذور فيقول لهم
مادمت فيكم حيا لا يضركم كيده شيئا فان وافانى الاجل فكونوا من أذاه على
وجل اتفق انه فى وصول تيمور توفى الشيخ المذكور فاصبحت أصبهان ظلمات
بعضها فوق بعض بعد ان كانت نورا على نور فتقاعست همتهم وترادفت
كسرتهم فوقعوا فى الحيره وصاروا كأبى هريره رضى الله عنه حيث يقول

للناس هم ولى فى اليوم همان ❊ فقد الجراب وقتل الشيخ عثمان

فخرجوا اليه وصالحوه على حمل أموال فارسل اليهم لاستخلاصها الرجال فوزعوها على الجهات وفرضوها على الحارات والمحلات وتفرق فيهم المستخلصون فكانوا يعيثون فيهم ويعبثون واستطالوا عليهم فجعلوهم كالخدم وتوصلوا الى أن مدوا أيديهم الى الحرم فانتهكوا منهم أى انتهاك فرفع أهل أصبهان الى رئيسهم الشكايه وكثرت منهم الشكيه وهم قوم لهم حميه وقالوا الموت على هذه الحاله خير من الحياة مع هذه الاستطاله فقال لهم رئيسهم اذا أقبل المساء فانى أضرب الطبل لكن لا تحت كساء فاذا سمعتم الطبل قد دق فالقول قد حق فلينقض كل منكم على نزيله وليحتكم فيه بسيف رأيه وهزيله فاتفقوا على هذا الرأى المعكوس والامر المنكوس فى الطالع المنحوس وقصروا أيادى انظارهم السقيمه عن قصارى هذه الأمور الوخيمه والتقى العنان من ثوب نوره وأبدل الجوارى بسموره ومضى هزيع من الليل ضرب الرئيس الطبل فحل بالمستخلصين الويل فقتلوهم وكانوا نحوا من ستة آلاف فأصبحوا وقد غرسوا فى دوح العصيان أغصان الخلاف فأثمر ذلك لهم الجور بعد الكور وبان لهم البور فأصبحوا بوارا بهذا البور ولما سل الفجر حسامه وحسر النهار لثامه بلغ تيمور ذلك الصنع المشؤم فنفخ الشيطان منه فى الخيشوم فارتعد من فوره واستل قضب غضبه ونثل جعبة جوره وتوجه الى المدينة مزمجرا متكالبا متأسدا متنمرا فوصل اليها وأحنق عليها وأمر بالدماء أن تسفك وبالحرمات أن تهتك وبالارواح أن تسلب وبالاموال أن تنهب وبالعمارات أن تخرب وبالزروع أن تحرق وبالفروع أن تغرق وبالاطفال أن تطرح وبالاجساد أن تجرح وبالاعراض أن تثلم وبالذمم أن تثلم ولا تسلم وان يطوى بساط الرحمه وينشر سمط النقمه فلا يرحم كبير لكبره ولا صغير لصغره ولا يوقر عالم لعلمه ولا ذو أدب لفضله وحلمه ولا شريف لنسبه ولا منيف لحسبه ولا غريب لغربته ولا قريب لقرابته وقربته ولا مسلم لاسلامه ولا ذمى لذمامه ولا ضعيف لضعفه ولا جاهل لركاكة رأيه وسخفه وبالجملة فلا يبقى على أحد ممن هو داخل البلد وأما أهل المدينة فعلموا أنه ليس للجدال مجال فضلا عن ضراب وقتال وأن قول الاعذار محال وأنه ليس ينجيهم من

ريب المنون مال ولا بنون ولا يقبل منهم في تلك الساعة ولا ينفعهم عدل ولا شفاعة فتحصنوا بحصون الاصطبار وتدرعوا دروع الاعتبار وتلقوا سهام القضاء من جنايا المنايا بمجن تسليم المراد واستقبلوا ضربات القدر من سيوف الحتوف باعناق التفويض والانقياد فاطلق في ميادين رقابهم عنان الحسام البتار وجعل مقابرهم بطون الذئاب والضباع وحواصل الاطيار ولازالت عواصف الفناء تجتثهم من أشجار الوجود حتى حصر واحد القتلى فكان نحو ست مرار من أمة يونس بن متى فاستغاث بعض الفقراء بواحد من رؤس الامراء وقال الشفقة في البقية والرعاية في الرعية فقال ذلك الامير للسائل الفقير أجمعوا بعض الاطفال عند بعض التلال فلعل أن يلين منه عند رؤيتهم شيأ ما عسى ولعل فامتثلوا ما به أمر وجمعوا شرذمة من الاطفال منه على الممر ثم ركب ذلك الامير مع تيمور وأخذ به على تلك الاطفال ومر ثم قال انظر يا مخدوم نظر الراحم الى المرحوم فقال ما هؤلاء الطرحاء الاشقياء فقال أطفال معصومون وأمة مرحومون ومحرومون استحر القتل بوالديهم وحل غضب مولانا الامير على أكابرهم وذويهم وهم يسترحمون بعواطف الملوكية وصغرهم ويستشفعون اليك بذلهم وضعفهم ويتمهم وفقرهم وكسرهم أن ترحم ذلهم وتبقي على من بقي لهم فلم يحر جوابا ولا أبدى خطابا ثم مال بعنان فرسه عليهم ولم يظهر أنه بصر بهم ولا نظر اليهم ومالت معه تلك الجنود والعساكر حتى أتى منهم على الأول والآخر فجعلهم طعمة للسنابك ودقة تحت أقدام أولئك ثم جمع الاموال وأوسق الاحمال ومال راجعا الى سمرقند عاقدا نال وكم بين هذه الأمور والقضايا من دواه وبلايا وأخبار وحكايات وتجهيز سرايا وتولية وعزل وابراز هزل في صورة جد وجد في صورة هزل وبناء وهد وصد ورد وتعمير غامر وتخريب عامر وتهان وتعاز وانحراف وتواز ومباحثات مع علماء ومناظرات مع كبراء ورفع وضعاء ووضع شرفاء وتمهيد قواعد وتقريب أباعد وتبعيد أداني وبروز مراسيم الى كل قاص وداني الى غير ذلك مما لا يكاد يحصر ولا يضبط بديوان ولا دفتر

﴿ذكر ضبطه طرف العمل والجتا وما صدر منه في تلك الاماكن واتى﴾

ولما وصل الى سمرقند أرسل ابن ابنه محمد سلطان بن جهانكير مع سيف الدين
الامير الى أقصى ما تبلغ اليه مملكته وتنفذ فيه كلمته وهو وراء سيحون شرقا سوا
آخذ في جمهور ممالك المغل والجتا والخطا نحو من مسيرة شهر من ممالك ما وراء النهر
فمهدوا هنالك الوهد والبقاع وبنوا فيه جملة من القلاع وأقصاها بلد يسمى اشباره
فبنوا فيه حصنا حصينا مهد النهب والغاره وخطب من بنات الملوك ملكة أخرى
وكانت الاولى تدعى الملكة الكبرى والاخرى الملكة الصغرى فأجابهم ملكهم الى
ما سأل وأناب الى ما طلبه منه بالاطاعة وبذل وارتجت منه أقاليم المغل والخطا
وذلك لما بلغهم مما فتك في كل طرف وبتك من بلاد الاسلام وسطا وكان السفير
في ذلك الله داد أخو سيف الدين المذكور وهو الذي استخلص أموال دمشق ونزل
في دار ابن مشكور وأمر تيمور ببناء مدينة على طرف سيحون من ذلك الجانب
وعقد اليها جسرا على متن النهر بالمراسي والمراكب وسماها شاهرخيه وهي في أماكن
رحبيه وسبب تسمية ابنه شاه رخ بهذا الاسم ووسم هذه المدينة بهذا الوسم
انه كان على عادته مشغولا بلعب الشطرنج مع بعض حاشيته وقد أمر ببناء هذه
المدينة على هذا الساحل وكانت احدى حظاياه معه وهي حامل فرمى على خصمه
شاه رخا فدبل خصمه لذلك وارتخى وبينما خصمه قد وقع في الاين اذا بمبشرين
جاآ مخبرين أحدهما يبشر بولد والآخر يبشره بتمام عمارة البلد فسماهما بهذين
الاسمين ووسمهما بهذين الوسمين

*(ذكر عود ذلك الافعوان الى ممالك فارس وخراسان
وفتكه بملوك عراق العجم واستصفائه تلك الولايات والامم)*

ثم عاد بعد تمهيد البلاد وتوطيد قواعد ممالك تركستان الى بلاد خراسان فاستقبله
الملوك والامراء والسلاطين والوزراء وسارعوا اليه من كل جانب ما بين راجل
وراكب ملبين دعوته حاذرين سطوته مغتنمين خدمته وسلموه الانجاد والاغوار
والاطواد والقفار والقرى وسكانها والذرى وقطانها والقلاع العاصيه وربطوا
بذيل أمره كل ناصيه ممتثلي أوامره مجتنبي زواجره عاقدي نطاق عبوديته
بأنامل الاخلاص تابعي رائد مرضاته على نجائب الولاء والاختصاص فمنهم جميع

من مر ذكره من المطيعين ومن كان في الشواهق عنه متمنعين ومن جملتهم
اسكندر الجلابي أحد ملوك مازندران وارشيوند الفارسكوهي ذلك الاسد الغضبان
صاحب الجبال الشوامخ العاصية القلال وابراهيم القمي صاحب النجده والعدد
الكل شده وأطاعه السلطان أبو اسحاق من شيرجان فاجتمع عنده من ملوك
عراق العجم سبعة عشر نفرا ما بين سلطان وابن سلطان وابن أخي سلطان كلهم
في ممالكه مطاع مثل سلطان أحمد أخي شاه شجاع وشاه يحيى ابن أخت شاه
شجاع سوى ملوك مازندران وسوى أرشيوند وابراهيم وملوك خراسان وما سلك
السلطان أبو اسحاق نمط أقاربه في الطاعة وعمل على ذلك الطرز خلف ببلده
شيرجان نائبا يقال له كودرز فاتفق في بعض الايام انه اجتمع عند تيمور هؤلاء
الملوك العظام فكانوا عنده في خيمة له وهو بينهم وحده فأشار واحد منهم الى
شاه يحيى وقد أمكنت الفرصه أن يقتله ويرفع عن العالم هذه الغصه فأجابه بعض
وامتنع بعض وقال لمن رضي بذلك من لم يرض ان لم تكفوا وعن هذا المقال تعفوا
أخبرته بهذه المقاله وأطلعته على هذه الحاله فامتنعوا عن هذا الراي المتين والفكر
الرصين لاختلافهم ولا يزالون مختلفين وكانه طالع أحوالهم أو تفرس أقوالهم
فاسرها في نفسه ولم يبدها لهم ثم مكث أياما وعمل للناس جلوسا عاما وقد لبث
ثيابا حمرا ودعا هؤلاء الملوك السبعة عشر طرا ثم أمر فقتلوا جميعا في ساعة واحدة
صبرا ثم لما أبادهم ضبط بلادهم وجمع طريفهم وتلادهم وقتل أولادهم
وأحفادهم وأقام في ممالكهم أولاده وامراءه وافراده واسباطه واحفاده
وسبب قتله هؤلاء الملوك وفتكه وتمزيقه ستر حياتهم وهتكه ان بلاد العجم كانت
لا تخلو عن الملوك الاكابر ومن ورث الملك والسلطنة كابرا عن كابر وهي ممالك
واسعه أطرافها شاسعه مدنها وافره وقراها متكاثره وأوتادها وتادها راسخه
وعراني أطوادها شامخه ومخدرات قلاعها ناشزه ومضمرات مكامنها ومعادنها غير
بارزه وكواسر أكاسرها كاسره ونواشز جوارحها للظهور ناشره وغور دمارها
طامره وبدور شطارها طافره وثعابين أبطالها في جداول الجدال ظاهره
وتماسيح أقيالها في بحار الضراب قاهره فنظر تيمور بعين بصيرته في وذيلة تأمله
ومرآة فكرته فرأى أنه لا يزكو له ورد عارضها من شوكة عارض ولا يصفو ورد

ثغر فائضها من شارب معارض ولا يثبت له في بنيان ممالكها اساس محكم ولا
ينبت له في بستان ممالكها غراس ينمو وكان قصده ابقاء مبانيها واجراء اموره
على ما اقتضته التوراة الجنكزخانية فيها فلم يمكن عمل فلاحة سلطنته في بسيط
ارضها وسوق انهار اوامره في ضراب ممالكها ومساوة رضها الا بقلع علائق
اقساب اكابرها وكسر قوادم اخشاب احساب اكابرها فسعى في استيصال
فرعهم واصلهم واجتهد في اهلاك حرثهم ونسلهم وجعل لا يدع لهم بيزرة نطفة في
ارض رحم الا قلعها ولا يشم منهم رائحة زهرة في كم كمين الا قطعها وقيل انه كان
في مجلس فيه اسكندر الجلابي وكانه كان مجلس نشاط ومقام انشراح وانبساط
فسأل اسكندر في ذلك المحضر وقال ان حكم القضاء بفساد بنيتي من تراه يتعرض
لاولادي وذريتي فاجابه وهو في حالة الشطح وقد حلت عليه دماغه ووضع سراج
العقل منها فوق السطح اول من ينازع اولادك المشائيم انا وارشيوند وابراهيم
فان نجا من مخاليبي منهم احد فانه لا يخلص من انياب ابراهيم الاسد وان افلت
احد منهم من ذلك البند فانه لا مخرج له من شرك ارشيوند وكان ارشيوند وابراهيم
غائبين فلم يتعرض تيمور لاسكندر بضرر وشين واراد بالابقاء عليه وقوعه مع
صاحبيه فلما افاق اسكندر ليم على ما قال فقال لا مفر من قضاء الله ولا مجال ولا
عتب في ذلك علي انطقني بذلك الله الذي انطق كل شيء ثم ان اسكندر وابراهيم
هربا فقبض على ارشيوند والقاه في النازعات فصار نبأ وهتك حريم عمره اذ جرعه
اول الرعد واقراه آخر نوح رسيا ثم ان اسكندر لم ير له اثر ولا سمع عنه الى يومنا هذا
خبر وكان كبير الهامة طويل القامة اذا مشى بين الناس كانه علامة حتى
قيل ان مدى ذلك القصر المشيد كان نحوا من ثلاثة اذرع ونصف بالحديد وابراهيم
القمي استمر على انكماشه ثم مات على فراشه فكان ذلك سبب ايراده الملوك
وابناءهم المهالك

(فصل) ثم ان تيمور عصى عليه كودرز في قلعة شيرجان وقال ان مخدومي
شاه منصور موجود الى الآن وكان هذا الكلام فاشيا في الخاص والعام فكان
كودرز يتوقع ظهوره ويرتجي على ذلك اعوامه وشهوره فحاصر تيمور قلعة
شيرجان فلم يتح له عليها سلطان فوجه اليها ساكر شيراز ويزد وابرقوه وكرمان

واضاف اليهم سجستان وذلك بعد ان شملها العمران وكان نائبها يدعى
شاه ابا الفتح فحاصروها نحوا من عشر سنين وهم ما بين طاعنين فيها وعليها مقيمين
وهي بكر لا تفتح لطالبها بابا وعانس لا يملك خاطبها منها خطابا وكان تيمور ولى
كرمان شخصا يدعى ايدكو من اخوان السلطان فكان هو المشار اليه ومن
العسكر هو المعول عليه ولما تحقق كردر زمن شاه منصور وفاته وخذله الانصار
واعجزه الانتصار وفاته وكان ابو الفتح يراسله كل ساعة ويتكفل له عند تيمور
بالشفاعة أذعن للصلح واستعمل لذلك أبا الفتح ونزل مترامياً عليهم وسلم الحصن
اليهم فحنق ايدكو عليه لكون عقد الصلح لم يحصل على يديه فقتله من ساعته ولم
يلتفت الى أبي الفتح وشفاعته فاخبر تيمور بذلك وكان في بعض الممالك فغضب
عليه غضبا شديدا ولكن فات التدارك

(فصل) مما حكى عن ايدكو هذا متولى كرمان انه كان بها السلطان أحمد
أخي شاه شجاع ولدان صغيران أحدهما يدعى سلطان مهدي والآخر سليمان خان
وكان سليمان خان في غاية الحسن واللطافة حاويا معاني الملاحة والظرافة معنى
بالكمال مربى بالدلال ألفاظه رائقة وألحاظه راشقة والارواح اليه شائقة
وأرباب الالباب له عاشقة حركاته في القلوب ساكنة ولفتاته للخلق فاتنة كما
قيل شعر

نسيم صبح في غلالة ماء * وتمثال نور في أديم هواء

عمره اذ ذاك ستة أعوام ولكن مفتتن به الخاص والعام فعزم ايدكو على اتلافهما
والحاقهما بأسلافهما ولم يكتف من تلك الدرة بانها صارت يتيمة ولا رق لامهما
التي خربت ديارها الكروب واخدرت كريمه ولم يكن لهما دافع ولا عنهما مانع
فطلب من الجلادين من يعتمد في ذلك عليه فلم تطب نفس أحد أن تمتد يد مكروه اليه
ومضى على ذلك مدة والخلق بسبب هذه القضية في ضيق وشدة حتى وجدوا عبدا
أسود كأنه للبلا مرصد وكان الشياطين له عبدة والعفاريت له جنود وحفدة
وثوب ليل القهر من سدا سواده انتسج وأصل الشجرة التي طلعها كأنه رؤس
الشياطين من حبة فؤاده نبت فنتج يستلذ عنده مدى صوته خوار الثيران ويستحسن
عند خيال صورته مشاهدة الغيلان قلت شعر

زبانية النيران تنكر وجهه * ومن تراه تستعيذ جهنم

قد نزع الله من قلبه الرحمه وجبل فؤاده على المأثمه فارغب وفي أن يعذبهما ويقتلهما
وكانت عين سليمان خان رمدا وقد سكن في حجر دايته وتمددا فدخل عليه ذلك
الظالم من ساعته واغتاله وهو راقد في حجر دايته فضربه في جنبه بخنجر أنفذه من
الجنب الآخر فارتفع الضجيج والولوله ووقع الهجيج في الناس والزلزله وهم المأتم
أمه الوالهة وأهلها وطفق الناس يبكون عليها وعليها والظاهر ان هذه الامور كانت
باشارة تيمور وعسكر ذلك الظلوم الكفار ما كان يخلو من مثل هذه الشرور
والاشرار ولو كان فاعله من غيرهم لكن لعلة المصاحبة والمرافقة كان يسير
بسيرهم

(حكاية) لما ارتحل من الشام بجنوده الغزيره كان مع واحد منهم أسيره قد
كشف أيدي النوائب قناع عصمتها ولطمتها وعلى يدها بنت لها رضيع ففطمتها
فلما قربوا الى حماه جعلت البنت تئن أنين الاواه ولما بها من المضض المنكي
تتشكى وتبكي ومعهم جمال من بغداد منطو على الفساد محتو على النكاد
مجبول على الفظاظة والقساوه معمول من الفظاظة والغباوه خلي من البقا
متضام من الاذى لم يخلق الله تعالى في قلبه من الرحمة شيأ فينزع ولم يودع لسانه
لفظا من الخير فيسمع وأخذ تلك البنت من أمها فدارى وهو انه انما أخذها ليخفف
عنها من همها وكانت راكبة على جمل ثم انقطع ساعة عن الثقل ثم وصل ويده
خاليه وقهقهته عاليه فاستكشفت أمها حالها فقال مالي ومالها فهوى عقلها
ووهى فطرحت نفسها وخبت نحوها فأخذتها وانقلبت وأتت بها وركبت
فتناولها منها امرأة أخرى على أن لا يسوءها ضرا ثم غاب عنها ورجع وقد صنع
كما صنع فألقت نفسها ثانيه وعدت اليها ثانيه وجاءت وهي عانيه وقطوف
حتوفها دانيه فركبت وأخذتها ووضعتها على كبدها التي منها فلذتها فأخذها
منها امرأة ثالثه بنية في الفساد عابثه وحلفت لها يمينا حانثه انه يحملها ويرنوه
ولا يمسها بسوء ولا مساءة ثم خرج عن سمة الجادة ورمى بها في بعض البطاح
ومثل بها ما فعل اليهودي بصاحبة الاوضاح وجاء ويده الدامية بالاثم ملآى
ومن البنت فارغه وقد سلبها اسلابها وجلب الى أمها جلابها فأطرحت نفسها باكيه

ورامت الرحى جاريه فقال لها الا تنتهي كفيتك همها فارحي واركبي فبكت
وصاحت وأنت رناحت ووقعت في العناء وان كانت استراحت والناس على
دين ملوكهم سالكون طرائق سلوكهم

(سبب دخوله الى عراق العرب وان كان ابداؤه لا يحتاج الى علة وسبب)

ولما خلص لتيمور جميع ممالك العجم ودانت له الملوك والامم وانتهت مراسيمه
الى حدود عراق العرب غضب السلطان أحمد صاحب بغداد واضطرب فجهز جيشا
عرمرما وجعل رئيسهم أميرا مقدما يدعى سنتاي فتوجه الجيش نحو
الجغتاي فبلغ تيمور خبر الجيش وخبره فسر بذلك قلبه وانشرح صدره فجعل
ذلك سببا لمهاوشته وذريعة لمحاربة ملك العراق ومناوشته وانتدب جيشا كرارا
بل بحرا زخارا فتلاقيا بصدق نية على مدينة سلطانية فصدق كل منهما صاحبه
الضربة وسدد نحره ألسنة الاسنة وسهام الحرب واستمد بحر الجغتاي من
أمواج أمواجه واصطدم فانكسر قساطله فثبات سنتاي فانهزم ووصل
كلهم الى بغداد وتشتتوا في البلاد فالبس السلطان أحمد سنتاي القنعه وأشهره
في بغداد بعد ان ضربه وأوجعه وكف تيمور عن عناده وقفل متوجها الى بلاده

(ذكر سكون ذلك الزعزع الثائر وهدو ذلك البحر المائر
لتطمئن منه الاطراف فيحطمها كما يدور بهم الدوائر)

ثم ان تيمور خرج من سمرقند الى ضواحيها وجعل ينتقل في جوانبها ونواحيها وبنى
حواليها قصبات سماهن بأسماء كبار المدن والامهات وقد صفت له سمرقند
وولاياتها وممالك ما وراء النهر وجهاتها وتركستان وما فيها من البلاد ونائبها
من جهته يدعى خدا داد وخوارزم التي بها اتلك وسطا وكاشغر وهي في بحر ممالك
الخطا وبدخشان وهي ممالك على حده من ممالك سمرقند متباعده واقاليم
خراسان وغالب ممالك مازندران ورستمدار وزابلستان وطبرستان والري
وغزنة واستراباد وسلطانية وسائر تلك البلاد وجبال الغور المنيعه وعراق
العجم وفارس الشاهقة الرفيعه وكل ذلك من غير منازع ولا مجادل ولا ممانع وله
في كل مملكة من هذه الممالك ولد أو ولد ولد أو نائب معتمد

غودج

(نموذج مما كان يغور ذلك الظلوم الكفور من عساكره في بحور ويغوص على أمور ثم يفور بشرور ومن جملة ذلك غوصه بما وراء النهر وخروجه من بلاد اللور)

ثم انه مع اتساع مملكته وانتشار هيبته وصولته وشيوع أراجيفه في الاقطار وبلوغ تخاويفه الاقاليم والامصار وثقل أثقاله وعدم اشتغاله بوجهة الى جهة وانتقاله كان يجري في جسد العالم مجرى الشيطان من ابن آدم ويدب في البلاد دبيب السم في الاجساد قلت شعر

يصوب بعينه ويصيب بيسره * وينوي بجهة والقصد نثره

بينا يكون له في المشارق بيارق فيالق اذ لمع له في المغارب بوارق بوائق وبينا نغمات طبوله وضربات أعواده تقرع في حصار العراق اصبهان وشيراز واذا برنات أوتاره وبوقات أبواقه تسمع في مخالف الروم ومقام الرهاوي وركب الحجاز فمن ذلك انه مكث في سمرقند مشغولا بانشاء البساتين وعمارة القصور وقد أمنت منه البلاد واطمأنت الثغور فلما انتهت أموره وبلغ الكمال قصوره أمر بجمع جنده الى سمرقنده ثم أمرهم أن يصنعوا لهم قلانس ابتدعها على صورة من التركيب والتضريب اخترعها فلبسوها وساروا يسيرون وما يدرون الى أين يصيرون ليكون ذلك لهم شعارا وقد كان أرصد له في كل جهة من ممالكه جشارا ثم رحل عن سمرقند وأشاع انه قاصد خجند وبلاد الترك وجند ثم انه اندمس في دردور عساكره وانغمس كأنه في لجة بحر انغمس ولم يدر أحد أين عطف ولا أي قصد المختطف ولا زال في تأويب وإسآد ويجوب بلادا بعد بلاد يجري مجرى الكواكب ويسير سير الركائب ويطرح كلما وقف من مجانب الجنائب حتى نبغ من بلاد اللور ولم يكن لاحد به شعور وهي بلاد عامرة خيراتها متكاثرة وفواكهها وافرة اسم قلعتها بروجرد كهما عزالدين العباسي وقلعتها وان كانت في الضيق لكن كانت تسامي بمناعتها حصون الجبال الرواسي وهي مجاورة همذان ومناظرة عراق العرب كأذربيجان فأحاط بالقلعة وما حوالها وحاصر ملكها المتولي عليها ولما كان صاحبها بلا عدد ولا مدد ولا أهبة ولا عدد وكان في صورة

المتوكل المحتسب وأتاه البلاء من حيث لا يحتسب لم يسعه الا طلب الامان والانقياد له والاذعان فنزل اليه وسلم قياده فقبض عليه وضبط بلاده ثم أرسله الى سمرقند وحبسه وضيق عليه نفسه ونفسه ثم بعد ذلك بمدة اطلقه ورفع عنه ما نابه وصالحه على جمل من الخيل والبغال ورده الى بلاده واستنابه ولما استخلص ذلك الكفور ولايات تلك الكفور واصل السير الى همذان في أقرب زمان فوصل اليها وأهلها غافلون فجاءها البأس بياتا أو وهم قائلون فخرج اليه منها رجل شريف يقال له مجتبى وكان عند الملك مصطفى ولديهم مرتضى فشفع فيهم فشفعه على أن يبذلوا مال الامان ويشتروا بأموالهم ما من عليهم به من الارواح والابدان فامتثلوا أمره وفعلوا ووزعوا ذلك جمعه والى خزائنه نقلوا فدعته نفسه الجانيه أن طرح عليهم المال مرة ثانيه فخرج اليه ذلك الرجل الجليل ووقف في مقام الشفاعة مقام البائس الذليل فقبل شفاعته ووهبه جماعته ثم انه سلك بمكانه وجثم حتى تلاحق به عسكره والتأم

﴿ابتداء تخريب ذلك الحزب أذربيجان وممالك عراق العرب﴾

ولما بلغ السلطان أحمد ابن الشيخ اويس ما فعله بقمر ربا جيرانه الاعور وهمذان ذلك الاويس علم انه لا بد له من قصد ممالكه ودياره لانه مونا داه بالشر وطرح على شراره طائر شراره وان عسكره وان كان كالسيل العامر فانه لا مقاومة له ببحره وتياره وانه اذا جاء نهر الله بطل نهر عيسى ولا مقابلة لسحرة فرعون مع عصا موسى قلت شعر

السيل يتلع ما يلقاه من شجر * بين الجبال ومنه الصخر ينفطر
حتى يوافي عباب البحر تنظره * قد اضمحل فلا يبقى له أثر

فاستعد للبلاء قبل نزوله وتأهب له قبل حلوله فشمر للهزيمه وعلم أن اياب سالما نصف الغنيمه واقتصر من بسيط فقه المقاتلة والمقابلة على الوجيز وصمم على الخروج من ممالك بغداد والعراق وتبريز وقال لنفسه النجاء النجاء وحوز ما يخاف عليه صحبة ابنه السلطان طاهر الى قلعة النجاه وأرسل الى تيمور الاشعار والاهاجاء في ذلك ما ترجمته وهو شعر

أثن

لئن كانت يدي في الحرب شلا * فرجلي في الهزيمة غير عرجا

ثم قصد البلاد الشاميه وذلك في سنة خمس وتسعين وسبعمائه في حياة الملك الظاهر أبي سعيد برقوق رحمه الله تعالى فوصل تيمور الى تبريز ونهب بها الذليل والعزيز ووجه الى قلعة النجاء العساكر لانها كانت معقل السلطان أحمد وبها ولده وزوجته والذخائر وتوجه هو الى بغداد ونهبها ولم يظفر بها ولكن سلبها اسلبها وكان الوالي بالنجاء رجلا شديد البأس يدعى التتون عند السلطان أحمد مأمون وله اليه ركون ومعه جماعة من أهل النجده وأولي البأس والشده نحوا من ثلاثمائة رجل في العده فكان ينزل بهم التتون اذا أخذ الليل في السكون ويشن الغارة على تلك العساكر والمكان المسكون فوهن أمر العسكر فأبلغوا تيمور هذا الخبر فأمدهم بنحو أربعين ألف مقاتل مشهور مع أربعة أمراء كبيرهم يدعى قبلغ تيمور فوصلوا الى القلعة ولم يكن اذ ذاك التتون فيها وكان قد خرج الناس للغارة على من في ضواحيها فبينا هو راجع اذا بالنقع ساطع فلما اطلع طالع الخبر قال أين المفر فقيل كلا لا وزر فعلم انه لا ملجأ من الله الا اليه فثبت جأشه وحاشيته وتوكل عليه وقال ان الرؤس في مثل هذا المقام انما يكونون تحت الاعلام فاحطموا وانحوا قلب هؤلاء اللئام فاما أن تبلغوا المرام أو تعرتوا على ظهور الخيل وانتم كرام اذ لا ينجيكم من هذا الكرب سوى الطعن الصادق والضرب قلت شعر

كر عاصت والا مت انيما * فما والله بعد الموت موت

فتعاضدوا بهمة صادقه وعزيمة على حصول الخلاص من الله تعالى واثقه وقد أحاطوا بهم احاطة الشبكة بالسمكه وصاروا في وسطهم كالغزال في الفلكه وقصدوا الراية وحاملها ومن بها وذويها فساعدهم ساعد السعد للعيان بنصرته وحل عنهم العبض الداخل انكيس عقلته فأمالوا على راياتهم ذات البياض من الدماء حمره وفتحت لجماعتهم طريق الى عقبة النصره فلاح لهم فلاح ونجع لهم نجاح فنجوا من الشرور وحصل لهم السرور بعد ان قتلوا من العسكر أميرين أحدهما قبلغ تيمور ولما وصل هذا الخبر اليه اسودت الدنيا في عينيه بل انقلب الكون والمكان عليه ثم نهض اليها بنفسه وراض عليها بحرسه وأحاط بجوانبها والقم

الحرس أفواه مضاربها

صفة قلعة النجاة

وهذه القلعة أمنع من العقاب وأرفع من السحاب يناجي السماك سماكها ويباهي الأفلاك استقساً كأنما كأن الشمس في شرفها ترس من الإبريز على بعض شرفها وكأن الثريا في انتصابها قنديل معلق على بابها لا يحوم طائر الوهم عليها فأنى يصل طائش السهم إليها ولا يتعلق بخدم خدمتها خلخال خيال وافتكار فضلاً عن أن يعلق على معصم معصمها من عساكر الأساور سوار وكان التتون قد ترقى في ترائب ترائبها وأهل مكة أخبر بشعابها فصار كأنه جني الليل الساجي وأرصد لسراق الشياطين عيونه الرواجم يهبط من تلك القلال ويسري سرى طيف الخيال ودبيب الشحم في اللحم والماء في العود والنار في الفحم من درب لم تتوهمه الظنون بعون من لا تراه العيون بحيث لا يشعر به الحرس ولا يبصره العسس ولا يزال يتلو عليهم آيات الإغفاء وينفث بطلسماته الاستخفاء ويتقرب ويترقب حتى يلوح له في الحي مضرب فيقتل ويسلب وينهب ويهرب فيكر سالماً ويفر غانماً فلم يزل ذلك دأبهم ودأبه حتى أعجز تيمور وأصحابه فلم ير تيمور أوفق من الارتحال لضيق المجال وعسر المنال فارتحل عنها بعد أن رتب عليها الحصار البرك واستمر الحصار مدة طويلة لقضاء القضاء ولله أمر فاتهم قال تجزك قيل إنها مكثت في الحصار اثنتي عشرة سنة وسبب أخذها أن التتون المذكور كان له أخ بالفسق مشهور فحصل بينه وبين أم السلطان طاهر شيانة أوجبت عليهما ما يجب على العاهر فاطلع على ذلك طاهر ابن السلطان أحمد فقبض عليهما وقتلهما سالكاً في ذلك الرأي الأسد وكان إذ ذاك التتون من القلعة غائباً قد خرج منها وقصد للغارة جانباً فلما رجع التتون أغلقوا باب القلعة عليه ورموا بأخيه من فوق السور إليه وأخبروه خبره وبجره وبجره فقال جزاكم الله أحسن الجزاء وجعل حظكم من الخيرات أوفر الأجزاء لو كنت ها هنا لفعله أو حاضراً لقتله لما ملته عما هواه وفعلت به ما يجب فعله ويحل به من الزمان دواهيه ولأريتكم العبر فيه ولأشهرته في خلق الله تعالى وبريته وناديت عليه هذا جزاء من يخون ولي نعمته ثم

طالب

طلب الدخول فقطعوه عن الوصول فقال اما أخى فانه جنى وذاق ثمرة ما جناه
وأما أنا فانى على الوفاء بعهدكم من الازل والى حين الوفاه ولم أزل موالى وليكم
ومعادى عدوكم فان طردتمونى فالى أين أذهب وان رددتم رغبتى فيكم ففيمن
أرغب فقالوا ربما أدركتك الحميه وحملتك العصبيه فتذكرت أخاك وتفكرت
شدة ألمك بعد رخائك فنقمت وانتقمت واعوججت بعدما استقمت وتكدر منك
ما صفا وناهيك قصة الاخوين مع ذات الصفا وقد قيل شعر

ويمكن وصل الحبل بعد انقطاعه * ولكنه يبقى به عقدة الربط

فأنشأ لهم أيمانا واثقه ان كلماته وعهوده صادقه فقالوا له لا تطل فما بيت مالك
عندنا مقيل ولا مبيت فارجع من حيث جئت وهذا آخر العهد منك غضبت أم
رضيت فأخذ يندم دهره ويعض يديه ندامة وحسره على انه انفذ عمره فى طاعة
من لم يعرف قدره ثم ولى فتدلى وعبس وتولى وسيب فرسه وماله وفرق خيله
ورجاله ولما لم يكن له ملجا سوى قلعة النجا وقد خرجت من يده وألقت النار
فى كبده ضرب أخماسا لأسداس فيمن يقصده من الناس ثم أورى برأيه الزند
أن يقصد مدينة سمرقند وكانت تحت حكم تيمور وفيها أوامره تمور فسالها وقصد
حاكمها لابسا لبدا وتاركا مالا وولدا ولما اتصل بحاكمها الخبر أحاط به الجبن
والخور فاضطرب واقشعر واضطرم واعتكر واخذ الحذر ورام الفر فقيل انه
وحده من غير رجال وعدد فرجع عقله اليه ودخل القرن عليه فأخذ فى
التفتيش عن أموره ثم قطع رأسه وأرسله الى تيموره فتحرق لذلك واشتكى
وتأسف عليه وبكى وأرسل الى قاتله فعزله ثم صادره وقتله ثم ان السلطان
طاهرا لما أحدث هذا الحدث وتنجس بهذه الخبائث والخبث لم يمكنه الاقامة
فأذن بالرحيل وأم بجماعته قبلة التحويل اذ انفر عنه مخدرات القلعة فعجز عن
احصان تحصينها وعنن فى اقتضاض أبكارها وعونها وقل جيشه وانفل فسل
مقاصعها وانسل فذل لتيمور صعابها وفتح له من غير معالجة بابها فولى فيها من يثق
به من الاعوان ووصى به لعله المجاورة الشيخ ابراهيم حاكم شروان ثم ثنى عنان
الفساد الى صوب بغداد فهرب السلطان أحمد كما ذكر الى الشام فى فئه وذلك فى
خمس وشوال سنة تسعين وسبعمائه فوصل اليها حادى عشر يوم السبت فسكنها

ومن حواليها أي كيت نم صدره وقبيله من ولاية بغداد قاصدين ديار بكر وأرزنجان

﴿ذكر أخبار صاحب بغداد وأسماء آبائه والاجداد﴾
(وكيفية دخوله الى هذه البلاد)

وهو السلطان غياث الدين أحمد ابن الشيخ أويس ابن الشيخ حسن بن حسين بن اقبغا بن ايلكان صاحب بغداد وآذربيجان وما أضيف الى ذلك من ولايات وممالك وايلكان جده الاعلى ابن الخان الكبير المجيد شرف الدين سبط الملك أرغون ابن أبي سعيد كان والده الشيخ أويس من أهل الديانة والكيس ملكا عادلا واماما شجاعا فاضلا مؤيدا منصورا صابرا شكورا قليل الشر كثير البر صورته كسيرته حسنه وكانت دولته تسع عشرة سنه وكان محبا للفقراء معتقدا للعلماء والكبراء وكان قد أبصر في منامه لوقت موافاة حمامه فاستعد لحلول فوته ورصد نزول موته وخلع من الملك يده وولى حسينا ولده وهو أكبر بنيه والافضل من أهله وذويه ونبذ دانيه ودنياه وأقبل على طاعة مولاه واستعطفه الى الرضى والعفو عما مضى ولازم صلاته وصيامه وزكاته وقيامه ولازال يصلي ويصوم حتى أدركه ذلك الوقت المعلوم فاظهر سره المصون وتلا اذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون فدرج على هذه الطريقة الحسنه وقبره زينها وثلاثين سنه ومن مغرب تبريز اول قرة وفي سنة ست وسبعين وسبعمائة وصل الى الشام خبره واستقر ولده جلال الدين حسين مكانه وأفاض على رعيته فضله واحسانه وكان كريم الشمائل جسيم الفضائل وافر الشهامه ظاهر الكرامه أراد أن يمشي على سنن والده ويحيي ما دثر من رسوم آثاره ومعاهده فكدرت الاقدار وخالطت صفو مساعيه الاكدار وفي سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة وصل من قصاده الى الشام ثقه وهم القاضي زين الدين علي بن جلال الدين عبد الله بن نجم الدين سليمان العبابقي الشافعي قاضي بغداد وتبريز والصاحب شرف الدين بن الحاج عز الدين الحسين الواسطي وزير السلطان وغيرهما ثم في جمادى الآخرة من هذه السنة وثب السلطان أحمد على أخيه المشار اليه فقتله وقام لينصر الملك والدين مكانه

بخذله فلأجل حياته من المنافسة وعمره اذ ذاك نيف وعشرون سنة ولما
استولى السلطان على ممالك العراق مدة تمديه وضم جناح الشفقة والارفاق
وشرع يظلم نفسه ورعيته ويذهب في الجور والفساد يومه وليلته ثم بالغ في
الفسق والفجور فتجاهر بالمعاصي وتظاهر بالشرور واتخذ سفك الدماء الى
سلب الاعراض وثلم الاعراض سلما فقيل ان أهل بغداد هجروه واستغاثوا بتيمور
فأغيثوا ايماء كالمهل يشوى الوجوه فلم يشعر الا والتتار قد دهمته وعساكر الجغتاي
خيلا ورجالا حطمته وذلك يوم السبت المذكور من الشهر المشهور فاقتحموا
بخيلهم ورجلهم وقصدوا الأسوار ولم يمنعهم ذلك البحر التيار ورماهم أهل البلد
بالسهام وعلم أحمد انه لا ينجيه الا الانهزام فخرج فيمن يثق به قاصدا الشام فتبعه
من الجغتاي طائفة لئام فجعل يكر عليهم ويردهم ويفر منهم فيطمعهم وحصل
بينهم قتال شديد وقتل من الطائفتين عدد عديد حتى وصل الى الحلة فعبر من
جسرها ثم رد حله ثم قطع الجسر وتجاهل ورطة الامر واسرعت التتار في عقبه
تكاد انوفها تدخل في ذنبه فوصلوا الى الجسر ووجدوه مقطوعا فتراموا في الماء
وخرجوا من الجانب الآخر ولم يزالوا تابعاوه متبعوها فماتهم ووصل الى مشهد الامام
وبينه وبين بغداد ثلاثة أيام

﴿ذكر ما افتعله من الخديعة والمكر في بلاد أرزنجان وديار بكر﴾

ووصل الى ديار بكر واستخلصها من أيدي ولاتها اخلاصها فعصت عليه قلعة
تكريت فتسلط عليها من عساكره كل عفريت وذلك يوم الثلاثاء رابع عشر ذي
الحجة وقد ارتجت منه البلاد أشد رجة فحاصرها وأخذها في صفر بالامان ونزل اليه
متوليها حسن بن بولاتمور متدرع الاكفان وفي حضنه وعلى عاتقه أطفاله وقد ودعه
اهله وماله واسلمه خيله ورجاله وذلك بعد ان عاهده أن لا يريق دمه فارسله الى
حائط فنقض عليه وردمه وقتل من بها من رجال وسبى النساء وأسر الاطفال
وجعل يعيث ويستأصل ويقطع في الفساد ويوصل حتى اناخ يوم الجمعة حادي
عشر صفر سنة ست وتسعين الى الموصل فأخربها وكسرها ثم أتى رأس عين ونهبها
وأسرها ثم الى الرها ضحوة ودخلها يوم الاحد عشر شهر ربيع الاول فزادهم بقا

وعاد وجارى فيما عاندعود وعادا وخرج من تلك البلاد ثانى عشر يه يوم الاحد ثم اختار من نسور قومه طائفه على ورد الدماء حائمه وعلى قتل المسلمين عاكفه فأخذهم واندعر وفى تلك ديار بكر انغمر ولم يزالوا بها عابثين ولأذاها قاصدين وعليها طالبين وفيها ماردين فقصدها بتلك العفاريت المصاليت وواصل السير اليها فوصل فى خمسة أيام من تكريت ومسافة ما بينهما للمجد اثنى عشر يوما ان لم تزد وكان سلطانها الملك الطاهر تحقق انه لا يفر من التجأ اليه وقدم فى ثوب الطاعة عليه فما وسعه الا التشبث بذيل ذمه والانتظام فى سلك خدمه

ذكر ما جرى لسلطان ماردين عيسى الملك الطاهر من المحنة والبلاء مع ذلك الغادر الماكر

لكنه خاف غائلته فجمع حاشيته وحاشيته وقال انى ذاهب الى هذا الرجل ومظهر له الانقياد فان ردنى حسبما أريد فهو المراد وان طالبنى بالقلعة فكونوا أنتم على التأبى والمنعه واياكم أن تسلموها اليه أو تعتمدوا فى الكلام عليه وان دار الامر بين تسليم القلعة وبين تلافى فاحتفظوا بالقلعة واجعلوا التلافى فى تلافى فانكم ان تسلموها اليه خسرتم من باطنكم وظاهركم وأتى بالهلاك على أولكم وآخركم وخسرتم شعاركم ودثاركم وغبنتم أنفسكم ودياركم واذا كان كذلك فانا أجعل نفسى فداكم وأكفيكم برحى عادها كم وبعض الشر أهون من بعض وها أنا أجس لكم النبض ثم قصد ذلك الكالح المفسد الطالح بعدما استخلف ابن أخيه الملك الصالح شهاب الدين أحمد ابن الملك السعيد اسكندر ابن الملك الصالح الشهيد ونزل يوم الاربعاء خامس عشرى شهر ربيع الاول سنة ست وتسعين وسبعمائة واجتمع به فى سطح بمكان يسمى الهلالية وقابله بشنعه وقبض عليه بسرعه وطلب منه تسليم القلعه فقال القلعة عند أربابها وبيد أصحابها وأنا أملك الا نفسى فقد قدمتها اليك وقدمت بها عليك فلا تحملنى فوق طاقتى ولا تكلفنى غير استطاعتى فاتى به القلعة وطلبها منهم فأبوا فقدمه اليهم ليضرب عنقه أو يسلموه فتأبوا فطلب منه فى مقابلة الامان من الدراهم الفضية مائة تومان كل

تومان ستون ألفا خارجا عما يتقرب به اليه زلفا ثم انه شد وثاقه وسد عليه ليذهب عنه ما به من قوة كل باب وطاقة وشمر لافساد ذيله وجعل يجر رجله ويعمل خيله ويتعوق كاسات فساده ويعربد على عباد الله وبلاده واستمر على ذلك لا يعي ولا يعيق ويتردد ما بين الفردوس الحرمل ونصيبين والموصل العتيق ثم أمر عساكره في جمادى الآخرة أن يجروا قاصدين ويقصدوا ماردين فسابقوا الطير ولاحقوا السير وجاوزوا بالنهار الانهار وبالليل السيل فقطعوا قفار القفار قطع الهندي وعلوا في تلك الجبال والقلال عما قاله الكندي وهو

سموت اليها بعد ما نام أهلها * سمو حباب الماء حالا على حال

فوصلوا اليها على غفلة واحتووا عليها من غير مهلة وذلك يوم الثلاثاء ثاني عشره وقد سل الصبح حسام فجره وطار غراب الدجى من وكره فصاروا اسوارهم تلك الاسوار وأحاطوا الدمار بتلك الديار فعموها رجما وساموها خسفا وعقوها رجفا ودكوها وصفا وتعلقوا بأهداب أرجائها وتسلقوا بالسلالم من أرضها الى سمائها وكان متسلقهم على الاسوار من القبلة رابية اليهود ومن الغرب التلول ومن الشرق المنشار فأخذوا المدينة عنوة وقهرا وملؤها فسقا وكفرا وترفع أهل المدينة الى القلعة ولم يكن لاحد سواهم علو المنزلة والرفعة واعتمدوا ملتجين الى قواعدها وشرافها وذب عنهم من القلعة بالسهام والمكاحل من كان فيها فقتلوا من ظفروا به ذكرا وأنثى صغيرا وكبيرا ولم يرتضوا بما فيها انتهابا ومن فيها أسيرا فقاتل بعض الناس وأظهر لهم بعض الجلاده وأراد بتثبيتهم أن يضم الجهاد الى الشهاده ولا زالت آيات القتال عليهم تتلى حتى امتلأت المدينة من الجرحى والقتلى واستمر ذلك من قبل طلوع الشمس الى أن صار اليوم أمس وحين التقى على وجنتي السكون عارضا الليل واستوفى أولئك الطغمون من ظلمهم وتعديهم الميزان والمكيل وبادر نون الظلام يونس الشمس بالالتقام طرأ على تلك الحركات السكون فتراجعوا ونزل العسكر مقابل عربون وقد قتل من العسكرين ما سبق العدد وأكثرهم كان من أهل البلد فباتوا يعدون السلاح ويثقفونه وينتظرون الصباح ويستبطؤنه الى أن شق الليل مكتوم جيبه وأظهر الظلام مكنون غيبه وأمر السكون وحش النهار أن يضرب على جنبي الآفاق أطرافا شيبه فكروا كرور

الغراب وبدروا الى الحراب والضراب وعصروا أهل المدينة وحاصروها أشد حصر وهدموها وأسوارها من الظهر فعفوا آثارها بعد العصر ثم باؤا بالآثام وقد انتشر كظلمهم الظلام

﴿ايضاح ما أخفاه من الحيله وصدور تلك الافكار الوبيله﴾

ولما آب ايله بالخيبه ولم يمكنه تحصيل القلعة بالهيبه شحذ فكرا وجدد مكرا وتاب عن المقابحه وثاب الى المصالحه فودع ذلك التلبيس في نهار ذلك الخميس وأرسل اليهم يقول ضمن كتاب مع الرسول نعلم أهل قلعة ماردين والضعفاء والعجزة المساكين انا قد عفونا عنهم وأعطيناهم الامان على نفوسهم ودمائهم فليأمنوا وليضاعفوا الادعية وهذه الرسالة نقلتها كما وجدتها فما استتب كيده ولا أنجح قصده لان رصدها كانوا غير راقدين وشياطين حرسها كانوا كالجن ماردين فارتحل ذلك البليه بكرة السبت الى البشريه وأرسل الى آمد الجنود مع أمير يدعى سلطان محمود فتوجه بجيش طام وحاصرها خمسة ايام وأرسل يستحثه عليها فتوجه بنفسه اليها وأسلها الحوبات فطلبوا الامان فأمن البواب ففتح له الباب فدخل من باب القتل ووضع السيف في الكل فأباد الجميع العاصي منهم والمطيع وأسروا الصغار وهتكوا أستار الحرم وحرم الاستار وأذاقوا الناس لباس الباس والتجأ بعض الناس الى الجامع فقتلوا منهم نحو ألف ساجد وراكع ثم حرقوا الجامع ورحلوا وتركوها بلاقع وهداه ابليس الى أخذ قلعة أرسيس ثم بادر بالتحريك وحط على قلعة أونيك وفيها مصر بن قرا محمد أمير التركمان فحاصرها وأخذوها بالامان وذلك في سنة ست وتسعين وسبعمائة بعد عيد رمضان ثم قتل كل من كان بها من الجند وصير مصر الى سمرقند

﴿فصل﴾ ثم استصحب الملك الطاهر بسوقيه ورحل سابع ذي القعدة سنة ست وسبعين وسبعمائة وحبسه في مدينة سلطانيه وحبس عنده من أمرائه الامير ركن الدين وعز الدين السليماني واستبوغا وضياء الدين وضيق عليه بأن يقطع عن أهله خبره بحيث لا يدرى أحد بحره وبره ولما أحكم شدة الوثاق قصد التوجه الى دشت قبچاق فأجرى نحوها ما أقام من الفتنة على قدم وساق ومكث

الملك الطاهر سنة لا يدري أحد خبره في يقظة ولا سنة ثم وفدت الملكة الكبرى
الى سلطانيه وخففت عنه ما به من ضيق وبليه وفتحت له في مراسلة جماعته
وحرضته على طلب الدخول في رضى تيمور وطاعته زاعمة أنها ناصحة له وطالبة مصلحته
وكان ذلك من مكائد تيمور وباشارته ثم رجع تيمور من الدشت في شعبان سنة
ثمان وتسعين فمكث بسلطانية ثلاثة عشر يوما ثم توجه الى همذان ومكث بها
الى ثالث عشر شهر رمضان ثم استدعى من سلطانية الملك الطاهر باكرام تام
وانشراح صدر وخاطر ففكوا قيوده وقيود متعلقيه وعظموه غاية التعظيم
مع ذويه وتوجه اليه يوم الخميس خامس عشره ودخل عليه يوم السبت سابع عشره
فتلقاه بالاحترام واعتنقه واذهب عنه دهشه وقلقه وقبله في وجهه مرارا
واعتذر اليه عما فعله معه جهارا وقال له انك لله ولي ورفيع القدر كابي بكر وعلي
وتعال منه عما صدر في حقه عنه واضافه ستة أيام وخلع عليه خلع الملوك
العظام وأحله محلا جليلا وأعطاه عطاء جزيلا من ذلك مائة فرس وعشرة بغال
وستون ألف دينار كبكية وستة جمال وخلعا مزركشة مكللة وانعامات وافرة مكملة
ولواء يخفق على رأسه منصورا وستة وخمسين منشورا كل منشور بتولية بلد
وأن لا ينازعه فيه أحد أوّل ذلك الرها الى آمد ديار بكر الى حدود أذربيجان
وأرمينية وكل ذلك من الدهاء والمكر وان جميع حكام تلك البلاد يكونون تحت
طاعته معدودين في جملة خدمه وجماعته يحملون اليه الخراج والخدم ولا ينقلون
الا عن امره قدما عن قدم بحيث يكون أخص كل من يشاوريه بما آتاه الله عليهم
اطلاقا ويبقى هو ولا يحمل الى تيمور ولا الى غيره شيئا وهذا وان كان في الظاهر
كالاكرام فانه فيما يؤول اليه وبال عليه وانتقام وفيه كما ترى ما فيه والقاء العداوة
بينه وبين مجاوريه وبجر ذلك الى أن يلتجي اليه ويعول في كل اموره عليه
ويشغل بكثرة الاعداء عن نصبه فيصل اذ ذاك منه الى بغيته ثم انه شرط عليه
أنه كلما طلبه جاء اليه ثم عانقه وودعه وأمر أمراءه بتشييعه فخرج من الضيق
الى السعة لثالث عشري شهر رمضان ليلة الجمعة سنة ثمان وتسعين وسبعمائة
فوصل الى سلطانيه في عيشة رضية وحالة هنيه ثم عزم على تبريز في جحفل نفيس
عزيز واجتمع بأميرانشاه فزاد في اكرامه وعطاياه وشيعه في أحسن هيئة

واعتن طرز مخافة على وسطان وبدليس وارزن الى الحصون ووصل خبره الى قبائله والعشائر فابتهج الناس ودقت البشائر يوم الجمعة حادي عشرى شوال وخرج اهل المدينة والاكابر للاستقبال وسبق الناس الى عهده الملك الصالح فدخل المدينة بفال سعيد وامر ناجح وتوجه الى مدرسة حسام الدين وزار والده وأمواته الماضين وعزم على ترك الكمت المنيف والتوجه الى الحجاز الشريف فلم يتركه الناس خاصة وعامه وتراموا عليه وقبلوا أقدامه فصعد الى محل كرامته واستقر في كرسي مملكته وسيأتي لهذا الشأن مزيد بيان وماجرى من الامور عند قدوم تيمور وحلول عسكره الشام ماردين بعد خرابهم ممالك الشام قبل ما استقر الملك الظاهر في مملكته اجتمع عنده جماعة من أدبائه قدما حضرته فاقترح عليهم أن يقولوا في ذلك شيأ فقال أولا بدر الدين حسن بن طيفور شعر

طغى تمر واستأصل الناس ظلمه * وشاعت له الحالة بين العساكر
لقد زاد بغيا فافرحوا بزواله * لان على الباغي تدور الدوائر

فقال ركن الدين حسين بن الاصغر أحد الموقعين ثانيا شعر

كن من رجال اذا ما الخطب نابهم * ردوا الامور الى الرحمن واعتصموا
فسلموا الامر لما أن رأوا خطرا * لذي الجلال فلما اسلموا سلموا

فقال القاضي صدر الدين بن ظهير الدين الحنفي السمرقندي ثالثا شعر

طويل حياة المرء كاليوم في غد * تقديره أن لا يزيد على الغد
ولا بد من نقص لكل زيادة * وان شديد البطش ينقص للعبد

ثم قال علاء الدين بن زين الدين الحصني أحد الموقعين رابعا دو بيت شعر

لا تحزن فالذي قضى الله يكون * والامر موكل الى كن فيكون
ما بين تحرك بلحظ وسكون * الحالة تنقضي وذا الامر يهون

فأعجبه ذلك وأجازه خمسة آلاف درهم وصرفه والله أعلم

﴿ذكر رجوعه من ديار بكر والعراق وتوجهه الى مهامه قفجاق ووصف ملوكها وممالكها وبيان ضياعها ومسالكها﴾

ثم انه رجع من عراقي العرب والعجم وقد ثبتت له في ممالكها ايديهم وذلك بعد

أن قدم عليه الشيخ ابراهيم وسلم مقاليد ما بيده من الاقاليم فتقلد طوق عبوديته
ووقف في مواقف خدمته وانتظم في سلك عبيده وأحله محل ولده وسنذكر
كيف تعرف عليه ومن أي طريق تقرب اليه فقصد دشت قبچاق وجدّ في
الوخد والاعناق وهو ملك فسيح يحتوي على ممالك فيح وسلطانها توقتاميش
وهو الذي كان في حرب تيمور امام السلاطين المخالفين كالجاليش اذ هو أول من
بالعداوة بارزه وفي بلاد تركستان واقعه وناجزه وأنجده في ذلك كامرا السيد بركه
وبلاد الدشت تدعى بلاد قبچاق ودشت بركه والدشت باللغة الفارسية اسم البريه
وبركة المضاف اليه هو أول سلطان أسلم ونشر بها رايات الملة الاسلاميه وانما
كانوا عباد أوثان وأهل شرك لا يعرفون الاسلام والايمان ومنهم بقية يعبدون
الاصنام الى هذا الاوان فتوجه الى ذلك الاقليم من طريق الدربند الجاري
تحت حكم الشيخ ابراهيم وهو سلطان مملكة شروان ونسبه متصل بالملك كسرى
أنوشروان وله قاض يدعى أبا يزيد يفضل على جميع أركان دولته بالقرب اليه
ويزيد هو دستور مملكته وقطب فلك سلطنته فاستشاره في أمر تيمور وما يعمله
أيطيعه أم يتحصن منه أم يفر أم يقاتله فقال له الفرار في رأيي أصوب والتحصن
في الجبال الشواهق أوثق عندي وأنسب فقال ليس هذا برأي مصيب أنجو أنا
وأترك رعيتي ليوم عصيب وماذا أجيب يوم القيامة رب البريه اذا ضيعت أمورهم
وأضعت الرعية ولا عزمت أن أقاتله وبالحرب والضرب أقابله ولكني أتوجه
اليه مسرعا وأمتثل بين يديه سامعا للامر مطيعا فان ردني الى مكاني وقررني في
ولايتي فهو قصدي وغايتي وان آذاني أو عزلني أو حبسني أو قتلني فتكفى
الرعية مؤنة القتل والنهب والاسار فيولي اذ ذاك عليهم وعلى البلاد من يختار ثم
أمر بالاقامات فجمعت وأذن للجيوش فتفرقت وتنحت وعين الولايات أن
تتزين وتتزوق وبسكانها برا وبحرا أن تأمن فتتعامل وتتأنق وبالخطب أن تقرأ
فوق المنابر باسمه وبالدنانير والدراهم أن تضرب بوسمه ورسمه ثم حمل التقادم
والخدم وتوجه اليه بأطيب جاش وأثبت قدم ولما وفد عليه وتمثل بين يديه قدم
الهدايا والتحف وأنواع الغرائب والطرف وعادة الجغتاي في تقديمهم الخدم ان
يقدموا من كل جنس تسعه لينالوا بذلك عند المهدى اليه الكرامة والرفعه فقدم

الشيخ ابراهيم من كل جنس من أصناف ما قدمه تسعه ومن المماليك ثمانيه فقال
له المتسلمون لذلك وأين تاسع المماليك فقال التاسع نفسى الفانيه فأعجب تيمور هذا
الكلام ووقع من قلبه بمكان ومقام وقال له بل أنت ولدى وخليفتى فى هذه البلاد
ومعتمدى وخلع عليه خلعة سنيه ورده الى مملكته مستبشرا ببلوغ الامنيه ثم
فرقت تلك الاقامات وتوزعت الفواكه والطعامات ففضل منها أمثال الجبال عن
ذلك العسكر الذى هو كالحصا والرمال ثم تركه وسار الى بلاد الشمال والتتار
وسبب آخر لقصده تلك الممالك وان كان لا يحتاج الى ذلك ان الامير ايدكو كان
عند توقتاميش أحد رؤس أمرائه المسيره والاعيان المتخذين فى النائبات لدفعها
وأرباب الرأى والمشوره وقبيلته تدعى قونكرات وقبائل الترك كقبائل العرب
واللغات كاللغات وكان ايدكو قد أحس من مخدومه تغير خاطر فخاف منه على نفسه
وكان توقتاميش شديد البأس فخشى منه حلول بأسه فلم يزل منه متحرزا وللفرار
اذا رأى منه ما يقتضى ذلك مستوفزا وجعل يراقبه ويراقيه ويداريه ويداريه
ففى بعض ليالى السرور ونجوم الكاسات فى أفلاك الطرب تدور وسلطان الخمره
قد أنفذ فى أسير العقل أمره طفح أن قال توقتاميش لايدكو ونور البصيرة يخبو
ويذكو ان لى ولك يوما يسومك الخسف سوما ويوليك من موائد الحياة صوما
ويخلى منى بقائك من سنة الفناء نوما فغالطه ايدكو وباسطه وقال أعيذ مولانا
الخاقان ان يعتقد على هذا ماشان وان يذوى غراسا هو أنشاه أو يهوى أساسا هو
بناه ثم أظهر التذلل والخشوع والتمسكن والخضوع وتحقق ما كان ظنه وأعمل
فى وجه الخلاص ذهنه واستعمل فى ذلك الذكاء والفطنه وعلم أنه ان أهمل أمره أو
أمهله أتاه فمكث قليلا واشتغل السلطان ثم انسلت من بين الحواشى والاعوان
وخرج فى الحاجه كأنه يريد قضاء حاجه وأتى اصطبل توقتاميش بجأش يجيش ولا
يطيش وعمد الى فرس مسرجه نجيبة نجيبه أقيمت معده لمثل شده وقال لبعض
حاشيته الموثق على سره من فاشيته من أراد أن يوافينى فعند تيمور يلاقينى ولا
تفش هذه الاسرار الا بعد أن تحقق انى قطعت القفار ثم تركه وسار فلم يشعر به
الا وقد سبق وركب طبقا عن طبق وقطع على أنوال السير أطول الشقق فلم
يدركوا منه آثار ولا لحقوا منه ولا الغبار فوصل الى تيمور وقبل يديه وعرض

حكاياته وأخباره كما جرت عليه وقال أنت تطلب البلاد الشاسعة والاماكن الوعرة
الساقطة وترتكب في ذلك الاخطار وتقطع قفار القفار وتتلو اسفار الاسفار وهذا
الغنم البارد نصب عينك تدركه متى شئت بيمينك وبين يديك ففيم التوانى والتناعس
وعلام التقاعد والتقاعس فانهض بعزم صميم فانا لك به زعيم فلا قلعة تمنعك
ولا منعة تقاتلك ولا قاطع يدفعك ولا دافع يقطعك ولا مقابل يقابلك ولا مقاتل
يقاتلك فما هو الا أوشاب وأوباش وأموال تساق وخرشن بارحالها مواش ولازال
يحرضه على ذلك ويطالب ويفتل منه في الذروة والغارب كما فعل مع عثمان قرا
ايلوك حين جاء الى تبريز ووسوسه وحرضه على دخوله الشام بعد قتله السلطان
برهان الدين احمد ومحاصرة سيواسه كما يذكر فتهيأ تيمور بأوفى حركه الى
استخلاص دشت بركه وكانت بلادا بالتتار خاصه وبأنواع المواشي وقبائل الترك
غاصه محفوظة الاطراف معمورة الاكناف فسيحة الارجاء صحيحة الماء والهواء
سمهار جاله ونسودها ابطاله افصح الاتراك لهجه وأزكاهم مهجه وأجملهم
جبهه وأكملهم بهجه نساؤهم شموس ورجالهم بدور وملوكهم رؤس واغنياؤهم
صدور لازور فيهم ولاتدليس ولامكر بينهم ولاتلبيس دأبهم الترحال على العجل
مع آمان لايدانيه وجل مدخلها قليله ومراحلها طويله وحد بلاد الدشت من
القبلة بحر قلزم الظلوم الغشوم وبحر مصر المنقلب اليهم من بلاد الروم وهذان
البحران كادا يلتقيان لولا أن جبل الجركس بينهما برزخ لايبغيان ومن الشرق
تخوم ممالك خوارزم واترار وسغناق الى غير ذلك من البلاد والآفاق آخذا الى
تركستان وبلاد الجتا متوغلا الى حدود الصين من ممالك المغول والخطا ومن
الشمال مواضع وبرار وقفار ورمال كالجبال وكم في ذلك من تيه تحير الطير
والوحش فيه وهو كرهى آكبر الزمان غايه لاتدرك ونهايه لاتسلك ومن الغرب
تخوم بلاد الروس والبلغار وممالك النصارى والافرار ويتصل بتلك التخوم
ما هو جار تحت حكم ابن عثمان من ممالك الروم وكانت القوافل تخرج من خوارزم
وتسير بالعجل وهم آمنون من غير ريب ولاوجل والى قريم طولا ومسيرة ذلك نحو
من ثلاثة أشهر واما عرضا فهو بحر من الرمل أمده سبعة أشهر لايهتدى فيه
الخريت ولايقربه من الدعاميص كل عفريت فكانت القافلة لاتحمل زادا ولا

عالياً ولا يعصون معهم رفيقاً وذلك لكثرة الأمم ووفور الأمن وأما الأكل والشرب من المخيم فلا يصدرون الا من قبيله ولا ينزلون الا عند من يكرم نزيله وانه قيل فيهم شعر

متكنفي جنبي عكاظ كليهما * يدعو وليدهم بها عرعار

وأما اليوم فليس بتلك الأماكن من خوارزم الى قريم من تلك الأمم والمخيم متحرك ولا ساكن وليس فيها من أنيس الا اليعافير والا العيس وقصبة الدشت سراي وهي مدينة اسلامية البنيات بديعة الأركان ويأتي وصفها وكان السلطان بركة رحمه الله لما أسلم بناها واتخذها دار الملك واصطفاها وحمل أمم الدشت على الدخول في حمى الاسلام ودراها فلذلك كانت تحل كل خير وبركه وأضيفت بعد اضافتها الى قفجاق والى بركه أنشدني لنفسه مولانا وسيدنا الخواجا حسام الدين ابن المرحوم مولانا وسيدنا الخواجا عبد الملك وهو من أولاد الشيخ الجليل برهان الدين المرغيناني رحمه الله في حاجي ترخان من بلاد الدشت بعد مرجعه من الحجاز الشريف سنة أربع عشرة وثمانمائة وفي يومنا هذا أعني سنة أربعين وثمانمائة انتهت اليه الرياسة في سمرقند قوله وقد قاسى في درب الدشت أنواع النكال شعر

قد كنت أسمع أن الدهر يوصف * سرا تعزى الى سلطانها بركه
بركت ناقة ترحالي بجانبها * فما رأيت بها في واحد بركه

وأنشدني أيضاً لنفسه معرضاً بمولانا وسيدنا وشيخنا حافظ الدين محمد بن ناصر الدين محمد الكردري البزازي تغمده الله تعالى برحمته في الزمان والمكان المذكورين شعر

متى تحفظ الناس في بلدة * مصالحها في يدي حافظ
محافظها صار سلطانها * وسلطانها ليس بالحافظ

ولما تشرف بركة خان بحلية الاسلام ورفع في أطراف الدشت للدين الحنيف الأعلام استدعى العلماء من الأطراف والمشايخ من الآفاق والأكناف ليوقفوا الناس على معالم دينهم ويبصروهم طرائق توحيدهم ويقينهم وبذل في ذلك الرغبات وأفاض على الوافدين منهم بحار الهبات وأقام حرمة العلم والعلماء وعظم شعائر الله تعالى وشعائر الأنبياء وكان عنده في ذلك الزمان وعند أوزبيك بعده

وجانى ببلكشان مولانا قطب الدين العلامة الرازى والشيخ سعد الدين التفتازانى والسيد جلال الدين شارح الحاجبية وغيرهم من فضلاء الحنفية والشافعية ثم من بعدهم مولانا حافظ الدين البزازى ومولانا أحمد الجندى رحمهم الله فصارت سراى بواسطة هؤلاء السادات مجمع العلم ومعدن السعادات واجتمع فيها من العلماء والفضلاء والادباء والظرفاء والنبلاء ومن كل صاحب فضيلة وخصلة نبيلة جميلة فى مدة قليلة مالم يجتمع فى سواها ولا فى جامع مصر ولا قراها وبين بنيان سراى وخراب ما بها من الامكنة ثلاث وستون سنة وكانت من أعظم المدن وضعا وأكثرها للخلق جمعا حكى أن رجلا من أعيانها هرب له رقيق وسكن فى مكان منحى من الطريق وفتح له حانوتا يتسبب فيه ويحصل له قوتا واستمر ذلك المهين نحوا من عشر سنين لم يصادفه فيه مولاه ولا اجتمع به ولا رآه وذلك لعظمها وكثرة اعمارها وهى على شط نهر متشعب من نهر آتل الذى أجمع السياحون والمؤرخون وقطاع المناهل أنه لم يكن فى الانهار الجارية والمياه العذبة النامية أكبر منه وهو يأتى من بلاد الروس وليس له فائدة سوى اغتيال النفوس ويصب فى بحر القلزم وكذلك جيحون وسائر أنهار العجم مع ان بحر القلزم شعور وعليه بعض ممالك العجم تدور مثل كيلان ومازندران واستراباد وشروان واسم نهر سراى سنكلا ولا يقطع أيضا الا بالمراكب ولا يثبت عليه قدم لراجل ولا راكب وكم فرق تتفرق من ذلك البحر العريض الطويل وكل فرق أعظم من الفرات والنيل

﴿ذكر وصول ذلك الطوفان وتجمعة أمم الدشت بعد كسره توقتاميش خان﴾

فوصل تيمور الى تلك الداره بالعساكر الجراره بل بالبحار الزخاره ذوى السهام الطياره والسيوف البتاره والرماح الخطاره والاسود الهصاره والنمور الكراره من كل شان الغاره مدرك فى العدو ثاره هام سعيقته وجاره وعرينه ووجاره وفريسته ونجاره واللج من بحر الحرب غماره مقاوم أمواجه وتياره فارسل توقتاميش الى زعماء جنده وعظماء أمته وسكان أحقافه وقطان أطرافه ورؤس أمرائه وفرسان ميمنته وميسرته فاستدعاهم والى المقابلة والمقاتلة دعاهم فاتوا فى ثوب طاعته يرفلون وهم من كل حدب ينسلون واجتمعوا بأرقائل

ما بين فارس وراجل وضارب ونابل ومقبل وقابل ومقاتل وقاتل بجحفل وذابل وهم قوم نبال النبال ونضال النضال لا يطيشون سهاما وهم من بني ثعل أرمى اذا عقدوا الاوتار أسالوا الاوتار وان قصدوا الاوطار وجدوا المقصد جنيم أوطار ثم نهض للصادمة واستعد للمقارعة والمقاومة بعساكر كالرمال كثرة وكالجبال كرة

﴿ذكر ما وقع من الخلاف من عسكر توقتاميش وقت المصاف﴾

وحين توقف الصفان وتناقف الزحفان برز من عسكر توقتاميش أحد رؤس الميمنة لعدم على أحد الامراء فطلب منه وفي قتاله استأذنه فقال له لينعم بالك وليجب سؤالك قال شعر

لكن ترى ما قد طرى * على الورى وما جرى

فأمهلنا حتى اذا انفصلنا وعلى المراد حصلنا أعطيتك غرضك ونولتك قصدك فأدركت منه ثأرك واقض أوطارك قال لا والله لكن الساعة والا فلا سمع لك ولا طاعة فقال نحن في كرب مهم وعن مرام أهم وخطب معظم وعن مصاب أعم فاصبر ولا تعجل واطمئن ولا توجل فما يذهب لا يستحق ولا يضيع مستحق فلا تلجئ الاعمى الى الجرف ولا تكن عن يعبد الله على حرف فكأنك بليل الشدة وقد أدبر وبصباح الفلاح وقد أسفر فالزم مكانك ونازل أقرانك وتقدم ولا تتأخر واصدع بما تؤمر فانجر ذلك الامير بجمع كثير واتبعه كل باغ وغاو وقبيلته كلها واسمها افتاو فانطلق يروم ممالك الروم فوصل هو وحشمه الى ضواحي أدرنه واستوطن تلك الامكنة فانخذل لذلك عسكر توقتاميش وصارت سهام مرامه عن مراميه تطيش ولم يجد بدا من اللقاء وصدق الملتقى فثبت جأشه وجيشه وعزم وقاره وطيشه وقدم من أسلابه الابطال ورتب الخيالة والرجال وقوى القلب والجناح وسد الخلل والصفاح

﴿فصل﴾ وأما جيش تيمور فانه مستغن عن هذه الامور لان أمره معلوم ووصفه مفهوم وسطر النصر والتمكين على جبين راياته مرقوم ثم تدانى الجيشان واصطدما واصطليا بنار الحرب واصطلما والتفت الاقران بالاقران وامتدت الاعناق

للضراب وفرحت النسور والعقبان واكفهرت الوجوه واغبرت وكشرت انيابه للضراب وأهرت وتهارشت غيور الشر واسبطرت وتهادت أسود الجنود وازبأرت واكتست بريش النبال الجلود فاقشعرت ومحت صعاد الجباه ورؤس الرؤس في محراب الحرب للسجود فخرت وثار الغبار وقام القتام وفاض بحار الدماء كل غائص وعام وصارت نجوم السهام في ظلام القتام لشياطين الاساطين رجوما رواشق ولوامع السيوف في سحائب التراب على الملوك والسلاطين بروقا صواعق ولا زالت مخالب المنايا تجوب وتجول وضراغم السرايا تصول وتصول ووقع السنابك الى الجو راقيا وتخيم السوافك على الدو جاريا حتى غدت الارض سما والسموات كالبحار غمائما واستمر هذا الالداد والخصام نحوا من ثلاثة أيام ثم انجلى الغبار عن انهزام جيش توقتاميش وولى الادبار وفرت عساكره وانذعرت وانتشرت جنود تيمور في ممالك الدشت واستعرت واستولى على قبائلها وأتى على ضبط اواخرها وأوائلها واحتوى على الناطق فحازه وعلى الصامت فجازه وجمع الغنائم وفرق المغانم وأباح النهب والاسر وأذاع القهر والقسر وأطفأ أقتائلهم واكفأ مقاولهم وغير الاوضاع وحمل ما استطاع من الاموال والاسرى والمتاع ووصلت طراشته الى أزاق وهدم سراي وسراجوق وحاجي ترخان وتلك الآفاق وعظمت منزلة ايدكو عنده ثم قفل قاصدا سمرقنده وصحب ايدكو معه ورام أمنه أن يتبعه

(ذكر ايدكو وما صنعه وكيف خلب تيمور وخدعه)

فأرسل ايدكو قاصدا الى أقاربه وجيرانه وقبائل الميسرة كلهم من أصحابه وأخدانه من غير ان يكون لتيمور بذلك شعور أن يرحلوا عن أماكنهم ويتشمروا عن أوطانهم وأن ينحو بجهته عنها وأماكن بينها صعبة المسالك كثيرة المهالك وان أمكنهم أن لا يقيموا في منزل واحد يومين فليفعلوا ذلك فانه ان ظفر بهم تيمور بدد شملهم وأبادهم كلهم فامتثلوا ما رسم به ايدكو وارتحلوا ولم يلووا ولما علم ايدكو أن جماعته فوزوا وسهمه لتيمور أعجزوا قال له يا مولانا الامير اني لي من الاقارب والحشم الجم الغفير وانهم عضدي وجناحي وبصلاح حالهم صلاحي ولا آمن

عليهم أن يلقوا بعدى من توقتاميش الجور والتعدى بل لا أشك أنه يفنيهم
ويبيدهم من أكرهم أبيهم وحيث تقدم عليه بجناية تجنيها بلك جانبي ينتقم لسوء طويته
من حشمى وأقاربى لأن سواهم هذه الاهم أنا ألجته وفى مضائق البلاء ومآزق
الانكسار أنا أقحمته وعلى كل حال فلا يطيب على قلبي ان يساكنوه وكيف يهنأ لى
العيش واصدقائى يجاورونه فان اقتضت الآراء المنيرة ارسال قاصد الى تلك
الاماكن والقبائل الكثيره صحبته مرسوم شريف وأمر عالى منيف باستمالة
خواطرهم وتطييب قلوب قبائلهم وعشائرهم والامر بترحالهم وترفيه حالهم
فيكونون بجميعهم تحت الظل الشريف فى روض عيش وريق وريف وتتخلص
من هذا الدشت الخالى الدست وتقتفى ما مضى من الاعمار وتقضى الباقى فى
جنات تجرى من تحتها الانهار فالرأى الشريف أعلى واتباع ما يبديه بالجمال الملك
أولى فقال له تيمور أنت جذيلها المرجب وعذيقها المحكك ومع وجودك أنت من
يسلك هذا المسلك فقال كل الانام عبيدك وتابع مرادك ومريدك ومن تراه
لشئ أهلا كان كل حزن عليه سهلا فقال بل أنت أولى بهذا الامر فيكن ضمنيه
ادلايفتى ومالك فى المدينه فقال أضف الى واحدا من الامراء ليكون لى عليهم
وزراء مع مراسيم شريفه بما تقتضيه الآراء المنيفه فأجابه وقضى مراده
وأضاف اليه من أراده فقضيا مآربهما ونجزا ونحوهما طلبهما تجهزا ولما انفصل
ايدكو عن تيمور استدرك فارطه وعلم ان ايدكو خلبه عقله وغالطه فأنفذ اليه
قاصدا أن يكون اليه عائدا لامر قد سنح ورأى قد جنح فلما قدم القاصد عليه
وبلغ ما أرسل به اليه قال له وللامير الذى معه وقد نمى كل منهما ان يتبعه اقتضيا
مآربكما والقاصد حبكما وصلا يديه وابلغاه ان امد اجتماعنا هذا منتهاه وانى
برئ منه انى أخاف الله ولم يمكنهما مخاشنته ولا وسعهما فى تلك المضايقة الشديدة
الا ملاينته فودعاه وانصرفا وانحرفا ومارفقا ولما بلغ تيمور ذلك تضرر وتضرم
وتبرح وتبرم وحرق عليه الارم وتندم ولات حين مندم وكاد يتقطع حنقا
عليه وتجرع كاسات ويوم يعض الظالم على يديه ولم يمكنه التقيد به فلم يتحرك له
بحركه وتوجه الى مالكه ثم الى سمرقند وتركه فكان هذا آخر امره من دشت بركه
قيل انه لم يخدع تيمور ويدهيه ويخلبه قولا وفعلا ويطغيه سوى ايدكو المار

ذكره

ذكره أقول وسوى قاضي القضاة ولي الدين عبد الرحمن بن خلدون المالكي الآتي حكايته وأمره

(تتمة ما جرى في نواحي الشمال بين توقتاميش وايدكو من الجدال والقتال الى ان تم أمر كل منهما وحال)

ولما انفصل تيمور عما حصل واستقر في مملكته بعد ما وصل واتصل ايدكو بحاشيته وامتزج بصاغيته وغاشيته أخذ في التفتيش من أمور توقتاميش وتحفظ منه وتحرز ولما رآه انتصب وتجهز اذ لم يمكنه رتق ما فتقه ولا رقع ما خرقه وأيضا ما أمكنه الاستقلال بادعاء السلطنة اذ لو أمكن ذلك لادعاه تيمور الذي ملك الممالك فنصب من جهته سلطانا وشيد في دار الملك خانا ودعا رؤس الميسرة ووجوه قبائلها اليه فلبوا دعوته وأقبلوا عليه اذ كانوا أقوى من غيرهم آمنين من ضرر الجغتاي وضيرهم فقوي بذلك سلطانه وعمر بقفول الجنود خانه وثبت في دار الملك أساسه وعلت أركانه وأما توقتاميش فبعد أن تراجع وهله واستقر في دماغه عقله ورحل عدوه وحصل هدوه جمع عساكره واستنجد قومه وناصره فلا زالت ضروب الضراب لحراب الحروب بينه وبين ايدكو فاتحة وعيون السكون بجفون الزمان المتعامي عن صلحهما ناعسة الى ان بلغ مصافهم خمس عشرة مرة يدال هذا على ذلك تارة وذلك على هذا كرة فأخذ أمر قبائل الدشت في التنقص والشتات وبواسطة قلة المعاقل والحصون وقعوا في الانبثاث والانبتات لاسيما وقد تناوشهما أسدان وأظل عليهما انكدان وقد كان جلهم ذهب مع تيمور وأمسى وهو في أمره مقهور وفي حصره مأسور فانفلذت منهم طائفة لا تحصى ولا تحصر ولا يمكن ضبطها بديوان ولا دفتر وانحازت الى الروم والروس وذلك الظلوم المشؤم وجدهم المنكوس فصاروا بين مشركين نصارى ومسلمين أسارى كأنهم جبلة بني غسان واسم هذه الطائفة قرابوغدان فبواسطة هذه الاسباب آل أمر الدشت الى الخلل والخراب والتفرق والتباب والانفلات والانقلاب وصارت بحيث لو سلكها أحد من غير دليل ورصد فانه لا يعثر على الحقيقة لاضاعته في المجاز طريقه امامه فالآن الرياح لا رمال تسفي فتعفي الطريق على

المارة وتمرق وأما شتاءها فلأن الثلج النازل فيها يترا كم عليها ويغطيها اذ كل ارضها مجاهل ومنازلها مناهل ومراحلها مهامه ومناهل فعلى كل تقدير سلوكها مهلك عسير فكانت الوقعة الخامسة عشر على ايدكو فتشتت وتشرد وتبذر وتبدد وغرق هو وشرذمة من خمسة أو ستة رجل من أخصائه في بحر الرمل فلم يشعر به أحد واستبد توقتاميش بالمملكة وصفا له دشت بركه وكان مع هذا متشوفا لاخبار ايدكو وأحواله متشوقا لمعرفة كيفية هلاكه في رماله ومر على ذلك نحو من نصف سنة وانقطع أثره من الامن وخبره من الالسنة وايدكو كان قد خرج من تلك الامقاص والاسقاف وقد قطع بسير أقدامه أديم تلك النعال والاخفاف فصار يتربص ويتبصر ويتفكر معنى ما قلته ويتدبره وهو شعر

ارقب الامر وانتظر فرجها * وانتهز وقتا اذا ما جا

وامزج الصبر بالتجني فبه * ورق التوت صار ديباجا

فلما تيقن أن توقتاميش ايسه وتحقق ان ليث المنايا افترسه شرع يتجسس أخباره ويتتبع ويستشرف آثاره ويتطلع الى أن تحقق من الخبر أنه في متنزه منفرد عن العسكر فامتطى جناح الخيل وارتدى جنوح الليل ووصل السير بالسرى واستبدل السهر بالكرى فارا الى الهضاب فروع الجبال مقروعا من الرب اقراع الندى حتى وصل اليه توقتاميش وهو لا يعلم وانقض عليه كالقضاء المبرم فلم يدعه الا والبلايا احتوشته وأسود المنايا انتوشته وثعابين الرماح وأفاعي السهام نهشته فحاولهم قليلا وجاولهم طويلا ثم انجدل قتيلا وكانت هذه المرة من الوقعات السادسة عشر خاتمة التلاق وحاكمة الفراق فاستقر أمر الدشت على متولي ايدكو وصار القاصي والداني والكبير والصغير الى مراسيمه يصغو وتفرقت أولاد توقتاميش في الآفاق جلال الدين وكريم بردى في الروس وكوبال وباقي اخوته في سغناق واستمر أمر الناس على مراسيم ايدكو يولي السلطنة من شاء ويعزله منها اذا شاء ويأمر فلا يخالفه أحد رهبة ولا يجاوز ذلك الحد فمن ولاه قوتلوغ تيمور خان وأخوه شادي بيك خان ثم فولاد خان بن قوتلوغ تيمور ثم اخوه تيمور خان وفي أيامه تخبطت الامور فلم يسلم لايدكو زمامه وقال لا عزله ولا كرامه انا الكبش الطاع فاني أكون مطيعا والثور المتبوع فكيف أصير تبيعا فانقسم بينهما

الشقاق ونجم من ذوي الضغينة نجم النفاق وجرت شرور وفتن وحروب واحن
وبينا ظلمات الفتن احتبكت ونجوم الشرور في دياجي الدشت بين الفريقين اشتبكت
واذا ببدر الدولة الجلاليه من مشارق السلالة التوقتاميشيه بزغ متهللا وفرع
من بلاد الروس مقبلا وكانت هذه القضيه في شهور سنة اربع عشرة وثمانمائه
فتعاظمت الامور وتفاقمت الشرور وضعف حال ايدكو وقتل تيمور واستقر
النفاق والشقاق بين ملوك ممالك قفجاق الى ان مات ايدكو غريقا جريحا
وأخرجوه من نهر سيحون بسرايجوق وألقوه طريحا رحمه الله تعالى وله حكايات
عجيبه واخبار ونوادر غريبه وسهام ذراه في اصاباته مصيبه وأفكار مكائد
وواقعات مصائد وله في أصول فقه السياسة تقرير وردود البحث فيها يخرج عن
تحصيل المقصود وكان اسمر شديد السمرة ربعة مستقبل البدن شجاعا مهابا ذا لحية
سوداء حسن الابتسامة ذا رأي مصيب وشهامة محبا للعلماء والفضلاء مقربا
للصلحاء والفقراء يداعبهم بألطف عبارة وأظرف اشارة وكان صواما وبالليل
قواما متعلقا باذيال الشريعه قد جعل الكتاب والسنة وأقوال العلماء بينه وبين
الله تعالى ذريعه له نحو من عشرين ولدا كل منهم ملك مطاع وله ولايات على حدة
وجنود وأتباع وكان في جماعات الدشت اماما نحو من عشرين عاما وأيامه في جبين
الدهر غرة وليالي دولته على وجه العصر طرة

﴿رجعنا الى ما كنا فيه من امور تيمور ودواهيه﴾

ولما وصل تيمور الى أذربيجان وانبث عسكره في ممالك السلطانية وهمذان واستدعى
الملك الظاهر سلطان ماردين وأطلقه وأنعم عليه كما ذكر واستوثقه وولاه ما بين
الشام والعراق وأحكم تلك الممالك بما وسعه من المكر والنفاق ولم يمكنه الاقامة
بتلك العجم لما دهمه من الدشت من أهم فوجه عنان قصده الى ممالك سمرقند فنفض
فيها أوطابه وفرغ عما كان ملأه من الدشت جرابه ثم خرج من غير توان وقطع
جيحون بالطوفان ووصل الى خراسان وواصل السير الى أذربيجان وتوجه اليه
طهرتن حاكم اذربيجان متقلدا طوق مراسيه بجيد الاطاعة والاذعان وأهل آمد
وماردين ونواحيها ولم يتعرض الى ما يتعلق بامن مدنها وقراها

﴿ابتداء ثوران ذلك القتام فيما يتعلق بممالك الشام﴾

ثم انه قصد الرها ورام تمهيدها فخرج اليه شخص من أعيانها ورؤسائها وقطانها يقال
له الحاج عثمان بن الشكشك فصالحه واشتراها بجمل من الاموال وحملها
اليه وأداها فعند ذلك أرسل الى القاضي برهان الدين أبي العباس أحمد الحاكم
بقيصرية وتوقات وسيواس من الرسل عدة ومن الكتب شدة يبرق فيها ويرعد
ويرغي في بحرها ويزبد ويقيم بفحاويها بيقه عد ومن جملة فحواه ومضمون ذلك
وما حواه أن يخطبوا باسم محمود خان أو سيورغاتمش خان وباسمه ويضربوا السكة
على طرز ذلك ورسمه كما هو دابه ويتحمله رسوله وكتابه فلم يؤمن له السلطان
برسول ولا بكتاب ولا تقيد له بجوابه من خطاب بل قطع رؤس الروس من قصاده
وعلقها في أعناق الباقين وأشهرهم في بلاده ثم جعلهم شطرين وقسمهم نصفين
وأرسلهم الى جهتين للسلطان الملك الظاهر أبي سعيد برقوق منهم جزء مقسوم
والجزء الآخر الى السلطان أبي يزيد بن مراد بن أورخان بن عثمان حاكم ممالك الروم
وأخبرهما بالقضية من جليه وما ورد عليه من خطاب تيمور الممقوت وانه جعل
في ذلك جوابه السكوت وقتل قاصديه نكاية ولم يزد على هذه الحكاية وانما
فعل ذلك برسله وقصاده استهوانا به واستعظاما لما فعل بعباد الله تعالى وبلاده ثم
قال القاضي اعلما أني جاركما وديارى دياركما وأنا ذرة من غباركما وقطرة من
بحاركما وما عملته هذا مع ضعف حالي وقلة مالي ورجالي وضيق دائرتي
وبلادي ورقة حاشية طريفي وتلادي الا اعتمادا على مظاهرتكما واتكالا على
مناصرتكما واقامة لاعلام حرمة دولتكما ونشرا لرايات هيبة صولتكما فاني جنة
ثغركما ووقاية نحركما وشاليش جنودكما وجاليش بنودكما وربيئة طلائعكما
وطليعة وقائعكما والان أين لي مقاومته وأنى تيسر لي مصادمته وقد علمتم
أحواله وعرفتم مشاهده وافعاله فكم من جيش كسر وقبيل أسر وملك ملك
وملك أهلك وستر هتك ونفس سفك وحصن فتح وفتح منح ومال نهب وعز
سلب وصعب أذل وخطب أحل وعقل أزل ووهم أخل وخيل هزم وأس
هدم وسؤال قطع وقصد منع وطود قلع وطفل فجع ورأس شدخ وظهر
فضخ وعقد فسخ ونار أشب وريح أهب وماء أغار وربع أثار وقلب شوى
وكبد كوى وجند قصم وطرف أعمى ودمع أدم وأنى لي طاقة سيل العرم

ومصادمة

ومصادمة الفيل المغتلم فان جبهته كجبهتى وان خذلت الى ذاتى
ويكفيكما هيبة وشهره ونابكما أبهة ونصره انه من خدامكما وقدامكما من كما كما
مادهاكما وان أصابنى والعياذ بالله منه ضرر أرتطام الى مماليكى من جمرات شره
شرر ربما تعدى ذلك الفعل بواسطة الحوادث الى مفعول به وثان وثالث
قلت شعر

والشر كالنار يبدو حين تقدحه * شراره فاذا بادرته خمدا
وان توانيت عن اطفائه كسلا * أورى فتائل تشوى القلب والكبدا
فلو تجمع أهل الارض كلهم * لما أفادوك فى اطفائها أبدا

وانما أهملت خطابه وأهملت جوابه لتركه ما اقتفى وتأمر افاكا تقى وتؤسسا
وأبى دليه وتجاوز بافيه لذلك كدلك ما ينتهى اليه

﴿ذكر ما أجاب به السلطان أبو يزيد بن عثمان للقاضى برهان الدين أبى العباس سلطان ممالك سيواس﴾

فأما السلطان أبو يزيد بن عثمان فان هذا الفعل أعجبه ونم هذا القول أطربه
واستحسن هذا الحكم من القاضى واستصوبه وأرسل اليه يقول ان ارتدع تيمور
عنه وانتهى والا فانا آتيه بجنود لا قبل له بها فليقابله بحسن تدبيره وليثبت له
بحسن البصيره واخلاص السريره ولا يجزع من جنوده الغزيره فكم من فئة
قليلة غلبت فئة كثيره وان اقتضت آراؤه السديده وأحكامه السعيده توجه
بنفسه اليه وقدم بالغزاة والمجاهدين عليه ليرفع أعلامه وينفذ أحكامه ويكون
لسيفه يدا ولجناحه عضدا ثم أرسل كتابه وانتظر جوابه وأما الملك
الظاهر فما رأيت له كتابا ولا حققت منه له جوابا والظاهر أن جواب الملك
الظاهر أبى سعيد كان شقيق جواب السلطان الغازى أبى يزيد اذ أعمالهما
وأقوالهما الباطن والظاهر كانت من باب توارد الخاطر ثم انى رأيت كتابا
يتضمن خطابا وجوابا وذكرات الخطاب من ذلك الغادر والجواب من الملك الظاهر
وكلاهما سوى آى الكتاب غير زاه ولا زاهر أما صورة الخطاب فهو قل اللهم
فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه

يتناهون اعلموا أنا جند الله مخلوقون من سخطه مسلطون على من حل عليه غضبه
لا نرق لشاك ولا نرحم عبرة باك قد نزع الله الرحمة من قلوبنا فالويل كل الويل
لمن لم يمتثل أمورنا فانا قد خربنا البلاد وأهلكنا العباد وأظهرنا في الارض
الفساد قلوبنا كالجبال وعددنا كالرمال خيولنا سوابق ورماحنا خوارق
ملكنا لا يرام وجارنا لا يضام فان أنتم قبلتم شرطنا وأصلحتم أمرنا كان لكم
ما لنا وعليكم ما علينا وان انتم خالفتم وأبيتم وعلى بغيكم تماديتم فلا تلومون الا
انفسكم فالحصون منا لا تمنع والعساكر لدينا لا ترد ولا تدفع ودعاؤكم علينا
لا يستجاب ولا يسمع لانكم أكلتم الحرام وضيعتم الجمع فابشروا بالذلة والجزع
فاليوم تجزون عذاب الهون وقد زعمتم أننا كفرة فقد ثبت عندنا أنكم فجرة قد
سلطنا عليكم من بيده أمور مقدره وأحكام مدبره كثيركم عندنا قليل وعزيزكم
عندنا ذليل قد ملكنا الارض شرقا وغربا وأخذنا منها كل سفينة غصبا وأرسلنا
اليكم هذا الكتاب فاسرعوا في رد الجواب قبل أن ينكشف الغطاء ولم يبق
لكم باقية فينادي عليكم منادي الفناء هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا
وقد انصفناكم اذ راسلناكم ونثرنا جواهر هذا الكلام عليكم والسلام وهذه
صورة الجواب وقيل هو انشاء القاضي علاء الدين بن فضل الله وما أظن لذلك صحة
وهو بسم الله الرحمن الرحيم قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك
ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير حصل
الوقوف على كتاب مجهز من الحضرة الايلخانيه والسدة العظيمة الكبيرة السلطانيه
قولكم (انا مخلوقون من سخطه مسلطون على من حل عليه غضبه لا نرق لشاك
ولا نرحم عبرة باك قد نزع الله الرحمة من قلوبكم) فهذا من أكبر عيوبكم وهذا
من أقبح ما وصفتم به أنفسكم ويكفيكم هذه الشهادة واعظا اذا اتعظتم قل يا أيها
الكافرون لا أعبد ما تعبدون ففي كل كتاب ذكرتم وبكل قبيح وصفتم وزعمتم
أنكم كافرون ألا لعنة الله على الكافرين من تمسك بالاصول لا يبالي بالفروع
نحن المؤمنون حقا لا يصدنا عيب ولا يداخلنا ريب القرآن علينا نزل وهو رحيم
بنا لم يزل وقد علمنا بركة تأويله وقد خصصنا بفضل تنزيله وتحليله انما النار لكم
خلقت وللجلود كلما نضجت اذا السماء انفطرت ومن العجب العجاب تهديد

الليوث

الليوث بالليوث والسباع بالضباع والكماة بالكراع فنحن خيولنا عربيه وهممنا عليه والقنا شديدة المضارب ذكرها في المشارق والمغارب ان قتلناكم فنعم البضاعه وان قتلتمونا فبيننا وبين الجنة ساعه ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون وقولكم (قلوبنا كالجبال وعددنا كالرمال) فالجزار لا يبالي بكثرة الغنم وكثير من الحطب يكفيه قليل من الضرم فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين الفرار لا من الرزايا نحن من المنيه في غاية الامنيه ان عشنا فسعيدا وان متنا فشهيدا ألا ان حزب الله هم الغالبون أبعد أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين تطلبون منا طاعه لا سمع لكم ولا طاعه وطلبتم ان نوضح لكم أمرنا فهذا الكلام في نظمه تركيك وفي سلكه تفكيك لو كشف لبان قبل التبيان أكفر بعد ايمان أم اتخذتم ربا ثان لقد جئتم شيئا ادّا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدّا قل للكاتب الذي رصع رسالته ووصف مقالته حصل الوقوف على كتاب كصرير باب أو طنين ذباب وسنكتب ما يقول ونمدّ له من العذاب مدّا وما لكم عندنا الا السيف بقوة الله تعالى ثم اني وجدت في نسخة جامع الدهور بتقادم مدادها وبعض كرّ العصور على وجه الزمان من شيب اسوادها صورة هذا الكتاب وهيئة هذا الخطاب من انشاء نصير الدين الطوسي على لسان هلاكو التتري مرسلا ذلك الى سلطان مصر وصورة الجواب بهيئته انشاء من كان في ذلك العصر

(فصل) ولما بلغ تيمور ما فعله السلطان برهان الدين بقصاده حنق ورنق بجماحي الغضب وفار دم قلبه ورنق وغص غضبا وكاد من الغيظ أن يختنق ولكن علم ان في الزوايا خبايا وللاسلام جنود ورايا وفي عزيز الدين من ليوث المسلمين بقايا وان امامه اسودا هواصر وجوارح كواسر فتصبر للزمان ورجع القهقرى وتربص بهم الدوائر

(ذكر توجه العساكر الشاميه لدفع تلك الداهيه)

ثم ان ملك الامراء بالشام هو تنم خرج بالعساكر الى ارزنجان ورجع وهو مقتحم

ولم ينالوا خيرا ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وعاد من جيش
الاسلام كل أسد هصور وقد اصطاد من عساكر الكفر ما ضاهى جمهور ربه وجاءه نور
على نور

﴿ذكر رجوع ذلك المكنود وقصده استخلاص بلاد الهنود﴾

ثم ان تيمور بلغه ان سلطان الهند فيروزشاه انتقل من زحمة الدنيا الى رحمة الله ولم
يكن له ولد يكون له خليفة فسعى تيمور لان يتولى بحكم الوفاة والشغور تلك الوظيفة
ولما فاض صاحب الهند صارت الناس فوضى ومرج بحر امر الهند ما يجول كل
يخوض خوضا فعز بعض الناس وبعضهم ذلوا ثم اتفقوا على تولية وزير اسمه ملو
فرأب من أمر الناس ما انصدع ورفع من استحق الرفع وخفض من بغير استحقاق
ارتفع فبغى عليه أخوه شارنك خان متولى مدينة ملتان ووقع بينهم التخالف
وافترق ملأ الهنود فرقا وطوائف فكان اختلافهم لتيمور أحسن مساعد وأقوى
عضد وساعد قلت شعر

وتشتت الاعداء فى آرائهم * سبب لجمع خواطر الاحباب

وحين وصل تيمور الى ملتان وهى عليه شارنك خان فاقام يحاصرها وقعد
يضاجرها وكنت هنا كرهاجه وليالى كانها السود مظلمه حتى قيل ان من
جملة عسكرها الثقيل كان ثمانمائة فيل مع ان كل أمير من أطراف الهند
ورئيس من أكناف السند كان قد اقلب أذياله واهمل رحاله ورجاله وضبط
بلواحقه اثقاله وربط بلواحقه أفياله واستمر ذلك البلد والحصار نحوا من ثانى
عام الى ان استخلصها ومن يده خلصها

﴿فصـــل﴾ ولما استولى ملو واستقر أمر الهند عليه وبلغه توجه تيمور اليه
جد واجتهد واعد العدد والعدد واستعد الامداد والمدد وأهلك ما لا لبد وحسب
ان لن يقدر عليه أحد وفرق الاموال وجمع الخيل والرجال واحضر ما فى مملكته
من الافيال ثم حصن مدائنه ومكن كمائنه وشيد على الافيال للمقاتلة أبراجا
واحكم فى تحرير المناضلة طريقة فقه فيها اذهب ومنهاجا وجد تيمور فى السير حتى كاد
يسبق الطير اذ لم يكن له فى ذلك الارتهمر نجيبه ولاقى هنا كر سلطان الهند من

يقربه

بقربه فلما بلغ الجنود بالجنود برزت اليه بالجنود الجنود وقدموا الفيول لتقي
الخيول وقد بنوا على كل فيل من الاتراس برجا وعبوا في كل برج من المقاتلين
من يخشى في المضائق ويرجى بعدما حصلوها من أكابر كستوانات في حصار
وعلقوا عليها من القلاقل والاجراس الهائلة ما يدعو العفاريت الى الفرار وشدوا
في خراطيمها سيوفا يصلح ان يقال انها سيوف الهند تدعو الرؤس شعلة لهيبها
فتخر لها ساجدة فيحق أن يقال لها فار السند وهذا خارج عما لتلك الافيلة من
الانياب التي هي في الحروب كالحراب اذ هي في أداء ما وجب عليها اصاب كامل
وسهامها التي هي مصيبة في نحور من يقابلها اتقهم كل نابل وذابل فكانت تلك
الافيال في وصف القتال كأنها قبل بأسودها ماشيه او صياصي بجنودها جاريه
وأطواد بنمورها عاديه أو بحار بأمواج أهوالها الجارية جائيه أو ظلال من الغمام
بصواعقها هاميه أو ليالي الفراق بنوائبها السود ساريه وخلفها من الجنود فوارس
الحرب وأبطال الطعن والضرب سود الاسود وطلس الذئاب ونمش الفهود
بالذابل الخطي والصارم الهندي والنبل الخلنجي مع قلب زكي وجنان جري
وعزم قوي وصبر رضي

﴿ذكر ما فعله ذلك المحتال من الحديد في إبطال الافيال﴾

وحين اطلع تيمور على هذه الحال وتحقق أن شقة عساكر الهند نصبت على هذا
المنوال أعمل المكيده في قلع هذه العقيده ومرق لهم مرقة قد طبخها أمر من
العصيده فبدأ أولا في الاحتيال بدفع مكيدة الافيال فاستعمل العسكر الحديد
في اصطناع شوكات من حديد مثلثة الاطراف مستبدعة الاوصاف كأنها في
شكلها الخبيث طرق القائلين بالتثليث او وضع أصحاب الاوفاق أعدادها
المنسوبة الى الوفاق فصنعوا له من ذلك الالوف ثم عمد الى تحجيل الاحول في
الصفوف فنثر ذلك لها ليلا وطلب لاهلها حربا وويلا ورقم لذلك حدا ورسم
أن فعل ذلك الحد لا يتعدى ثم ركب افلاكه وأبطاله ورتب أسوده وأشباله وهذب
خيله وشذب رجاله وأرصد لهم الاوعينا من عسكره للعدو كمينا وحين بث سلطان
السيارة في جوانب الآفاق خيله وضم جيش الظلام رجاله أنجمه وشمر الهزيمة ذيله

مشى عسكره الى ذلك المقرر بداحتى وصل اليه ولما ترا آى الجمعان نكص على
عقبيه ثم نكب بالخيول على طريق الفيول فتصوروا أن خيوله جفلت وشمس
نصرته انكسفت وكروا كجيشه أقبلت فاقلعوا اقلاع الفيول فانهزمت انهزام
السيول وساقوها خلف عساكره سوقا على ذلك الشوك الملقى واتبع الخياله
من الهنود الرجالة والخياله فلما وصلت سيول الفيول من مطارح الشوك الى
المقادم وأخذ ذلك الشوك فى تقبيل أيديها وأرجلها وتشبث بتلك المناسم وأحست
قوائمها بشوكها رجعت القهقرى بل ودت الادبار لعدم عقلها فنهنهوها ومنعوها
عن التولى فلم يفدها النهى والنهنهه وسارت فى التقدم الى جهة العدو كفيل أبرهه
ثم لم يسعها لما أضرها الشوك فى تلك الحرار الا التولى من الزحف والفرار فحطمت
الفيول الرجال والخيول وصارت القتلى كالجبال والدماء فى أوديتها سيول وخرج
عليهم الكمين من ذات الشمال وذات اليمين فبادروا اسارهم وألحقوا بأولهم
آخرهم وقيل ان بلاد الهند ليس فيها أباعر وان منظرها يجفل الفيل فيصير أبعد
نافر فأمر تيمور أن يهيأ خمسمائة بعير جفول وتعبأ رواحلها والحمول قصبا
محشوة بفتائل وقطن بالدهن مبلول وان تساق امام الركبان الى أن يترا آى الجمعان
فلما تصافوا ولم يبق الا القتال أمر أن تطلق النيران فى تلك الحشايا والاحمال
وتساق الى جهة الافيال فلما أحس البعران بحرارة النيران رغت ورقصت
ونحو الفيول شخصت وصارت كما قيل شعر

كانك من جمال بنى أقيش * يقعقع بين رجليه بشن

فلما رأت الفيلة النيران وسمعت رغاء البعران ونظرت الى الابل كيف خلقت
وشاهدتها وقد رغت ورقصت وبأخفافها صفقت الوت على عقبها ناكصة لسائقها
عاصيه ولراكبها راقصة فحطمت الخياله وهشمت الرجاله وتلا الكافرون آية
النصر على أصحاب الفيل وأرسلوا عليهم من السهام طيرا أبابيل فلم ينتفعوا
بالافيال بل أفنت الافيال غالب الخيل والرجال ثم تراجعت عساكر الهنود
وابطال الخيالة من الجنود وكتبوا الكتائب وجندوا الجنود ثم تراموا وتصافوا
وتضاموا وتكافوا وهم ما بين مجوسى ومسلم ومبارز منتسب ومنادى بالشعار معلم
وكل فى سواد اللون من الحديد كقطع الليل المظلم ثم تدانوا مع التتار وتراسفوا

وبعد

وبعد المراشقة بالسهام بالرماح تناقفوا ثم بالسيوف تضاربوا ثم تلاتبوا وارتقبوا
ثم تراموا عن ظهور الخيل واحتكر في ذلك القتام النهار بالليل ولا زالت تختلف
بينهم الضربات وتصول فيهم الحملات وتحمد منهم الصولات حتى تلا لسان القضاء
والقدر ان في اختلاف الليل والنهار الآيات ثم تناهى الالتحام وانفرج الازدحام
وأسفرت القضية عن أن بردعا ملك الهند فانهزم جيشه وحل بالهنود الويل ومحا
الله آية الليل ولما تفرقت الهنود وفلوا وانتهى عقد عملهم في المحاربة تحللوا وقتلت
سراتهم وهرب سلطانهم ملوا وثبت تيمور وحكمه في هذه الى الآن كما ثبت أوتاده
في سمرقند فجمع أقيالها وربط أفيالها وضبط أموالها وما غفل عن ضبطه
ما عليها وما لها وسلم أقيالها أفيالها ثم توجه نحو تختها وهي مدينة دهلي مصر عظيم
يجمع فنون الفضل وأرباب الفخر الجلي معقل التجار ومعدن الجواهر والبهار
فقنعت عليه بالحصار فأحاط بذلك السواد الاعظم من عساكره السواد الاعظم
ومن معه من الخلائق والامم فقيل ان هذه العساكر والخلائق مع عظمها وكثرتها لم
يقدروا أن يكتنفوها لسعة دائرتها وانه أخذها من أحد جوانبها بالمحاصرة وتم
الجانب الآخر ثلاثة أيام في المجاذبة والمشاجرة لم يدر من في الجانب المحاصر لبعد
المدى وكثرة الامم ما فعل بالجانب الآخر

﴿ذكر وصول ذلك الخبر الى ذلك العقوق بوفاة الملكين أبي العباس أحمد والملك الظاهر برقوق﴾

وبينما هو قد استولى على كرسي الهند وأمصاره واحتوى على ممالكه وأقطاره
وبلغت من اسمه أعماق أنجاده وأغواره وأنبث جيشه في ولاياتها سهلا ووعرا
وظهر فساده في رعاياها برا وبحرا اذ وفد عليه المبشر من جانب الشام ان القاضي
برهان الدين أحمد السيواسي والملك الظاهر أبا سعيد برقوق انتقلا الى دار السلام
فسر بذلك صدره وانشرح وكاد أن يطير الى جهة الشام من الفرح فنجز بسرعة أمور
الهند ونقل الى ممالكه من فيها من العساكر والجند بما أخذه من الاثقال ونفائس
الاموال ووزع ذلك الجمهور من ذلك الجند المأسور على أطراف ما وراء النهر من
الحدود والثغور وأقام في الهند نائبا من غير وجل ثم صدر عن سمرقند قاصدا الى

الشام على عجل ومعه من الهند ومن أجنادها ووجوه أعيانها وسلطان أفيالها وأفيال سلطانها ثم انه صار قرير العين بتلك الطوائف الطافيه في أوائل سنة اثنين وثمانمائة وانصب بذلك الطوفان من جيحون الى خراسان وكان قد قرر ولده لصلبه أميرانشاه بمملكة تبريز وتلك الديار والسلطان أحمد قد رجع الى بغداد وهو مستوفز للفرار وسبب حركته الى بلاد الشام ما فعله القاضي برهان الدين حاكم سيواس بقصاده الاقتام لكنه أراد أن يعمي مقصده ويغطي عن الناس مصدره ومورده قلت بديها شعر

وأنى يختفي للشمس ضوء * عن الابصار في وضح النهار
وكيف يسد ذفر المسك حشو * خياشيم الورى في يوم حار
وأنى يختفي للطبل صوت * عن الاسماع في وقت النفار

فان قصده كان بعيد المدى طويل الأمد محتاجا الى اعداد أهبة السلوك ويخشى أن تضاهي غزوة تبوك وأظهر سببا أبطن فيه ما رامه من مكره ودواهيه وأشاع ذلك وأذاع فامتلأت منه القلوب والاسماع

(معنى كتاب ورد وهو في الهند عليه زعم ان ولده اميرانشاه أرسله اليه)

وذلك انه أميرانشاه المذكور راسله وانهى اليه يقول على ما قيل في بعض ما قاوله وطاوله انك قد عجزت لكبر سنك وشمول الضعف بدنك ووهنك عن اقامة شعائر الرياسه والقيام بأعباء الايالة والسياسه والأولى بحالك الآن كنت من المتقين أن تقعد في زاويه تعبد وتعبد ربك حتى يأتيك اليقين وقد تم في أولادك واحفادك من يكفيك أمر رعيتك واجنادك ويقوم حفظا عنك بملكك وبلادك وأنى لك البلاد وعمالك وأنت عن قريب هالك فان كان لك عين باصره وبصيرة في نقد الاشياء ماهره فاترك الدنيا واشتغل بعمل الآخره ولو ملكت ملك شداد ورجع اليك اقتدار العمالقة وعاد وساعدك النصر والعون حتى تبلغ مقام هامان وفرعون ورفع اليك خراج الربع المسكون حتى تفوق في جمع المال قارون وصرت في خراب البلاد كبختنصر الذي طول الله تعالى له القصر وبالجملة فلو بلغ سلطانك الاقطار وقضيت من دنياك غاية الاوطار وصار عمرك فيها أطول الاعمار

وشد اهلك فيما ملوكها الاعصار فقصر جندك قيصر وكسر كسرى فانكسر وتبدلك تبع والنجاشي وأوساط الملوك ولاقيال فقد والتحدادها وحواشي وغررك فغفور بالشفاه فاه وأشنيت على الخان وخاقان فريده كل في رقعة دستك شاه وأذعن لك فرعون مصر وسلطانها وحي لك على بدخير الدين ابران الدنيا ونورانها وآل أمرك الى أن كان لك سكان الاقاليم وقطانها أليس قصارى تطاول قصورك الى القصور ونهاية كمالك النقص وحبائلك الموت وسكانك القبور وقلت شعر

فعش ما شئت فى الدنيا وأدرك * بها ما رمت من صيت وصوت

فخيط العيش موصول بقطع * وحبل العمر معقود بموت

وقيل شعر

قميص من القطن من حلة * وشربة ماء قراح وقوت

ينال به المرء ما يرتجى * وهذا كثير على من يموت

فأين أنت من نوح وطول عمره ونياحته على قومه وحسن عبوديته وشكره ولقمان وعظه ولده وتربيته طول الحياة لبده وداود فى ملكه المسيح مع قيامه بأوامر الله تعالى وكثرة الذكر والتسبيح وسليمان بعده وحكمه على الانس والجن والطير والوحش والريح وذى القرنين الذى ملك المشرقين وبلغ المغربين وبنى السد بين الصدفين ودانت له البلاد وملك العباد وأين ذلك من سيد الانبياء وخاتم الرسل وصفوة الاصفياء المرسل رحمة للعالمين الكائن نبيا وآدم بين الماء والطين محمد المصطفى وأحمد المجتبى الذى زويت له مشارق الارض ومغاربها وتمثل بين يديه شاهدها وغائبها وفتحت له خزائنها وعرض عليه ظاهرها وكامنها وكانت جنوده الملائكة الكرام وآمن به الانس والجن والطير والوحش والهوام وأيده الله الكريم المتعال بأن أرسل لطاعته ملك الجبال وكان حامل رايات نصره نسيم الصبا باليمين والشمال فملك الجبابرة بالهيبة والقهر وكانت الاكاسرة والقياصرة تهابه من مسيرة شهر وأيده بنصره وبالمؤمنين من المهاجرين والانصار وتولى نصره اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار وان الله سبحانه به أسرى فى بعض ليلة من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وكان مركوبه الشريف البراق ثم عرج به الى السبع الطباق وقرن اسمه الكريم مع اسمه

وتعبد عباده بشريعته الى يوم القيامة من غير تغيير لملته ورحمته وخلق لاجله الكائنات وأنار بوجهه الموجودات ولم يخلق في الكون أشرف منه ولا أنضر اغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وأظهر من معجزاته ان اشبع الجم الغفير من القرص الشعير وسقى الكثير من الرجال عما نبع من بين أصابعه من الماء الزلال وانشق له القمر وسعت اليه الشجر وآمن به الضب وسلم عليه الحجر وهل تحصى معجزاته وتحصر كراماته وناهيك بمعجزاته المؤيدة وكرامته المؤبدة الخالدة على مر الزمان الباقية ما دار الحدثان الساكنة ما تحرك الملوان وهو القرآن المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وهذه منازله في الدنيا غير ما ادخر له في العقبى وبشره بقوله وللآخرة خير لك من الاولى ولسوف يعطيك ربك فترضى مع ان الله تعالى أخذ ميثاق النبيين بالايمان به وبنصره فلو أدركوه لم يسعهم الا اتباعه وامتثال أمره فهو دعوة ابراهيم الخليل ومتوسل موسى وعلماء بني اسرائيل والمبشر بقدومه على لسان عيسى في الانجيل وحامل لواء الحمد به يوم لقائه فآدم ومن دونه تحت لوائه وهو صاحب الحوض المورود والمخاطب من ربه في موقف الشفاعة والمقام المحمود وبعض ما قلت معرفا مقتبسا شعر

قل تسمع اشفع تشفع سل تنل تجد * تفويف خلعة عز واقتبس نعمى

فانظر الى هؤلاء السادة معادن الخير ومفاتيح السعادة هل رغبوا في الدنيا واعتمدوا عليها أو نظروا اليها الا بعين الاحتقار والاعتبار اليها أو هل كان نظرهم غير التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله وناهيك بالخلفاء الراشدين وأعظم بالعمرين اللذين كانا في هذه الامة بمنزلة القمرين وهلم جرا بالخلفاء العادلين والملوك الكاملين والسلاطين الفاضلين الذين تولوا امره واحقوا حقوق الله تعالى في عباده ومنعوا عباد الله عن الظلم في بلاده وأسسوا قواعد الخير وساروا في نهج العدل والانصاف أحسن سير فمضوا على ذلك وبقيت آثارهم وأحييت بعد موتهم أيامهم أخبارهم ففي ذلك مثل الاولين وبقي لهم لسان صدق في الآخرين اذ صنعوا ما يوجب ما سمعوا شعر

فكن حديثا حسنا ذكره * فانما الناس أحاديث

وأنت وان كنت تسلطت على الخلق فقد عدلت أيضا ولكن من الحق ورعيت

ولكن أموالهم وزروعهم وعيت ولكن بالنار قلوبهم وضلوعهم وأسست ولكن
قواعد الفتن وسرت ولكن على سرامات المدن ومع هذا فلو عرجت الى السبع
الشداد ما بلغت منزلة فرعون وشداد ولو رفعت قصورك على شوامخ الاطواد
ما ضاهت ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد فانظر الى من نهى وأمر ثم مضى
وغبر ولا تكن ممن طغى وفجر وتولى وكفر واقنع بهذا الخطاب عن الجواب واعط
القوس باريها واترك الدار لبانيها وتول الله ورسوله والذين آمنوا والا فانت اذا من
تولى في الارض ليفسد فيها فاني اذ ذاك امشي عليك واضرب على يديك وامنعك
من السعي في الفساد بان أسوي بين رجليك مع قلة آداب كثيره وعبارات ذنوبها
كبيره فلما وقف تيمور على هذا الكتاب وجه الى تبريز عنان الركاب وكان عند أميران
شاه من المفسدين جماعة سعوا في الارض مفسدين منهم قطب الموصلي أعجوبة
الزمان الدوار وأستاذ الموسيقا والادوار اذا استنطق البرابط أسكت أهل
البراعه واذا وضع الناي بفيه محق عود اسحاق وأبيه وان أخذ في الاغاني
أغنى عن الغواني تقول النفس لنفسه الرخيم خففي عني أنيني فتشير براحته
بالاصبع وتقول على عيني ثم ينفخ فيها الروح فيشفي كل قلب مجروح ويداوي
كل فؤاد مقروح فان أقامت قامته الرشيقة راقصة في سماعها جنى الجلنار طوره
خاصرها الطيب استقامها وان فتحت فاه التقرى اسماع القلوب ألحانه عيل
العود عنقه صفيا اليه ماركا بابامل الادب آذانه قيل انه كان يؤدي جميع الانغام
الفروع والمركبات والشعب والاصول من كل ثقب من أثقب الأصول وله مصنفات
في أدوار المقامات وجرى بينه وبين الاستاذ عبد القادر المراغي مباحثات وكان
أميرانشاه به مغرما بصحبته والعشرة مغتنما وكان تيمور لا يعجبه اللعب ولا
يستهويه اللهو والطرب فقال ان القطب أفسد عقل أميرانشاه كما أفسد عبد
القادر أحمد ابن الشيخ اويس واطغاه ووصل ذلك الطاغ سابع عشر شهر ربيع
الاول سنة اثنتين وثمانمائة الى قراباغ فاناخ بها ركابه وأراح بها دوابه وضبط ممالك
اذربيجان وقتل أولئك المفسدين وأهل العدوان ولم يتعرض لاميرانشاه لانه
ولده وهو انشاه وبينهما أمور متشابهات لا يعلم تأويلها الا الله ثم توجه بذلك الخميس
ثاني جمادى الآخرة يوم الخميس وأخذ مدينة تفليس وقصد بلاد الكرج وهدم

ما استولى عليه من قلعة وبرج وقلعهم الى الصياصي والقلاع العواصي وقتل من ظفر به من طائع وعاصي وبددهم ما بين قاص ونواصي ثم ثنى عنان الفساد وحرش البغاة على بغداد فهرب السلطان أحمد من ذلك الجب الى قرا يوسف في ثامن عشري شهر رجب فسكن تيمور زعازعه وطمن بذلك مشارقه ومغاربه وتغفل في الامر واستعمل في نحوه مع مناظريه مباحث سوى زغبر وصار يتجاوز ويتجاهل وينشد وهو يتغافل شعر

أموه عن سعدى بعلوى وأنتم * مرادي فلا سعدى اريد ولا علوى

فتراجع السلطان أحمد وقرا يوسف يوما الى مدينة السلام منصورين لانه لم يبرح من بلاد العسكر الاثام فلما تحققا منه الخروج وكانا حققا انه اذا خرج على شئ فما يعوج وطار طائرهما نحو الروم وترك ديارهما ينعق فيها الغراب والبوم فتوجه ذلك الغشمان الى مصيف التركمان فاشهر السيف وكف عن الحيف وتصرم الصيف

﴿ذكر ما وقع من الفتن والبدع وما سل الشرور من حسام بعد موت سلطان سيواس والشام﴾

وكان اذ ذاك قد تخبط امر الناس ووقع الاضطراب ببلاد مصر والشام الى سيواس اما مصر والشام فلموت سلطانها واما سيواس فلقتل برهانها وكان موتهما متقارب الزمان كموت قرا يوسف والملك المؤيد الشيخ ابي الفتح غياث الدين محمد بن عثمان فان مدى ما بين موت هؤلاء الملوك العظام كان نحوا من نصف عام وكذا كان ما بين موت ذينك السلطانين

﴿ذكر نبذة من امور القاضي وكيفية استيلائه على سيواس وتلك الاراضي﴾

وسبب قتل القاضي برهان الدين شكائم رقت بينه وبين عثمان قرايلوك رأس المفسدين سنزداد بيانها اذا أتى مكانها وهذا السلطان أبوه كان قاضيا عند السلطان ارتنا في قيصرية وبعض ممالك قرمان وكان بين الامراء والوزراء ذا مكانة وامكان وكان ابوه برهان الدين احمد المذكور في عنفوان شبابه من طلبة العلم الشريف وأصحابه المجتهدين في تحصيله واكتسابه فتوجه الى مصر لاقتناء العلوم

وضبطها

وضبطها من طريقي المنطوق والمفهوم وكان ذا فطنة وقادة وقريحة نقادة ومقالة غير رقادة فحصل من العلوم عدة في أدنى مدة فبينما هو في مصر يسير واذا هو بفقير جالس على الطريق كسير فناوله شيأ يسد به خلته ويجبر به فقره وكسرته فكاشفه ذلك الفقير بلفظ معلوم وكشف له عن السر المكتوم وقال لا تقعد في هذه الديار فانك سلطان الروم فصدع بهذا الكلام قلبه فاشتغل في اعداد الاهبة وقطع الاعلاق ودخل الطريق بصحبة الرفاق ولما وصل الى سيواس ابتهج به والده واعيان الناس وشيد له بين الخلق أشد بنيان وأشد أساس وشرع في القاء الدروس ومصاحبة الاعيان والرؤس وكان ذا همة أبيه وراحة سخية ونفس زكية وخصائل رضيه وشمائل مرضيه وتحرير شاف وتقرير واف يحقق كلام العلماء ويدقق النظر في مقالات الفضلاء وله مصنفات في المعقول ولطائف في المنقول ينظم الشعر الرقيق ويعطي عليه العطاء الجليل ويلحق اللفظ الدقيق ويثيب عليه الثواب الجزيل وهو في ذلك يتزيا بزي الاجناد ويسلك طريقة الامراء من الركوب والاصطياد ويلازم أبواب السلطان ويتخذ الخدم والاعوان فمات السلطان عن ولد صغير فأجلسوه على السرير وكان عنده من الأعيان الامراء ورؤس الوزراء أناس منهم غضنفر بن مظفر وفريدون وابن المؤيد وحاجي كادي وحاجي ابراهيم وغيرهم ومن أكبرهم أبو القاضي برهان الدين فصار هؤلاء الامراء والرؤس من الوزراء والكبراء يدبرون مصالح الرعيه ولا يفصلون الا باتفاق ما يقع من قضيه فمات أبو القاضي برهان الدين وتولى ولده مكانه وفاق بالعلم وحسن السياسة أباه وأقرانه ففرق ولايات ذلك الاقليم على ابن المؤيد وحاجي كادي وحاجي ابراهيم فبقي حوالي السلطان محمد فريدون وغضنفر وبرهان الدين أحمد ثم تولى السلطان محمد عن غير ولده فبقيت الولاية بين الثلاثة على سبيل الاشتراك لوراثه وقلما اتفق ضرتان على زوج واحد والتقتا ولو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ومائة فقير ينامون في حصير وملكان لا يسعهما اقليم كبير فأراد برهان الدين الاستبداد بالملك والاستقلال فنصب لشريكيه أشراك الاحتيال اذ الملك عقيم فرصد لذلك الطالع المستقيم ونظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم فرأى شريكاه ان العيادة عباده فطلبا

بعيادته الحسنى ورام هو الزياده فعاداه وقد عاداهما وما راعياه ولكن راعهما
وما راعاهما فدخلا عليه وقد أرصد لهما رصدا وأعد لهما من الرجال العدة عددا
وقتلهما وقد حصلا فى قبضة الاشراك وخلص توحيد السلطنة الاحدية عن
الاشراك فقوى بالتوحيد سلطانه وأضاء به للدين حجته وبرهانه ولكن ناواه
انداده وعصى عليه من النواب أكفاؤه وأضداده وأظهر كامن العداوة أعداؤه
وحساده وقالوا هذه مرتبة لم ينلها آباؤه ولا أجداده ونحن كنا سواسية اذ ثقتنا
فأنى يكون له الملك علينا وحسد الرياسة هو الغل الغل وقلما سد الاكماه جرح
لا يندمل فمنهم شيخ نجيب صاحب توقات القاسيه ومنهم حاجى كادى وكان نائب
أماسيه فلما استقل بالملك تلقب بالسلطان وكان استولى اذ ذاك السلطان علاء
الدين على ممالك قرمان فقال السلطان برهان الدين ان رواة التواريخ حدثتنا
وأسمعتنا وكتب السير أنبأتنا وأخبرتنا ان ما حولينا من الممالك متعلق بنا من
سلطاننا وارثنا ثم شرع فى استخلاص ما كان متعلقا بسلطانه وجعل يشن
الغارات على من يتمادى فى عصيانه ففتح قلعة توقات من الشيخ نجيب قسرا
واستصحبه معه طوعا وقهرا وانحازت تتار الروم اليه وهم الجم الغفير وعثمان
الملقب بقرايلوك قال له أنا تحت أوامرك أمشى وفى قبضة طاعتك أسير فكان
قرايلوك من جملة خدمه وفى حساب تراكمته وحشمه فكان يرحل هو ومن معه من
الناس شتاء وصيفا بضواحى سيواس

(ذكر قرايلوك عثمان آثار نوائر برهان الدين السلطان)
(بسبب ما أظهره من العدوان واضمره حالة العصيان)
(وقبض عليه لما غدر به الدهر وخان)

ثم انه وقع بين قرايلوك وبين السلطان منافره أدت الى المشاجره وانتهت الى المراجمه
والمنافره فنقض العهود والذمم وامتنع من حمل التقادم والخدم وتمنع فى
الاماكن العاصية بمن معه من التراكمة والحشم فلم يكترث به السلطان لانه
كان أقل الاعوان وجعل يتوجه الى أماسيه وأخرى الى أرزنجان وكان بالقرب
من سيواس مصيف منظره ظريف وترابه نظيف وماؤه خفيف وهواؤه لطيف

كأن الخلد خلع على أكناف رياضه سندسه الاخضر والفردوس فجر في خلال
أشجاره من نهره الكوثر على حدائقه من رضاب الجنان شبه وفي ربوة جبهته
للابصار دهشات وللبصائر نزه قلت شعر

عليه شقيق قد زهاه كأنه * عيون عقيق أترعت بالعنابر

فقصده قرايلوك ورام في طريقه السلوك فنزل على سيواس وبها القاضي أبو
العباس فجاز بركابه ولم يعبأ به ذلك تعززه وتيقظه وكاد يتميز من غيظه وقال
بلغ من هذا الهوان أن يلج برج الاسد ويقدم قدم أقدامه وأنا حل بهذا البلد ثم أمر
جماعته بالركوب وقصد عليه الوثوب واستفزه الغضب والطيش ان ركب وسبق
الجيش فقال له بعض من معه من الجماعة لو لبث مولانا السلطان ساعة حتى
يتلاحق العسكر كان أحزم وأوفق وأجدر وان كان حوصة مولانا السلطان فيها
كفاية وله التأييد لكن قرايلوك تركماني ذو دهاء وكيد فلم يلتفت السلطان الى هذا
الكلام ولم يزل عاجيا وراءه حتى هجم الظلام فعثر عليه قرايلوك بجماعته
فقبض عليه باليد من ساعته ولم يدر بحاله العسكر وتفرق أمراؤه وجنده شذر مذر

﴿ذكر ما كان نواه قرايلوك من الرأي المصيب
ورجوعه عنه لسوء طويته بشيخ نجيب﴾

ثم ان قرايلوك عزم أن يجدد معه العهد والميثاق ويقلع غراس الخلاف ويؤسس
بنيان الصداقة والوفاق ويرده الى مكانه ويصير كما كان أولا من أنصاره وأعوانه
ويعلم بذلك السلطان انه له ناصح فلا يسمع فيه كلام واش وكاشح واذا بشيخ نجيب
الذي كان متولي قلعة توقات وحاصره السلطان وضيق عليه مسالك الطرقات ثم
قهره وغلبه وأخذ قلعته وبالكراهة استصحبه وجد فرصة فانتهزها وكان في
قلبه كامن حنيمة فابرزها فجاء الى قرايلوك ووقف في خدمته كالمملوك وقال
أحيد عالم عقلك ان يزل ودليل فهمك ان يضل ومصيب رأيك أن يصاب
وجميل فكرك أن يعاب قد أمكنك الله من العدو واني لك مع هذا السكون والهدو
قلت شعر ما الدهر الا ساعة وتنقضي * والمرء فيها حازم أو نادم
فلئن أبقيت عليه لا يبقي عليك ولئن نظرت اليه بعين الرحمة والله لا ينظر اليك

فانه رجل غبي وبأنواع المكر واصناف الخديعة عمي عسر القياد وأبيك لا يجتمع فيه الخير وأبى وهيهات والعياذ بالله منه مكانه منك أ كان يرق لك أو يصفح عنك هيهات هذا والله محال فقد وقع لك والله محال فما كل أوان يسمح المراد الزمان والدهر فرص وأكثره غصص فاياك أن تفوت الفرصة فتقع في الغصة وأي غصة ولا ينفعك الندم اذا زلت بك القدم وتتذكر فيها أقول واستنبط دليل هذه المسئلة من المقول واستبق شرفك الرفيع باراقة دمه وحسن استئصال ملك بابتذال حرمه وتذكر يا أمير أمور قابوس بن وشمكير ولا زال ذلك الشيطان يحسن له الرأي في قتل السلطان ويقول هذا الرأي أنفع لك وعليك أعود كما قال بسطام أمير الكرد بقرا يوسف لما قبض على السلطان أحمد فرجع قرايلوك عن رأيه لما خدعه ودهاه فقتل السلطان من غير امهال ولا توقف رحمه الله وكان قتل قرا يوسف السلطان أحمد ابن الشيخ أويس في عاشر شهر رجب سنة ثلاث عشرة وثمانمائة والقصة مشهورة وكان السلطان رحمه الله جاد كرا قولا عالما فاضلا كريما متفضلا محققا في التقرير مدققا في التحرير قريبا من الناس مع كونه شديد البأس رقيق الحاشية أديبا شاعرا ظريفا لبيبا أريبا جوادا مقداما ترما هماما تهاب الدنيا وهابها يهب الالوف وان يهابها يحب العلماء ويجالسهم ويأتي الفقراء ويكايسهم وقد جعل يوم الاثنين والخميس والجمعة للعلماء وحفاظ القرآن خاصة لا يدخل عليه معهم غيرهم في تلك الأيام الخاصة وكان قد أقلع قبل وفاته عن جميع ما كان عليه وتاب الى الله تعالى ورجع اليه وله مصنفات منها الترجيع على التلويح وكان عنده نديم للفضل حريز بغدادي الأصل يدعى عبد العزيز وكان أعجوبة الزمان وفي لطائف الشعر والنظم فارسيا وعربيا طار رفقة الدوران سرقه من بغداد من السلطان أحمد ابن الشيخ أويس فكان عنده رأس ندمائه ومن أهل الفضل والكيس والقاضي كان يربي الفضلاء متطلعا من كل جهة الادباء والشعراء وكان أهل الفضل والأدب يفدون عليه من كل فج حتى صار مقامه كعبة الحاج لا كعبة الحج وصور نسرقته له انه لما عم باوصافه أحبه فاراد قربه فالتمسه من مخدومه فلم تسمح نفس السلطان أحمد بمفارقة نديمه ثم اختشى من القاضي رهبة وخاف اشتداد هيبة هربه فوصى به وحرج عليه وأقام له عقبات يحفظونه من

خلفه ومن بين يديه فأرسل القاضي اليه رسولا ذكيا فناداه نداء خفيا وأجزل
له العطيه ووعده مواعيد سنيه وفرق ما بين السلطانين من الحسن والقبح
كفرق ما بين البحرين العذب والملح والموتين المساء والصبح فلبى دعوته بالقبول
وواعد للخروج بعض القفول ثم خرج وطيب الحرس قد رقد والسلطان أحمد عند
الحريم قد رقد فوضع ثيابه على ساحل دجله ووجه الى داخل النهر في الطين رجله
ثم غاص في الماء وعبر وخرج من مكان آخر ولحق برفقائه واختفى بينهم اختفاء
اليربوع في نافقائه فطلبه السلطان أحمد ففتشوا عليه فلم يوجد فبالغوا في طلابه
الى ان وقفوا على ثيابه ورأوا آثار رجليه في الطين فلم يشكوا ان الموج اختطفه
فكان من المغرقين فكفوا اقدام السعي عن طلبه ولم يضيقوا على أحد بسببه ثم
بعد أيام يسيره أخرج غريق بغداد رأسه بسيواس عند القاضي برهان الدين من
تحت الحصيره فقربه في أعز نواله وأسبغ عليه ذيل كرمه وافضاله فصار عنده
مقدما ولديه مبجلا معظما ألف له تاريخا بديعا سلك فيه مهيعا رفيعا وانتهج
منهجا منيعا ذكر فيه من بدو أمره الى قرب وفاته مع مواقفه ووقائعه ومصافاته
ووثباته بظريف كناياته ولطيف استعاراته وفصيح لغاته وبليغ كلماته
ورشيق اشاراته ودقيق عباراته متفيهقا فيه عنان اللسان وهو موجود في ممالك
قرمان في أربع مجلدات ذكر ذلك لي من غاص بحره واستخرج دره ووقف
على تاريخ العتبي في اليميني السلطان محمود بن سبكتكين وأن هذا أحسن من ذلك
أسلوبا وأعز ينبوعا وأعذب مشروبا مع أني لم أقف عليهما ولا وصلت قدم
اطلاعي اليهما ثم ان الشيخ عبد العزيز هذا بعد طيب هذه الدائره انتقل الى القاهره
ولم يبرح على الابراح ومعاقرة راح الافراح حتى خامرته نشأة الوجد فصاح
وتردى من سطح عال فطاح ومات مثل ميتة صاحب الصحاح والله أعلم

ذكر ما وقع من الفساد في الدنيا والدين بعد قتل قرا يلوك السلطان برهان الدين

ولما قتل السلطان برهان الدين لم يكن في أولاده من يصلح للرياسه وينفذ أحكام
السلطنة والسياسه فرجع قرا يلوك الى سيواس ودعا الى نفسه الناس فلم يجيبوه

واعتوه وسبوه فأخذ يحاصرهم ويناكدهم ويضيق عليهم ويعاندهم فاستنجدوا
عليه التتار فأمدّهم وأتت طائفة منهم فنجدوهم فكسرهم قرايلوك ففروا
واستنجدوا ثانياً فأنجدوهم وكروا وأقبلوا بالقض والقضيض وملأوا البقاع والحضيض
فلم يكن لقرايلوك على جبهة قتالهم طوق فدخل عليهم من تحت وجاءهم من فوق
وتوجه الى تيمور وكان بعسكره في أذربيجان يدور فقبل يديه وانتمى اليه
وصار يناديه الى هذه البلاد ويدعوه كما فعل معه الامير ايدكو مثل ذلك في الدبره
فأجابه اجابة حريصا أبا مرّه

﴿ذكر مشاورة الناس من اهل سيواس فيمن يسلكون ومن يملكون﴾

ثم ان أهل سيواس والاعيان من رؤسائها والاكابر تشاوروا فيمن يملكون
قيادهم والى من يسلمون بلادهم لسلطان مصر أم لابن قرمان ام السلطان الغازي
بايزيد بن عثمان ثم اتفق رأيهم السديد على المرحوم ايلدريم بايزيد فارسلوا اليه
قاصدا واستنهضوه اليهم وافدا وأنشدوه وقد استنجدوه شعر

وكم أبصرت من حسن ولكن * عليك من الورى وقع اختياري

فتوجه من ساعته اليهم وقدم بالعساكر والجنود عليهم وشيد القواعد والاركان
وولى عليهم أكبر أولاده أمير سليمان وأضاف اليه خمسة أنفار من أمرائه الكبار
يعقوب بن أورانيس وحمزة بن بجار وقوج على ومصطفى وداوادار واستمال خواطر
الاعيان وتوجه الى أرزنجان فهرب منها طهرتن الى كور وقصد في انهزامه
تيمور فاستولى ابن عثمان على مدينة أرزنجان وأخذ أموال طهرتن وذخائره
وحرمه وتمكن من نواسه وغلمانه وخدمه ورجع بالاموال والحمول واشتغل
بمحاصرة استنبول

﴿فصل﴾ فنبه قرايلوك وطهرتن من تيمور قائم الفتن وان كان المتحرك منه
في الفساد ما سكن حتى توجه الى هذه البلاد وعمم فساد البلاد والعباد فوصلوا
الى ارزنجان وارزن ثم ارتحلوا ونزلوا مفسدين ماردين فعصى عليه الملك الظاهر
لما كان قاساه أولا من طاعة ذلك الغادر فندم على اطلاقه أول مرّه كما سيندم
يوم القيامة ولم تنفعه الندامة والحسره وكان ذلك في سنة اثنين وثمانمائة وانقلب

قد وقع بين العساكر الشامية والمصرية وانحاز الى كل فئة وتفرقت آراؤهم أيادي سبا
ومال هؤلاء كل منهم الى دبور وشمال وصبا وأهملوا أمور الرعايا وغفلوا عن حلول
الرزايا قلت شعر

من يهمل الاعداء ويأمن كيدهم * مثل النؤوم وراءه مستيقظ

قلت شعر واللص ليس له دليل سائر * نحو الذي يبغي كنوم الحارس

ثم قتل هو وتم هلاك الامراء بالشام المحروس أعيان الأمراء والاعلام الرؤس في شهر
رمضان من العام المذكور وبيان هذه الامور في كتب التواريخ مسطور قلت

واذا العرين تفرقت آساده * هوت الثعالب فيه آمنة الردى

﴿ذكر قصد ذلك الغدار سيواس وما يليها من هذه الديار﴾

ثم ان تيمور وجه عنان الباس نحو مدينة سيواس وبها كاذكر أمير سليمان
ابن بايزيد بن مراد بن أورخان بن عثمان فأرسل يخبر أباه بهذا الامر المهول
ويستنجده وهو اذ ذاك يحاصر اسطنبول فلم يطق ان يمد اليه يدا لاحتياجه الى
المدد وابعد المدى فاستحضر من جنده أهل النجدة وحصن المدينة والقلعة
واستعد للقتال واستمد للحصار وفرق رؤس أمرائه على أبدان الاسوار وجهز
تيمور من جيشه العيون ليتحقق ما هو عنده مظنون ولما كشفت جيوشه لامير
سليمان رينها فلما أن رأى عينها فعزم على التوجه الى أبيه واشترط مع أمرائه
وذويه أنهم يحفظون له البلد ريثما يجهز لهم المدد والعدد فلم يسعهم الا الموافقة
والتخلف وعدم المرافقة فرام لنفسه الخلاص وأفلت وله حصاص فوصل اليها
تيمور بتلك السيول الهامية سابع عشر ذي الحجة سنة اثنين وثمانمائة ولما
أحل بسيواس رجله الشومى قال انا افتح هذه المدينة في ثمانية عشر يوما ثم أقام
في محاصرتها علامات الحشر وفتحها في اليوم الثامن عشر بعد ما عتى فيها وعاث
وذلك يوم الخميس خامس المحرم سنة ثلاث وبعد ان حلف للمقاتلة أن لا يريق دمهم
وانه يرعى ذممهم ويحفظ حرمهم وحرمهم ولما فرغت المقاتلة واستمكن من المقاتلة
ربطهم في الوثاق سربا وحفر لهم في الارض سربا وألقاهم أحياء في تلك
الاخاديد كما ألقي في قليب بدر الصناديد وعدد من ألقي في تلك الحفر كان ثلاثة

آلاف نفر ثم أطلق عنان النهاب وأتبع النهب الاسر والخراب وكانت هذه المدينة من أظرف الامصار في أحسن الاقطار ذات عمائر مكينه وأماكن حصينه ومآثر مشهوده ومشاهد للخير معهوده ماؤها رائق وهواؤها للامزجة موافق وسكانها من أحسن الخلائق يتعاطون التوقير والاحتشام ويتعاطون أسباب التكلف والاحترام وهي متاخمة ثلاثة تخوم الشام وأذربيجان والروم وأما الآن فقد حلت بها الغير وتفرق أهلها شذر مذر واعفت مراسم نقوشها فهي خاوية على عروشها

﴿ ذكر انسجام صواعق ذلك البلاء الطام من غمام الغرام على فرق ممالك الشام ﴾

ولما استنفق سيواس لحماً ونقياً واستوفاها حصداً ورعياً فوق سهام الانتقام الى نحو ممالك الشام بجنود ان قيل كالجراد المنتشر فالجراد كان من أعوانها أو كالسيل المنهمر فسيل الدماء جار من فرندها وخرصانها أو كالفراش المبثوث فالفراش يحترق عند تطاير سهامها أو كالقطر الهامي فالديم تضمحل عند انعقاد قتامها رجال توران وأبطال ايران وغور تركستان وفهود بلخشان وصقور الدشت والخطا ونسور المغول وكواسر الجتا وأفاعي خجند وثعابين ايذكان وهوام خوارزم وجوارح جرجان وعقبان صغانيان وضواري حصار شادمان وفوارس فارس واسود خراسان وضباع الجبل وليوث مازندران وسباع الجبال وتماسيح رستمدار وطالقان وأصل قبائل خوز وكرمان وطلس أرباب طيالسة أصبهان وذئاب الري وغزني وهمذان وأفيال الهند والسند وملتان وكباش ولايات اللور وثيران شواهق الغور وعقارب شهرزور وجرارات عسكر مكرم وجنديسابور

شعر
قوم اذا الشر أبدى ناجذيه لهم * طاروا اليه زرافات ووحدانا

مع ما أضيف اليهم من أهيار الخدم وفواصل التراكمة والاوباش والحشم وكلاب النهاب من رعاع العرب وهمج العجم وحثالة عباد الاوثان وأنجاس مجوس الامم ما لا يكتنفه ديوان ولا يحيط به دفتر حسبان وبالجملة فانه الدجال ومعه يأجوج ومأجوج والرياح العقيمة الهوج فتوجه والمكر قائده والسعد رائده والقضاء

موافقه والقدر مساعده ومشيئة الله تعالى سائقه وارادة الله عز وجل في تدبير العباد والبلاد سابقه فبلغ خبره البلاد الشاميه واتصل ذلك بالديار المصريه فورد مرسوم شريف الى نائب الشام وسائر النواب والحكام وغزاة الدين وحماة الاسلام أن يتوجهوا الى حلب ويقيموا عليه الجلب ويجتهدوا في دفعه ويتعاونوا على منعه فتجهز نائب الشام سيدي سودون مع النواب والعساكر ورحلوا الى حلب سنة ثلاث وثمانمائة في شهر صفر ووصل تيمور الى بهسنا فنهب ضواحيها ولم يبق بها سنا وحاصر قلعتها ثلاثة وعشرين ليله فأخذها ولكن كف عنها الطايفة ربابية تبوره ووليه ثم وطئ مدينة ملطية فأبادها وذلك أطوادها ثم نزل كعبه المشوم بقلعة الروم وكان نائبها الناصري محمد بن موسى بن شهري وسنذكر ما جرى له معه شيئا وكيف اجتهد في مجاهدته وسعى فأقام بها يوما ولم ينتج له روما ولم يحتفل لها بحصار وهياج وقال هي أهون على من تبالة على الحجاج وذلك انه لما رآها من بعيد قال فيها ما قاله من لم يصل الى العناقيد والحق انه لما رآها قال ان الله لما بناها ادخرها لنفسه واصطفاها ثم انجاب ذلك السحاب الى عينتاب وكان نائبها اركماس رجلا شديد الباس فحصنها واستعد وباشر القتال بنفسه واستبد ثم خرج فهرب الى حلب فلم يرسل وراءه الطلب

(ذكر ما أرسل من كتاب وشنيع خطاب الى النواب بحلب وهو في عينتاب)

ثم أرسل الى النواب قاصده وهو في عينتاب وصحبته مرسوم بأنواع التفخيم موسوم وبأصناف التهويل مرقوم ومن جملته أن يطيعوا أوامره ويكفوا عن القتال والمشاجره ويخطبوا باسم محمود خان وباسم الامير الكبير تيمور كوركان ويرسلوا اليه اطلمش الذي كان عنده خان واقتنصه التركمان وأرسلوه الى مصر لحضرة السلطان واطلمش هذا زوج بنت أخت تيمور وكان جاء الى الشام قبل وقوع هذه الشرور وفيما بين ذلك أمور كان لها بطون فصار لها ظهور وكان أولا في مصر محبوسا ونال ضرا وبوسا ثم صار معززا مكرما معظما مقدما وكان تيمور عليه مغضبا فجعل ذلك حجة للعداوة وسببا ثم شرع يقول وهو يجول في ميدان هذه الرسالة ويصول انه هو أولى بسياسة الانام وان من نصبه هو الخليفة والامام

وانه ينبغي أن يكون هو المتبوع والمطاع وما سواه من ملوك الارض له خدام واتباع
وان لغيره دربة الرياسه وكيف تعرف الجراكسة طرق السياسه مع كثير من التهويل
والحشو والتطويل وكان يعلم ان أجابتهم سؤاله محال وانه طلب منهم ما لا ينال
ولكن قصد بذلك قرع باب الجدال وتركيب الحجة عليهم في فتح حجرات القتال فلم
يجيبوه بالمقال ولكنهم قضوا مراده بالفعال ولم يلتفت سيدي سودون لما يقول
وضرب على رؤس الاشهاد عنق الرسول واستعدوا للمبارزه واستعدوا للمناجزه

﴿ذكر ما تشاور عليه النواب وهم في حلب وتيمور في عينتاب﴾

ثم ان النواب والامراء ورؤس الاجناد والكبراء تشاوروا كيف يكافحونه وفي
أي ميدان يناطحونه فقال بعضهم عندي الرأي الاسد ان نحصن البلد ونكون
على أسوارها بالرصد نحرس بروج افلاكها حراسة السماء بأملاكها فان رأينا
حوالها من شياطين العدو احدا أرسلنا عليه من رجوم السهام ونجوم المكاحل
شهابا رصدا وقال آخر هذا عين الحصر وعلامة العجز والكسر بل نغلق حواليها
ونمنع العدو ان يصل اليها ويكون ذلك أفسح للمجال وأشرح للجدال ثم ذكر كل
من أولئك ما عن له في ذلك وخلطوا غث القول بسمينه وساقوا هجان الرأي مع
هجينه فقال الملك المؤيد شيخ المحمودي وكان ذا رأي مسدد وهو اذ ذاك نائب
طرابلس يا معشر الاصحاب وأسود الحرب وفوارس الضراب اعلموا أن أمركم
خطر وعدوكم داعر عسر داهية دهياء معضلة عضلاء جنده ثقيل وفكره وبيل
ومصابه مرض طويل فخذوا حذركم واعلموا أن دفعه بحسن الحيلة فكركم فان
صائب الافكار يفعل ما لا يفعله الصارم البتار ومشاورة الاذكياء مقدمة الفكر
ومباحثة العلماء مقدمة النظر ان هذا البحر ما عليه عبر وجيشه عددا كالقطر
والذر وهو وان كان كالوابل الصيب لكنه اعمى لانه في بلادنا غريب فعندي
الرأي الصائب ان نحصن المدينة من كل جانب ونكون خارجها مجتمعين في جانب
واحد وكلنا له مراقب مراصد ثم نحفر حولنا الخنادق ونجعل أسوارها البيادق
والبوارق وننظر الى الآفاق أجنحة البطائق الى الاعراب والاكراد والتراكمة
عماشر البلاد فيتسلطون عليه من الجوانب ويثب عليه كل راجل وراكب

ويصير ما بين قاتل وناهب وخاطف وسالب فان أقام وأنى له ذلك فى شر مقام
وان تقدم الينا صادفناه بسواعد للاسنة وأكف الدرق وأنامل السهام وان رجع
وهو المرام رجع بخيبه وأبقيت لنا عند سلطاننا الحرمة والهيبه وان كان بسلطانه
علينا عرج فلنا بحمد الله سلطان وفى سلطاننا فرج وأقل الاشياء ان عساده
وتحرز من جنده فعسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده وهذا الرأى الاسد
بعينه كان رأى شاه منصور الاسد فقال عرداش وهو نائب المدينة ماهذه الآراء
مكينة ولا هذه الافكار رصينه بل المناضلة خير من المطاولة والمناجزه فى هذه
المواطن قبل المحاجزه ومقام المنازله لا تجدى فيه المغازله ولكل مقام مقال
ولكل مجال جدال وهذا طير فى قفص وصيد مقتنص فاغتنموا فيه الفرص
وناوشوه بالحرب وسابقوه بالطعن والضرب لئلا يتوهم فينا الخور ويستنشق
من ركود ريحنا عرف الظفر فاجمعوا أمركم واعملوا ولا تنازعوا فتفشلوا
وانهضوا وثابروا واصبروا وصابروا فأنتم بحمد الله أهل النجده وأولو البأس
والشده وكل منكم فى فقه المناضلة مفن ومختار وعلم فى افاضة دماء الأعداء منار
وله فى ذلك كفايه وهدايه ونهايه وغيره له بدايه وهو لجمع الاسلام كنز واف
وجامع كاف ووقايه تحو والسنة سيوفكم الى تحكيم الرؤس فهى فى الفاظها كافيه
شافيه وتصرف أسنان أسنتكم فى مضاعفة كل ذى فعل معتل فهى فى تصريف
علاها شافية كافيه فان كسرناه فزنا بالمنال وكفى الله المؤمنين القتال وتلك من
الله معونه وقد كفينا عساكر المصريين المؤنه وكان ذلك أعلى لحرمتنا وأقوى فى
ورود النصر لشوكتنا وأذكى لريح نصرنا وأزكى وأبكى لعينه المخيفة وانكى
وان كانت والعياذ بالله الأخرى فلا علينا اذ بذلنا مجهودا وأبقينا عذرا ويخدمنا
يدرك ثارنا ويحيى آثارنا فتوكلوا على الله العزيز الجبار واستعدوا لملاقاة هؤلاء
الاشرار واذا لقيتموهم زحفا فلا تولوهم الادبار ولا زال عرداش يحسن لهم هذا
الرأى اللاش حتى أجمعوا عليه واتفقوا على الخروج اليه لانه كان صاحب البلد
وعلى كلامه المعول والمعتمد وكان عرداش قد خالف الجمهور ووافق فى الباطن
تيمور وهذه كانت عادته وعلى المراوغة جبلت طينته فانه كان كالشاة العابره
والمرأة العاهرة الغادره اذا التقى عسكران فلا يكاد يثبت فى أحدهما جنانه

ومكرا بل يعبر الى هذا مرة والى هذا أخرى مع انه كان صورة بلا معنى ولفظا بلا مجرى فاعتقد تيمور طاعته وفوض الامور اليه وكذلك عساكر الشام وجنود الاسلام ثم حصنوا المدينة وأرصدوا أبوابها وضبطوا اسوارها ورحابها ووكلوا بكل حارة وبكل محلة أصحابها وفتحوا الابواب التي تقابل ملتقاه وهي باب النصر وباب الفرج وباب القناة

(ذكر ما صبه من صواعق البيض واليلب على العساكر الشامية عند وصوله الى حلب)

ثم ان تيمور نقل الركاب فوصل في سبعة أيام الى حلب من عين تاب فنزل بذلك الخميس تاسع شهر ربيع الاول يوم الخميس وبرز من ذلك العسكر طائفة نحوا من ألفي نفر فتقدم لهم من الاسود الشامية نحو من ثلثمائه فقلوهم بالصفاح وشلوهم بالرماح فبددوهم وطردوهم وحدروهم وشردوهم ثم أصبحوا يوم الجمعة فبرز من عسكره نحو من خمسة آلاف الى مصاف الثقاف فتقدم اليهم طائفة أخرى ارسالا وتترى فالتحم بينهم النطاح واشتبكت بين الطائفتين أنامل الرماح فازدحموا واقتحموا واشتدوا والتحموا ولا زالت أقلام الخط في ألواح الصدور تخط والقضبان الصوارم لرؤس تلك الاقلام والاعلام تقط ومشاريط النبال لدماميل الدمال تبط والارض من اثقال جبال القتال تئط حتى تجلى ليل الظلام والقتام وافطشا فتراجعوا وقد أعطى الله النصر لمن يشا وجرى من دماء العدو مع كل فريق نهران وفقد من العساكر الاسلامية نفران ثم أصبحوا يوم السبت حادي عشره وقد تعبت الجنود الشامية والعساكر الاسلامية السلطانية بالعدة البالغة والاهبة السابغة والخيول المسومة والرماح المقومة والاعلام المعلمة ولم يعوز أولئك الصناديد سوى شمة من النصر والتأييد فنحوا قصده وقصدوا ورده وصده وأقبلت عساكره والسعد الميمون طائره والقضاء موازره والقدر مظاهره بالجنود المذكوره والجيوش المعدودة المنصوره تؤمهم الاقبال وأفيال القتال واذا به قد أضمر لهم الويل وعبى عساكره تحت جنح الليل وبث فيهم وأرسل عليهم رقبا لهم يقدمهم وشغلهم بأوائلهم وأحاط الباقون بهم فأتوهم من بين

ايديهم

أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم ومن شمائلهم فمشى عليهم مشي الموسى على الشعر وسعى سعي الدبا على الزرع الاخضر وكان هذا الجولان على قرية حيلان ولما اهتش أمر الشامي وهاش وجاشت الوحشة والاهتياش وتهارشت الاسود وانتطحت الكباش فرت الميمنة وكان رأسها تمرداش فانكسر العسكر وطاش وأخذ الابطال من الدهشة الارتعاش وغلبتهم الحيرة والانبهار فلم يلبثوا ولا ساعة من نهار ثم ولوا الدبر وصارت لاقلام رماحه ظهورهم مسم الزبر واستمروا امامهم يتواثبون وعسكره وراءهم يتخاطبون بمعنى ما قالت شعر

جعلنا ظهور القوم في الحرب أوجها * رقمنا بها ثغرا وعينا وحاجبا

فقصدوا المدينة من الباب المفتوح وهم ما بين مهشوم ومجروح والسيوف تشقهم والرماح تدقهم وقد سالت بدمائهم الاباطح وانثر من سائر لحمهم كل كاسر وجارح فوصلوا الى باب المدينة وانكسروا وحشروا فيه يدا واحدة وتكردسوا ولا زال يدوس بعضهم بعضا حتى صارت العتبة العليا من الباب أرضا فانسدت الابواب بالقتلى ولم يمكن الدخول منها أصلا فتشتتوا في البلاد وتفرقوا في المهامه والاطواد وكسر باب انطاكية المماليك الاغتام وخرجوا منه قاصدين بلاد الشام فوصل فلهم الى دمشق في أبشع صوره وحكوا في كيفية هذه الوقعة أشنع سيره وصعد النواب الى قلعة حلب وتحصنوا فضاقت عليهم الارض بما رحبت فاستأمنوا ونزلوا بواسطة تمرداش اليه وقد غسل كل منهم من الحياة يديه ثم انه مشى على هينته مع وقاره ورزانته وسكينته ودخل حلب ونال منها ما طلب وفاز بالروح والسلب ولما نزل النواب اليه قبض على سيدي سودون وشيخ على الخاصكي وأما تمرداش فخلع عليه وقبض على الطونبغا العثماني نائب صفد وعلى عمر بن الطحان نائب غزة وجعل الكل في صفد وشرع في استخلاص الاموال وضبط الاثقال والانفال وقد ملأت القلوب هواجس هيبته وانتشر في الآفاق شرار صولته ثم انه لم يكتف بما أرهقه من النفوس حتى بنى المآذن من الرؤس وسبب ذلك ان ذا قرابة البريدي الذي أرسله الى حلب وضرب نائب الشام عنقه وسلبه السلب ذكر تيمور بقصته وأراد القود من أهل حلب لذي قرابته فأجاب سؤاله ومكنه فيمن يختار منهم ان يفعل فيه ما استحسنه فقتل طائفة منهم وبنى من رؤسهم كذا وكذا مئذنة

(زيادة ايضاح لهذه المحنة مما نقلته من تاريخ ابن الشحنه)

قال اخبرني الحافظ الخوارزمي ان من كتب في الديوان من عساكر تيمور ثمانمائة
ألف نفس ومنه ان تيمور قصد قلعة المسلمين وكان نائبها الناصري محمد بن موسى بن
شهري واله عصى عليه وكان يخرج للغارات ثم قال مانصه بحروفه وكان قد أبدع
بجماعة تمرلنك وطراشته مدة اقامته على بهنسا وقتل منهم جماعة وأرسل رؤسهم
الى حلب وكسر توماناً كان جهزه اليه أقبح كسرة حتى رمى غالب جماعته بأنفسهم
في الفرات وجهز تمرلنك كتابه الى المشار اليه ونصه يقول فيه اني خرجت من أقصى بلاد
سمرقند ولم يقف أحد أمامي وسائر ملوك البلاد حضروا الي وأنت سلطت على
جماعتي من يشوش عليهم ويقتل من ظفر به منهم والآن فقد مشينا عليك بعساكرنا
فان أشفقت على نفسك ورعيتك فاحضر الينا لترى من الرحمة والشفقة ما لا مزيد
عليه والا نزلنا عليك وخربنا بلدك وقد قال الله تعالى ان الملوك اذا دخلوا قرية
أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها اذلة وكذلك يفعلون فاستعد لما يحيط بك ان أبيت
الحضور فامسك المشار اليه الرسول وحبسه ولم يلتفت الى كلام تمرلنك فنزل اليه
أوائل عسكره فبرز اليهم المشار اليه وقاتلهم وكسرهم وفي اليوم الثاني حضر تمرلنك
على قلعة المسلمين وبرز اليه المشار اليه وقاتله قتالاً شديداً وكانت وقعة عظيمة رأى
فيها منه تمرلنك شدة حزم ورجع عن محاربته وأخذ في مخادعته وملاطفته وطلب
منه الصلح وان يرسل اليه خيلاً ومالاً لاجل حرمته فلم ينخدع منه وتنازل معه الى ان
طلب منه جانباً فلم يعطه وعاد خائباً وأخذ المشار اليه في أواخره قتلاً وثم باواً أمرا كل
ذلك وباب قلعته مفتوح لم يغلقه يوماً واحداً وأنشد فيه لسان الحال شعر

هذا الامير الذي عمت مناقبه * ليث الوغى عمت الدنيا مفاخره
ولى تمرلنك مكسوراً أوائله * منه مراراً ومقهوراً أواخره

وكان حصول تلك السعادة للمشار اليه دون غيره من الملوك واصحاب الحصون لما كان
فيه من العلم والديانة والاخلاص والصيانة ولكونه من السلالة الطاهرة العمرية
رضي الله عنها * ولما كان يوم الخميس تاسع ربيع الاول نازل تمرلنك حلب وكان نائبها
المقر السيفي تمرداش وقد حضرت اليه عساكر البلاد الشامية وعسكر دمشق مع نائبها
سيدي سودون وعسكر طرابلس مع نائبها المقر السيفي شيخ الخاصكي وعسكر حماة

مع نائبها المقر السيفي دقماق وعسكر صفد وغيرها فاختلفت آراؤهم فمن قائل ادخلوا
المدينة وقاتلوا من الاسوار وقائل اخرجوا ظاهر البلد تلقاء العدو بالخيام فلما
رأى المقر السيفي اختلافهم اذن لأهل حلب في اخلائها والتوجه حيث شاؤا وكان
نعم الرأى فلم يوافقوا على ذلك وضربوا خيامهم ظاهر البلد تلقاء العدو وحضر قاصد
تمرلنك فقتله نائب دمشق قبل ان يسمع كلامه ويوم الجمعة حصل بين الاطراف
تناوش يسير فلما كان يوم السبت حادى عشر شهر ربيع الأول زحف تمرلنك
بجيوشه وفيلته فولى المسلمون نحو المدينة وازدحموا فى الابواب ومات منهم خلق
عظيم والعدو وراءهم يقتل ويأسر واخذ تمرلنك حلب عنوة بالسيف وصعد نواب
المملكة وخواص الناس الى القلعة وكان أهل حلب قد جعلوا غالب أموالهم فيها وفى
يوم رابع عشر شهر ربيع الاول أخذ القلعة بالأمان والايمان التى ليس معها
ايمان وفى ثانى يوم صعد اليها وآخر النهار طلب علماءها وقضاتها فحضرنا اليه فاوقفنا
ساعة ثم أمر بجلوسنا وطلب من معه من أهل العلم فقال لأميرهم عنده وهو المولى عبد
الجبار ابن العلامة نعمان الدين الحنفى والده من العلماء المشهورين بسمرقند قل لهم
انى سائلهم عن مسئلة سألت عنها علماء سمرقند وبخارى وهراة وسائر البلاد التى
فتحتها فلم يفصحوا عن جواب فلا تكونوا مثلهم ولا يجاوبنى الا أعلمكم وأفضلكم
وليعرف ما يتكلم فانى خالطت العلماء ولى بهم اختصاص وألفة ولى فى العلم طلب
قديم وكان بلغنا عنه انه يتعنت على العلماء فى الاسئلة ويجعل ذلك سببا لقتلهم
أو تعذيبهم فقال القاضى شرف الدين موسى الانصارى الشافعى عنى هذا شيخنا
ومدرس هذه البلاد ومفتيها سلوه والله المستعان فقال لى عبد الجبار سلطاننا
يقول انه بالامس قتل منا ومنكم فمن الشهيد قتيلنا أم قتيلكم فوجم الجميع وقلنا
فى أنفسنا هذا الذى بلغنا عنه من التعنت وسكت القوم ففتح الله على بجواب سريع
بديع وقلت هذا سؤال سئل عنه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجاب عنه
وأنا مجيب بما أجاب به سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى صاحبى القاضى
شرف الدين موسى الانصارى بعد ان انقضت الحادثة والله العظيم لما قلت هذا سؤال
سئل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم واجاب عنه وانا تحدثت زمانى قلت هذا عالمنا قد
اختل عقله وهو معذور فان هذا سؤال لا يمكن الجواب عنه فى هذا المقام

ووقع في نفس عبد الجبار مثل ذلك وألقى تمرلنك الى سمعه وبصره وقال لعبد الجبار
يسخر من كلامي كيف سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذا وكيف أجاب
قلت (جاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم) وقال يا رسول الله ان الرجل
يقاتل حمية ويقاتل شجاعة ويقاتل ليرى مكانه فأينا في سبيل الله فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو الشهيد فقال تمرلنك خوب خوب
وقال عبد الجبار ما أحسن ما قلت وانفتح باب المؤانسة وقال اني رجل نصف آدمي
وقد أخذت بلاد كذا وكذا وعدد سائر ممالك العجم والعراق والهند وسائر بلاد التتار
فقلت اجعل شكر هذه النعمة عفوك عن هذه الامة ولا تقتل أحدا فقال والله اني لا
اقتل أحدا قصدا وانما أنتم قتلتم أنفسكم في الابواب والله لا أقتل أحدا منكم وأنتم
آمنون على أنفسكم وأموالكم وتكررت الاسئلة منه والاجوبة منا وطمع كل من
الفقهاء الحاضرين وجعل يبادر الى الجواب ويظن انه في المدرسة والقاضي شرف
الدين ينهاهم ويقول لهم بالله اسكتوا ليجاوب هذا الرجل فانه يعرف ما يقول وكان
آخر ما سأل عنه ما تقولون في علي ومعاوية ويزيد فأشرت الى القاضي شرف الدين
وكان الى جانبي ان اعرف كيف تجاوبه فانه شيعي فلم أفرغ من سماع كلامه الا وقد
قال القاضي علم الدين القفصي المالكي كلاما معناه ان الكل مجتهدون فغضب لذلك
غضبا شديدا وقال علي على الحق ومعاوية ظالم ويزيد فاسق وأنتم حلبيون تبع لاهل
دمشق وهم يزيديون قتلوا الحسين فأخذت في ملاطفته والاعتذار عن المالكي بانه
أجاب بشيء وجده في كتاب لا يعرف معناه فعاد الى دون ما كان عليه من البسط وأخذ
عبد الجبار يسأل عني وعن القاضي شرف الدين فقال عني هذا عالم مليح وعن شرف
الدين هذا رجل فصيح فسألني تمرلنك عن عمري فقلت مولدي سنة تسع وأربعين
وسبعمائة وقد بلغت الآن أربعا وخمسين سنة فقال للقاضي شرف الدين وأنت كم
عمرك فقال أنا أكبر منه بسنة فقال تمرلنك أنتم في عمر أولادي أنا عمري اليوم بلغ خمسا
وسبعين سنة وحضرت صلاة المغرب وأقيمت الصلاة وأمنا عبد الجبار وصلى تمرلنك الى
جانبي قائما يركع ويسجد ثم تفرقنا وفي اليوم الثاني غدر بكل من في القلعة وأخذ
جميع ما كان فيها من الاموال والاقمشة والامتعة ما لا يحصى أخبرني بعض كتابه
انه لم يكن أخذ من مدينة قط ما أخذ من هذه القلعة وعوقب غالب الساكنين بانواع من

العقوبة وحبسوا بالقلعة ما بين مقيد ومن يجر ومسحوبون وطرحهم عليه ونزل تمرلنك
من القلعة وأقام بدار الشباب وصنع وليمة على زى المغل ووقف سائر الملوك والنواب في
خدمته وادار عليهم كؤوس الخمر والمسلمون في عقاب وعذاب وسبي وقتل واسر
وجوامعهم ومدارسهم وبيوتهم في هدم وحرق وتخريب ونبش الى آخر شهر ربيع
الاول ثم طلبني ورفيقي القاضي شرف الدين وأعاد السؤال عن على ومعاوية فقلت
له لا شك ان الحق كان مع على وليس معاوية من الخلفاء فانه صح عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه قال الخلافة بعدى ثلاثون سنة وقد تمت بعلى فقال تمرلنك قل على
على الحق ومعاوية ظالم قلت قال صاحب الهداية يجوز تقليد القضاء من ولاة الجور فان
كثيرا من الصحابة والتابعين تقلدوا القضاء من معاوية وكان الحق مع على في نوبته
فانسر لذلك وطلب الامراء الذين عينهم لاقامة بحلب وقال ان هذين الرجلين نزول
عندكم بحلب فاحسنوا اليهما والى اولادهما واصحابهما ومن ينضم اليهما ولا تمكنوا
احدا من أذيتهما ورتبوا لهما علوفة ولا تدعوهما في القلعة بل اجعلوا اقامتهما في
المدرسة يعني السلطانية التي تجاه القلعة ففعلوا ما اوصاهم به الا انهم لم ينزلونا من
القلعة وقال انا الذي ولى الحكم منهم بحلب وكان يدعى الامير موسى بن حاجي طغاى
انى أخاف عليكما والذى فهمته من سياق كلام تمرلنك انه اذا أمر بسوء فعل بسرعة
ولا يحيد عنه واذا أمر بخير فالامر فيه الى وليه وفي أول يوم من ربيع الآخر برز الى
ظاهر البلد متوجها نحو دمشق وثاني يوم أرسل يطلب علماء البلد فرحنا اليه والمسلمون
في أمر مريج وقطع رؤس فقلنا ما الخبر فقيل ان تمرلنك أرسل يطلب من عسكره
رؤسا من المسلمين على عادته التي كان يفعلها في البلاد التي أخذها فلما وصلنا اليه
جاءنا شخص من علمائه يقال له المولى عبد الجبار ابن النعمان فقال ان الامير يقول هؤلاء
قتل نائب دمشق الذى قتل رسوله وقالت هذه رؤس المسلمين تقطع وتحضر اليه بغير
استفتاء وهو حلف ان لا يقتل منا أحدا قصدا فعاد اليه ونحن ننظره وبين يديه لحم
سليق في طبق يأكل منه فتكلم معه يسيرا ثم جاء الينا شخص بشيء من ذلك اللحم فلم
نفرغ من أكله الا وزعجة قائمة وتمرلنك صوته عال وساق شخص هكذا وآخر هكذا
وجاءنا امير يعتذر ويقول ان سلطاننا لم يأمر باحضار رؤس المسلمين وانما أمر
بقطع رؤس القتلى وان يجعل منها قبة اقامة لحرمته على جارى عادته ففهموا منه غيرما

أرادوا انه قد أطلقكم فامضوا حيث شئتم وركب تمرلنك من ساعته وتوجه نحو دمشق
فعدنا الى القلعة ورأينا المصلحة في الاقامة بها وأخذ الامير وهي أحسن الله اليه في
الاحسان الينا وقبول شفاعتنا وتفقد أحوال العامة مدة اقامته بحلب وقلعتها وتجيئنا
الاخبار ان سلطان المسلمين الملك الناصر فرج قد نزل الى دمشق وانه كسر تمرلنك
ومرة تجيء بالعكس الى ان انجلت القضية عن توجه السلطان الى مصر بعد أن قاتل
مع تمرلنك وقعة الاعظيمة أشرف تمرلنك فيها على الكسر والهزيمة وانما حصل من
بعض أمرائه خيانة كان ذلك سبب توجهه ودخل آخذا بالحزم ودخل تمرلنك الى
دمشق ونهبها وأحرقها وفعل فيها فوق ما فعل بحلب ولم يدخل طرابلس بل أحضر له منها
مال ولا جاوز فلسطين وعاد فعبر حلب راجعا الى بلاده ولما كان سابع عشر شعبان
من السنة المذكورة وصل تمرلنك عائدا من الشام الى الجبول شرقي حلب ولم يدخلها بل
أمر المقيمين بها من جهته بتخريبها واحراق المدينة ففعلوا وطلبني الامير عز الدين وكان
من أكبر أمرائه وقال ان الامير رسم باطلاقك واطلاق من معك فاطلب من شئت
وكثرلا روح معكم الى مشهد الحسين وأقيم عندكم حتى لا يبقى من عسكرنا أحد وكان
القاضي شرف الدين لا يفارقني فطلبنا باقي القضاة واجتمع معنا نحو من ألفي مسلم
وتوجهنا الى مشهد الحسين صحبة المشار اليه وأقمنا ننظر الى النار وهي تضرم في أرجائها
وبعد ثلاثة أيام لم يبق بها أحد فنزلنا اليها فلم نر بها أحدا فاستوحشنا وما قدرنا على
الاقامة بها من النتن والوحشة ولم نقدر على السلوك في الطرقات من ذلك شعر

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا * أنيس ولم يسمر بمكة سامر

وكانت نواب بلاد الشام معه مأسورين وانفلتوا أولا بأول ومات سودون بالبطن معه
في قبة يلبغا واستقر في نيابة دمشق تنكري وردي والله أعلم هذا ما انتهى من كلام
ابن الشحنة كما وجدته

﴿ذكر ورود هذا الخبر الذي أقلق ووصول استنبغا الدوادار
وعبد القصار الى جلق﴾

فورد من حلب استنبغا الدوادار والفتح الماهر المدعو بعبد القصار وقالا معاشر
المسلمين الفرار مما لا يطاق من سنن المرسلين من يقدر على هذا فيطلب لنفسه

طريق

طريق النجا ومن أطاق أن يشمر ذيله فلا يبيتن فى دمشق ليله ولا يغالط نفسه بالمداهنه فليس الخبر كالمعاينه فتفرقت الآراء واختلفت الاهواء وماج أمر الناس موجا وتمزقوا كالهود أيم فوجا فوجا فبعض الناس انفصح وجهز أمره وانتزح وبعضهم كابر وأصر وكثر أنيابه لاستقبوفار عبد القهار واهر وارادوا رجم هذين الناصحين وان يسقوهما كأس حين وقالوا انما أردتما بذلك تبديل الناس وتشريدهم واجلاءهم من أوطانهم وتجريدهم وتفريق كلمتهم وتمزيق جلدتهم والا فالامن حاصل والسلطان بحمد الله واصل والنواب فى حلب كانوا شرذمة قليله ولم يتم لهم معه الفكر والحيله مع انه حصل من بعضهم مخامره ولم يوجد من الباقين مناصحة ومظاهره ولم يكن لهم رأس فلا تأخذوا فى هذه المسئلة بالقياس وأما عساكر مصر فانهم كاملوا العدة وسابغوا العدة وفيهم للمسلمين فرج بعد الشدة فقال نحن بعد التبيلغ والتى من شرح سلفنا وما شهدنا الا بما علمنا وكل منا أفصح عما أدى اليه اجتهاده وأبان ووالله انه فى نصيحة المسلمين النذير العريان وقد نصحنا لكم ان كنتم معطين ولكن لا تحبون الناصحين واستمر أمر الناس فى الترديد والتشاعب والتفرق والتبديل والتشاغب فبعضهم توجه نحو الاماكن القدسيه وتوجه بعض الى الديار المصريه وبعض تشبث بأذيال الحروف العاصيه وتحصن آخرون بالاماكن الغامضة القاصيه

﴿ذكر خروج السلطان الملك الناصر من القاهرة بجنود الاسلام والعساكر﴾

ثم ان السلطان خرج من غير توان وتوجه بالعساكر والاستعداد التام الى جهة بلاد الشام فلما بلغ الناس ذلك سكن جاشهم وزال استيحاشهم ورد غالب من كان برح منهم وانفرج الكرب والضيق عنهم وأما أولو العزم وذوو الرأى السديد والحزم فلم يلتفتوا الى قدوم السلطان بل طلبوا لنفسهم الأمان وانتظروا ما يتولد من حادثات الزمان وكأن أنامل الدهر الدائر كتب لهم على مرآة الخاطر ما أنشده الشاعر شعر

ألا انما الايام أبناء واحد * وهذى الليالى كلها أخوات

فلا تطلبن من عند يوم وليلة * خلاف الذى مرت به السنوات

وقلت شعر

ان اختفى ما فى الزمان الآتى * فقس على الماضى من الاوقات

(فصل) ولما انجز تيمور امر حلب ضبط اثقالها وما اخذه منها من مال وسلب ووضعه فى القلعة ووكل به بعض امرائه من ذوى الشجاعة والنجدة وهو الامير موسى بن حاجى طغاى وكان ذا عزم شديد ورأى وتوجه بذلك البحر الطام غرة شهر ربيع الآخر الى جهة الشام فوصل الى حماه ونهب ما حوت يداه ولم يحتفل بامر نهب واسر ولا باسراع فى سير بل سار رويدا وهو يكيد كيدا وهم يكيدون كيدا

(حكاية) رأيت حين توجهت الى بلاد الروم فى اوائل شهر ربيع الاول سنة تسع وثلاثين وثمانمائة وقد وصلنا الى حماه بالجامع النورى بها من الجانب الشرقى على حائطه القبلى نقشا على رخامة بالفارسى ما ترجمته (وسبب تصوير هذا التسطير) هو ان الله تعالى يسر لنا فتح البلاد حتى انتهى استخلاصنا الممالك الى العراق وبغداد فجاورنا سلطان مصر ثم ارسلناه وبعثنا اليه قصادنا بانواع التحف والهدايا فقتل قصادنا من غير موجب لذلك وكان قصدنا بذلك ان تنعقد المودة بين الجانبين وتتأكد الصداقة من الطرفين ثم بعد ذلك عدة قبض بعض التراكمة على اناس من جهتنا وارسلهم الى سلطان مصر برقوق فسجنهم وضيق عليهم فلزم من هذا انا توجهنا لاستخلاص متعلقينا من ايدى مخالفينا واتفق لذلك نزولنا بحماه فى العشرين من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثمانمائة

(فصل) ثم وصل الى حمص فلم يتعرض بها لتشتيت وتبديد ووهبها للسيد خالد بن الوليد قلت بديها شعر

ألا لا تجاور سوى الصالحين * ان احيا وكن جارهم فى القبور
ألم تر حمص وسكانها * نجوا من عذاب بلايا تمور
لانهم جاوروا خالدا * ومن جاور الاتقيا لا يبور

وخرج اليه شخص من آحاد الناس يدعى عمر بن الرواس فاستجاب خاطره وكانه قدم اليه تقدمة فاخره فولاه امور البلد وركن اليه واعتمد وولى قضاء تلك البلاد رئيسا يسمى شمس الدين بن الحداد ونادى بالامان للقاصى والدانى وتبايعوا بها

وتشاوروا وفي استفادة ربح الامن لم يتماروا ثم ان نائب الشام ضعف معه ومات
على قبة يلبغا ونائب طرابلس هرب منه وللخلاص ابتغى فوصل الى مدينته واستقر
في ولايته فاضطرم غضبا واستشاط لهبا واشتعل قيظ غيظه وقتل كل من
من وكله بحفظه وأسر بهم سقر وكانوا ستة عشر وأما غرداش فانه داراه وماراه
وهرب منه في قارا واستمر علاء الدين الطنبغا العثماني نائب صفد وزين الدين
نائب غزة وغيرهما معه في صفد ثم سار وما ارتبك حتى نزل على بعلبك فخرج
أهلها ودخلوا عليه وتراموا على الصلح بين يديه فلم يلتفت الى هذا المقال
وأرسل فيهم جوارح النهب والاستئصال ثم ارتحل بجر يا ذلك البحر الزخار
والسيل التيار والطوفان الثرثار حتى أشرف على دمشق من قبة سيار ووصلت
العساكر المصريه والجنود الاسلاميه وقد ملؤا الفضاء وأشرق الكون منهم
وأضاء فيالق سهامها الحب قلب من نوى الخلاف فالقه وصواعق سيوفها في
مقاص كل عاص صاعقه وأسنة رماحها الرتق سماء الارواح من أرض الاشباح
فاتقه وقد طلبوا الاطلاب وحزبوا الأحزاب وعبوا الميمنة والميسره ورتبوا
المقدمة والمؤخره وسووا القلب والجناح وملؤا البطاح والبراح وساروا بالقانب
المكتبه والكتائب المقنبه والكواكب المكوكبه والمراكب الموكبه
والمراتب المقربه والمقربات المرتبه والسلاهب المجنبه والنجائب التي هي على
أكل اللجم مستاهبه وفي كل كتيبة من الاسود الضراغم ومن النسور القشاعم

قال شعر

ورب ذي لجب كالطود ذي حنق * كأنه البحر في أثناه غابات
بحران في كل موج منهما اسد * يلاعب الموت في كفيه حيات
كل يرى العين معناه وصورته * عند النزال وان ينزل فشطفات
ان يسر تلق السما في الارض دائرة * أو سار تحت قرار ما منه غبرات

وقد تنكبوا حنايا المنايا وتقلدوا سيوف الحتوف واعتقلوا الذوابل النواهل
وثبتوا حيث نبتوا وكأنهم خلقوا من كواهل الصواهل قال شعر

كأن الجو ثوب لازوردي * مزركش نسجه قصب الرماح
فان عقد القتام عليه ليلا * ارتك صفاحه لمع الصباح

كأن نجومه الشهاب ترمى * شياطين الكماح لدى النطاح

ولازالت أفواج هذه الامواج على هذا المنهاج متلاطمه وأثباج هذا البحر العجاج تحت العجاج متصادمه وكل ينادى بطريق المفهوم وما منا الا له مقام معلوم فوصلت غيلان الوغى الى قبة يلبغا يوم الاحد العاشر من شهر ربيع الآخر عام ثلاثة وثمانمائة من الهجره فنزل كل من العساكر ميمنة وميسره واستقرت العساكر والامراء الاسلاميه فى البيوت والمساكن ونزلت الجنود التتاريه غربى دمشق من دار بابا الدولة وما يلى تلك الاماكن ودخل بعض أثقال السلطان الى البلد وتحصنت القلعة والمدينة بالسلاح والعدد ثم أخذ كل من الجيشين حذره وتجهز للمقابلة والمقاتلة أمره وحفروا الخنادق وسد كل على الآخر أفواه المضائق وشرعوا فى المهاوشة والمناوشه والمهارشة والمعارشه ثم أمر السلطان العساكر بالبروز من المدينة الى الظاهر وجعل يخرج من المدينة رؤساء أعيانها وتخارق المقاتلة الى سلطانها والأطفال الصغار والرجال يجأرون الى الجبال وينادون بحرقه كل ليلة فى الارقه يا الله يا رحمن انصر مولانا السلطان والناس فى اضطراب وحركات يستنزلون النصر والبركات ويستغيثون الليل والنهار بالجاه دون الاسوار واستشهد من رؤساء البلد فى تلك الايام قاضى القضاة برهان الدين الشاذلى المالكى الحاكم بالشام وشلت يد قاضى القضاة شرف الدين عيسى المالكى بضربة حسام وجعلوا يأتون عن يظهرون به من العدو فيقتلونه وربما غنموا منهم من ناطق وصامت فيشهرونه

﴿ذكر واقعة وقعت ومعركة صدمت لواهما نمت﴾

ثم فى بعض الايام تقدم من أوائك الاغتام نحو من عشر آلاف وزحفوا الى ميدان المصاف فنهض لهم من العساكر الشاميه نحو من خمسمائه ثم اتبعهم الامير استنبغا فى نحو من ثلاثمائه شعر

أسود اذا لاقوا ظباء اذا سطوا * جبال اذا أرسوا بحار اذا سروا
شموس اذا لاحوا بدور اذا انجلوا * رياح اذا هبوا غمام اذا همووا
صقور اذا انقضوا غيوث اذا همو * رعود اذا صاحوا صواعق ان رموا

مع كل منهم اخطار تسجد قدود الملاح لخطراته وبتار يتعلم سفك الدماء من لحظاته وحنية تضاهي حاجبه وسهام في تشبيهها بأجفانه صائبه وترس لين الملمس اذا تغطى به رأيت البدر على شمس وعليه خوذة كأنها من انوار وجنته مأخوذه أو من بوارق طلعته مفلوذه اذا نظر الطرف اليها أخذه الانبهار يكاد سنا برقها يذهب بالابصار ولبوس أشبه لابسه وصارم لابسه ظاهره حرير ناعم كبشرته وباطنه حديد كقلبه في قوته وقد امتطوا الفحول من نجائب الخيول فكان بدور تلك الجموع مع الرماح المتهيئة الاسنة عرائس تجلى تحت الشموع وتوجهوا الى حومة الوغى وتلاقوا وادخلوا حلقة بلغا

﴿فصل﴾ ولما رأت هذه الأسود تلك الذئاب والكلاب كانوا كالمؤمنين وقد رأوا الاحزاب فبان منهم صحيح الضرب وعليله وقالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله واحاط أولئك بهؤلاء الكثرة القليله وادار واعرضهم على هذه البحور الدائرة المجتثه وحين صار وافي خباء هذه الدائرة كالعروض اشتغلوا بالضرب وتقطيع الدائرة بالحرب العضوض فأول ما اضمروا لهم في ذلك الزحف قطف الراس وخبل العقل وقطع الكف فصلموا بالرمح الطويل عقلهم وثلموا بالرشق المديد شكلهم وبتروا بالعضب البسيط اوتادهم وشتروا بالسهم السريع كاملهم فحذفوهم وقصموهم وخزموهم وشعثوهم وثرموهم وجبوهم ووقصوهم وعصبوهم وعقصوهم وخزلوهم ونقصوهم فردوا صدورهم على الاعجاز وسدوا على حلقة الخلاص منهم المجاز فانكشفوا عنهم وهم ما بين مشطور ومقطوع ومحذوف ومجزوء ومنهوك وموقوف ورجع استفهامي المشار اليه وقد اقتضب بحربه المتدارك سببهم واجتث بضربه المتقارب المتماسك ثقلهم وحيفهم وتسبيغ سوابقهم بالنصر مرفل وبالتمكين التام مذيل وبيت دائرتهم المتفقة آمن من الخلل وعروضه وضربه سالم من الزحاف والعلل

﴿ذكر ما فعله سلطان حسين ابن أخت تيمور من المكر والمين﴾

ثم ان سلطان حسين وهو ابن أخت تيمور اظهر انه خالف على خاله وجاء الى السلطان وفي باطنه أمور وكان شابا ذا شجاعه وعنده طيش ورقاعه وأظهروا بقدومه

الفرح واستشعروا النصر والمرح وكان فى رأسه بهقة شعر فازالوه وخلعوا عليه وفى زعمهم اظهروه

﴿فصـــل﴾ ثم ان تيمور اشاع انه غار وتهتم فرحل قليلا ورجع القهقرى وتحكم كل ذلك من مكائده وحبائل مصائده وبيان ذلك أنه بلغه ان الخلاف واقع بين العساكر المصرية وانهم سيفرون فيفوتونه اذ ذاك فاظهر الخوف وشيع انه راحل ليثبتهم وعن الفرار يثبطهم فلما عزموا على الفرار لم يبق لهم ثبات ولا قرار

﴿ذكر ما نجم من النفاق بين العساكر الاسلامية وعدم الاتفاق﴾

وكان أتابك العساكر وكافل الملك الناصر الامير الكبير باش بيك وتحت يده الاكابر والاصاغر والجند وان كان عدده كثيرا والجيش وان ترآى عدده غزيرا لكن كان كل منهم أميرا ولم يكن شيء منهم سوى الرأس صغير افتشتت آراؤهم وتصارمت أهواؤهم وانتقلت اشعار شعارهم من الدائرة المؤتلفه الى الدائرة المختلفه ونقل كل منهم عن وزن بيته الى أعاريض وأخذ فى عرض صاحبه بالمعاريض وظهرت فى تلك الساعة آيات الرحمن فى اختلاف الألسنة والالوان وصاروا فى رعاية الرعية كالذئب والضبع وسلطوا على مرعى هزيلها الغر الغضوب والسبع ولحق فى سنده هذا الحديث الاصاغر بالاكابر والاسافل بالاعالى والاوائل بالأواخر وصاروا كما قال الشاعر شعر

تفرقت غنمى يوما فقلت لها * يارب سلط عليها الذئب والضبعا

وتوجه منهم رؤس الى القاهره تاركا كل منهم قومه وناصره وعدتوا انه ورقى نفيه منهم معرفة السياسه والدربة فى سلوك طرائق الرياسه

﴿فصـــل﴾ ولما علم الغابرون ما فعله السائرون لم يسعهم غير تشمير الذيل واتباعهم تحت جنح الليل ومن تخلف من قوم أو اخذته سنة أو نوم وقع فى الشرك وهوى به الى أسفل الدرك وكان الناس فى الليل والنهار ملازمين للاقامه على الاسوار وكل قد فرح وابتهج وتيقن انه حصل له من سلطانه فرج ففى بعض الليالى صعد الناس الى مكان عالى واذا بأماكن مخيم السلطان قد علت من

النيران ولم يعرف أحد ما الخبر غير أن الدنيا ملئت بالشر والشرر وأصبحوا وقد خلت الديار ولم يبق في قبة يلبغا نافخ نار فخشعت أصواتهم وسكنت حركاتهم فجعلوا يتهافتون وفيما بينهم يتخافتون وماج الشر واضطرب وقال الناس السلطان هرب فانقصم ظهر الناس وأيقنوا حلول الباس وتفاقمت الهموم وتعاظمت الغموم وتقطعت بهم الاسباب وشمل الخلائق أنواع العذاب وضاقت الحيل كالصدور وتخبطت الأوامر والأمور

﴿فصـــل﴾ ثم ان تيمور حمد ربه ورحل من مكانه ونزل القبة وألقى عصاه ونام مستريحا على قفاه ونادى بجنى باقات شعر

الحمد لله نلت ما أؤمله * والضد أدبر والمأمول قد حصلا

وسفر الخنادق حوله وبث في الاطراف رجله وخيله وأرسل الطلب وراء من هرب وصار كلما أتي بأحد من أجناد الرجال أمر بالقائه بين يدي تلك الأفيال فتعمل معه الافيال في تلك الملاه ما تفعله المواشي يوم القيامة في مانع الزكاه

﴿فصـــل﴾ وأما السلطان فانه لم يصبه من احد صيم لانه تشزنشوز الفيم وانساب انسياب الايم وتوجه على وادي التيم فانتشرت شياطين تيمور في الارض وملأت الطول والعرض ووصلت طراشتهم الى أطراف البلاد وضواحيها وعامة القرى ونواحيها وجعلوا من كل حدب ينسلون في مشارق الارض ومغاربها التي بارك الله فيها وتقدموا الى المدينه وكانت كما ذكر بالأهبة حصينة وبأنواع الاستعداد مكينة مسدولة الحجاب مغلقة الأبواب فتمنع أهلها عليهم ولم يسلموها اليهم رجاء أن يشموا من النجدة الارج أو يمن الله عليهم بعد الشدة بالفرج فاستمروا على ذلك نحوا من يومين ثم استيقنوا من رجائهم الخيبة ومن ظنهم المين فكان قدوم السلطان وذهابه بالعساكر كما قال الشاعر

كما أبرقت قوما عطاشا غمامة * فلما رأوها اقشعت وتجلت

﴿ذكر خروج الأعيان بعد ذهاب السلطان وطلبهم من تيمور الأمان﴾

ولما خانتهم الظنون وعلموا انه حل بهم ريب المنون اجتمع من المدينة الكبراه والموجود من الأعيان والرؤساء وهم قاضي القضاة محيي الدين محمود بن العز الحنفي

وولده قاضي القضاة شهاب الدين وقاضي القضاة تقي الدين ابراهيم بن مفلح الحنبلي
وقاضي القضاة شمس الدين محمد الحنبلي النابلسي والقاضي ناصر الدين محمد بن أبي
الطيب كاتب السر والقاضي شهاب الدين أحمد بن الشهيد الوزير وكان منصب
الوزارة اذ ذاك له ايضا في الجملة والقاضي شهاب الدين الحسباني الشافعي والقاضي
شهاب الدين ابراهيم بن القرشية الحنفي نائب الحكم رحمهم الله فأما القاضي الشافعي
وهو علاء الدين بن أبي البقاء فانه هرب مع السلطان وقاضي القضاة المالكي وهو
برهان الدين الشاذلي فانه استشهد كما ذكر فخرج هؤلاء الاعيان وطلبوا منه
الأمان بعد ما وقع المشاورة منهم والاتفاق ونظمت كلهم في سلك الوفاق

﴿فصل﴾ ولما أقلع السلطان بتلك العساكر المشحون وقع في بحر العساكر
التيمورية قاضي القضاة ولي الدين بن خلدون وكان من أعلام الاعيان وممن
قدم مع السلطان فلما قفل السلطان وانفك كأنه كاف الاذ وقع في الشرك وكان
نازلا في المدرسة العادلية فتوجه هؤلاء الاعيان اليه في تدبير هذه القضية فوافق
فكره فكرهم فملكوه في ذلك أمرهم وما وسعهم الا استصحابه معهم وكان
مالكي المذهب والمنظر أصمعي الرواية والخبر فتوجه معهم بعمامة خفيفة وهيئة
ظريفة وبرنس كهو رقيق الحاشية يشبه من دامس الليل الناشئة فقدموه
بين يديهم ورضوا بأقواله وأفعاله لهم وعليهم وحين دخلوا عليه وقفوا بين يديه
واستمروا واقفين وجلين خائفين حتى سمح بجلوسهم وتسكين نفوسهم ثم هش
اليهم وعرض أسئلته عليهم وجعل يراقب أحوالهم ويسبر بمسبار عقله أقوالهم
وأفعالهم ولما رأى شكل ابن خلدون لشكلهم مباينا قال هذا الرجل ليس من
هاهنا فانفتح للمقال مجال فبسط لسانه وسرد ذكر ما قال ثم طووا بساط الكلام
ونشروا سماط الطعام فكوموا تلالا من اللحم السليق ووضعوا امام كل ما به
يليق فبعض تعفف عن ذلك تنزها وبعض تشاغل عن الاكل بالحديث ولها
وبعض مد يده وأكل وما جبن في معافة الاتهام ولا نكل والى الاكل أرشدهم
وناداهم وأنشدهم شعر

كلوا الأكل من ان عاش أخبر أهله * وأن مات يلق الله وهو بطين

وكان من جملة الآكلين قاضي القضاة ولي الدين ركل ذلك وتيمور يرمقهم

وهيئته

وعينه الخزر اليهم تسترقهم وكان ابن خلدون أيضا يصوب نحوه نظره ويرسل اليه الحدق فاذا نظر اليه أطرق واذا ولى عنه رمق ثم نادى وقال بصوت عال يامولانا الامير الحمد لله العلي الكبير لقد شرفت بحضوري ملوك الانام وأحييت بتواريخي ماماتت لهم من الايام ورأيت من ملوك الغرب فلانا وفلانا وحضرت كذا وكذا سلطانا وشهدت مشارق الارض ومغاربها وخالطت في كل بقعة أميرها ونائبها ولكن لله المنة اذ امتد في زماني ومن الله علي بان أحياني حتى رأيت من هو الملك على الحقيقة والمشير بشريعة السلطنة على الطريقة فان كان طعام الملوك يؤكل لدفع التلف فطعام مولانا الامير يؤكل لذلك ولنيل الفخر والشرف فاهتز تيمور عجبا وكاد يرقص طربا وأقبل بتوجيه الخطاب اليه وعول في ذلك دون الكل عليه وسأله عن ملوك الغرب وأخبارها وأيام دولتها وآثارها فقص عليه من ذلك ما جذع عقله وخلب لبه وسلبه وكان تيمور في سير الملوك والامم وأنباء التتار بحر قارغر باوامه وسنذكر هذه المعان ببديع بيان

﴿فصل﴾ وبينما هم يوما قاعدون في حضرة ذلك العصير واذا بالقاضي صدر الدين المناوي في أيديهم أسير وكان قد تبع السلطان في الهرب فادركه في سيلون الطلب فقبضوا عليه وأحضروه بين يديه واذا هو بعمامة كالبرج وأردان كالخرج فتخطى الرقاب وجلس من غير اذن فوق الاصحاب فاستشاط تيمور غضبا وملأ المجالس لهبا وانتفخ منخره ونجر غيظا منحره وتخر ونجر بجر حنقه وزخر وأمر طائفة من المعتدين بالتنكيل بالقاضي صدر الدين فسحبوه سحب الكلاب ومزقوا ما عليه من ثياب وأوسعوه سبا وشتما وأشبعوه ركلا ولكما ثم أمرهم بتشديد أسره وتجديد كسره وترادف الاساءة اليه وتضاعف الكسرات على رغم التعصب عليه وأخرج اخراج الظالم يوم يولى مدبرا ماله من الله من عاصم ثم تراجع تيمور الى ما كان فيه من ترتيب قواعده ودواهيه فالبس كلا من هؤلاء الاعيان خلعه وأقامه منه في عز ورفعه ثم ردهم منشرحي الصدور في دعة وسرور وفي خاطره شرور وأمور وثور فساروا وقد حاروا قلت شعر

كالهدي زينه المهدي وعظمه * وعن قريب لسيف الموت أطعمه

وشرطهم ولاة تيمور الامان على أن يدفعوا اليه أموال السلطان وماله وللامراء
من أثقال وتعلقات وأموال ودواب ومواش ومماليك وحواش ففعلوا ما به أمر
ورفعوا اليه ما بطن من ذلك وما ظهر فأما القلعة فانها استعدت للحصار وكان نائبها
يدعى ازدار تحصنها وبالأهبة الكاملة مكنها وانتظر من السلطان نجدة أو مانعا
ربانيا يفرج عنه الشدة فلم يلتفت تيمور في أول الامر اليها ولا اشتغل بها ولا عرج
عليها بل صرف همه الى تحصيل الأموال وتوسيق الأحمال بالاثقال فلما حصل
الثقل والخزائن انتقل طرح على المدينة أموال الأمان واستعان على
استخلاصها بهؤلاء الأعيان وأقام عليهم دواوينه وكتبته وأهل الضبط والحرص
من مباشريه وحسبته وفوض ذلك الى كمالة الله داد أحد أركان دولته ومن عليه
الاعتماد وهو أخو سيف الدين المار ذكره في أول الكتاب لامه وأقام معهم كل
جبار عنيد ومن نشأ في حجر الفظاظة ورضع ثدي ظلمه ونادى بالامان والاطمئنان
وان لا يمد انسان على انسان فمد بعض الطغاة يده الى ظلم بعد ما سمع واخذ النداء
واشتهاره فبلغ ذلك تيمور فأمر بصلبهم في مكان مشهور فصلبوهم في المرجين
برأس سوق البزوريين ففرح الناس بهذه الفعلة وأملوا خيره وعدله وفتحوا
من أبواب المدينة الباب الصغير وشرعوا يصدرون أمر المدينة على النقير والقطمير
فوزعوا هذه الاموال على الحارات وتنادى أهل الظلم والعدوان من القريب
والغريب بالثارات وجعلوا دار الذهب مكان الاستخلاص وطفقوا يلقون الناس
في ذلك المقص وتسلط بعض الناس على البعض واصطادت أرانب الاراضي
كلاب الارض وكان فصل الخريف بجيش صرمه قد قفل وفصل الشتاء بزمهريره
بجنده تيمور بنيرانه على العالم قد نزل فانتقل الى القصر الابلق ثم الى بيت الأمير
تنجاص وأمر بالقصر أن يهدم ويحرق ودخل الى المدينة من الباب الصغير في جمع
كثير وصلى الجمعة في جامع بني أمية وقدم الحنفية على الشافعية وخطب به قاضي
القضاة محيي الدين محمود بن العز الحنفي المذكور وجرى ما يطول شرحه من أمور
وشرور ووقع بين عبد الجبار بن النعمان الخوارزمي المعتزلي وبين علماء الشام
لاسيما قاضي القضاة تقي الدين ابراهيم بن مفلح الحنبلي مناظرات ومناقشات
ومباحثات ومراجعات وهو في ذلك ترجمان يخاطبهم في جميع ذلك بلسانه فيما

وقائع

وقائع علي ومعاويه وما مضى بينهم في تلك القرون الخاليه ومنها امور يزيد وما يزيد وقتل الحسين السعيد الشهيد وان ذلك ظلم وفسق بلا نكر ومن استحله فهو واقع في الكفر ولا شك ان ذلك الفعل الحرام كان بمظاهرة أهل الشام فان كانوا مستحليه فهم كفار وان كانوا غير مستحليه فهم عصاة وبغاة واشرار وان الحاضرين على مذهب الغابرين فحصل منهم في ذلك أنواع الاجوبه فمنها مارقه ومنها ما أعجبه الى أن أجاب كاتب السر واجاد واصاب فيما قال لو افاد اطال الله الكبير بقاء مولانا الأمير اما انا فنسبي متصل بعمر وعثمان وان جدي الاعلى كان من أعيان ذلك الزمان وحضر تلك الوقائع وخاض هاتيك المعامع وكان من رجال الحق وابطال الصدق ومما تواتر من فعله ووضعه الشيء في محله انه توصل الى رأس سيدنا الحسين ونزهه عما حصل له من ابتذال الوشين ثم نظفه وغسله وعظمه وقبله وطيبه وبجله وواراه في تربه وعد ذلك عند الله تعالى من أفضل قربه فلذلك أيها الهمام الصيب كنوه بابي الطيب وعلى كل تقدير أيها الامير فتلك أمة قد خلت وغموم غيومها انجلت وعما جرت انقضت وعما اذاقت مرت وحلت وفتن اراح الله العباد ازاحتها ودماء طهر الله سيوفنا منها وأما الساعه فاعتقادنا اعتقاد أهل السنة والجماعه فلما سمع هذا الكلام قال يالله العجب وما علمتم باولاد أبي الطيب الا هذا السبب قال نعم ويشهد لي بذلك القاصي والداني وأنا محمد بن عمر بن محمد بن أبي القاسم بن عبد المنعم بن محمد بن أبي الطيب العمري العثماني فقال لك المعذرة يا طيب الاسلاف لولا اني ظاهر العذر لحملتك على عاتقي والاكتاف ولكن سترى ما أفعله معك ومع اصحابك من التكريم والالطاف ثم انه ودعهم وبالتعظيم والاحترام شيعهم ومنها انه سألهم كنايه سؤال اضرار ونكايه فقال ما أعلى الرتب درجة العلم أو درجة النسب فادركوا قصده وفهموا ولكن عن رد الجواب وجموا وعلم كل منهم انه قد ابتلي فابتدر بالجواب القاضي شمس الدين النابلسي الحنبلي وقال درجة العلم أعلى من درجة النسب ومرتبتها عند الخالق والخلق أسنى الرتب والعجمي الفاضل يقدم على العربي الجاهل والعرف المنيف أولى للامامة من السيد الشريف والدليل في هذا جلي وهو اجماع الصحابة على تقديم أبي بكر على علي وقد أجمعوا على ان أبا بكر أعلمهم وانبتهم قدما في الاسلام واقدمهم

واثبات هذه الدلالة من قول صاحب الرسالة لا تجتمع أمتي على ضلالة ثم أخذ في
نزع ثيابه بحضرة تيمور وما بها زر من صوابه ففك ازراره وقال لنفسه اغا أنت
عاره وكاس الموت لابد من شربها فسواء ما بين بعدها وقربها والموت على الشهادة
من أفضل العبادة وأحسن أحوال المآل اعتقد انه الى الله صائر كلمة حق عند سلطان
جائر فسئل ما يفعل هذا الهول فقال يا مولانا الجليل ان فرق عساكرك كامم
بني اسرائيل وفيهم من ابتدع وابدعا وتقطعوا في مذاهبهم قطعا وفرقوا دينهم
وكانوا شيعا ولا شك ان مجالس حضرتك تنقل وعقائل مباحثها تحل الصدور
فتعقل واذا ثبت هذا الكلام عني ووعاه أحد غير سني خصوصا من ادعى
موالاة علي ويسمي في رفضه أبا بكر بالرافضي وتحقق مني يقيني وانه لا ناصر لي
يقيني فانه يقتلني جهارا ويريق دمي نهارا واذا كان كذلك فانا استعد لهذه
السعادة وأختم أحكام القضاء بالشهادة فقال لله هذا ما أفصحه واجراه في
الكلام وأوقحه ثم نظر الى القوم وقال لا يدخلن هذا محلي بعد اليوم

﴿فصل﴾ وهذا الرجل اعني عبد الجبار كان معلم تيمور وامامه ومن يخوض
في دماء المسلمين امامه وكان عالما فاضلا فقيها كاملا بحاثا محققا اصوليا جدليا
مدققا وأبوه النعمان في سمرقند كان وهو في الفروع من أعلم أهل الزمان حتى
كان يقال له النعمان الثاني وكان من القائلين بعدم الرؤية في الأخرى فأعمى الله
تعالى بصره كبصيرته في الدنيا وأكثر علماء عصره بما وراء النهر قرأ عليه الفروع
ونقل عنه مسائل المشروع ولا خلاف في الفروع بين أهل السنة وأهل الاعتزال
وانما اختلافهم في اصول الدين في مسائل معدودة سلكوا فيها سبل الضلال

﴿فصل﴾ وتصدى لاستخلاص الاموال من أهل الشام كان غشوم ظلام
كفور صدام وكان في قلة رفاقه كصدقة ابن الحافي وابن الحدث وعبد الملك بن
التكريتي المنبوذ بحماقة وغيرهم من نظرائهم من عواقب الظلم وابنائهم مع
حضور اكابر المدينة واعيانها المبارز كرهم ورؤساء قطانها فانه لم يمكنهم في ذلك
ان يتخلفوا ولا يتقاعسوا لحظة ولا يتوقفوا وحضور دواوينه وحسابه وضابطي
أمور خزائنه وكتابه ومنهم خواجه مسعود السمناني ومولانا معين وتاج الدين
السلماني كل ذلك في دار الذهب وهو مكان مشهور ونزل الله داد داخل الباب

الصغير في دار ابن مشكور وجعل كل من في قلبه من أحد ضغينة أو حفيظة دفينة أو غل أو حسد أو حقد أو نكد يغمز على أخونه أو أولئك الظلمة الفظاظ والزبانية الشداد الغلاظ شعر

لا يسألون أخاهم حين يندبهم * في النائبات على ما قال برهانا

بل بأدنى اشاره وأقل عباره يبنون على أرض وجود ذلك المسكين من جبال النكال قصورا شواهق ويشيدون على حدائق ذاته من سماء العذاب سحاب عقاب ترعد عليه صواعق وتبرق له من الدمار والبوار بوارق

(فصل) ثم انه صار في هذه المدة يحاصر القلعة ويعمل ما استطاع من حيله وأمر أن يبنى مقابلتها بناء يعلوها ليصعدوا عليه فيقاتلوها فجمعوا الاخشاب والاحطاب وصبوها وصبوا فوقها الاحجار والتراب ودكوها وذلك من جهة الشمال والغرب ثم علوا عليه وباشروها بالطعن والضرب وفوض أمر الحصار لامير من أمرائه الكبار يدعى جهان شاه فتكفل بذلك وهاناه ونصب عليها المجانيق ونقب تحتها وعلقها بالتعاليق وكان فيها من المقاتلة فئة غير طائلة أمثالهم شهاب الدين الزردكاش الدمشقي وشهاب الدين أحمد الزردكاش الحلبي فأبليا في عسكره بلاء حسنا ونكايا على جيشه فكانا الى فنائهم وبلاء مصيبة وفنا فأهلكا من جيشه بالاحراق وارمياء المدافع والابراق ما فات العد وتبدد عن دائرة الحد ولكنه لما احاط بها من بحار تغريبه سيل عرم سائلها وأمطر عليها من سهام غمام رماته وصواعق بوارق كأنه صيب وابلها أتاها العذاب من فوقها ومن تحتها وعن أيمانها وعن شمائلها وسكتت من المجانبة والمنابذة أيدي مقاتلها فطلبوا الامان ونزلوا اليه من غير توان وكل هذا الامر المهول والقضاء المهيب في أواخر شهر ربيع الآخر وجمادين وشهر رجب ولكن ما نال من القلعة روما الا بعد محاصرتها ثلاثة وأربعين يوما وصار في هذه المدة يطلب الافاضل وأصحاب الحرف والصنائع وأرباب الفضائل ونسج الحريريون له قباء بالحرير والذهب ليس له درز فاذا هو شيء عجب وبنى في مقابر الباب الصغير قبتين متلاصقتين على تربة زوجات النبي صلى الله عليه وسلم وأمر بجمع العبيد الزنج واعتنى بجمعهم أكثر من غيرهم وقدم

(ذكر ما صنعه بعض الاكياس من الناس خوفا من ان يحل به الباس ووقى بنفائسه النفوس والانفاس)

وكان في صفد تاجر من أهل البلد احد الرؤساء والتجار يدعى علاء الدين وينسب الى دوادار كأنه تقدمت له خدمة على السلطان فولاه حجابة ذلك المكان فلما توجه النواب الى حلب والعادة أن ينوب عن نائب البلد في غيبته من حجب ناب عن نائبها التونبغا العثماني وصاحبها علاء الدين الدواداري فغرق في أسر ذلك الطوفان كل النواب ومن جملتهم العثماني وابن الطحان ومات منهم من مات وفر من فر واستقر في قيد الاسر التونبغا وعمر فلما قدم تيمور الشام وحل بها منه ما حل من قضاة السوء بأموال الايتام شرع كل متول في بلاد يفعل ما أدى اليه الاجتهاد فبعض حصن أماكنه وبعض مكن كمائنه وطائفة استجرت للفرار وفرقة استوفزت للفرار وقوم سالموا وساكنوا وهادوا وهادنوا ففكر علاء الدين المذكور وقدر وتأمل في خلاص صاحبه وماله وتبصر وكان من أبناء الناس وعنده ذوق الاكياس واستشار مصيب عقله في ذلك واستنطقه فقال دار عما ملكت من مال واترك درب الفرار ونفقه وما كذبه اذ قال له كل مداراة عن العرض ستر له وصدقه وكان ذا مال ممدود فقال ما ادخرت الدنانير الصفر والدراهم البيض الا للايام السود فطلب من تيمور الرياضه وأراد أن يجس أولا بمجاملته مخاضه فعالج هذا الامر علاج النطاسي المريض وبادر بالمهاداة ومال الجريض دون القريض وأرسل الى تيمور أجناسا من ماله الطويل العريض واستمال خاطره واستدعى أوامره ثم أردفها بأضعافها وأضعف خواصرها بإردافها فشكر تيمور له صنعه وزاده ذلك عنده منزلة ورفعه وأرسل اليه رسوم أمان وان يعامل هو وأهل بلده بالمجاملة والاحسان فليؤمن روعهم وليسكن جأشهم ونومهم وليؤنس وحشتهم ولتذهب دهشتهم بحيث انهم يتبايعون ويتشارون والى معاملتهم من عساكره يتجارون وان استطال أحد من اجناده ولو أنه من اخوته وأولاده فليقابله بالمنع والانكار والضرب والاشهار وصار يطلب منه ما أراده فيرسله اليه بزياده وكلما زاد فيما يقترحه عليه من نقد وجنس طلبا زاد علاء الدين لذلك نشاطا وطربا ومن جملة ما اقترح عليه في ذلك القبض حل بصل

ابيض

أبيض بناء على أن ذلك لا يوجد في الشام بأسرها فصلا عن صفد ففي الحال وجد من ذلك ثلاثة أجمال فأرسلها اليه كما هي وكان ذلك من الفضل الالهي حتى أحبه وتمنى قربه وقال فيه معنى ما فاتك شعر

دار يت وقتك واحتفيت ببذل مالك يا بشر
لو كان مثلك آخر * في الشام ما عيت بشر

وتوجه طوائف من العسكر اليهم واشتروا منهم وباعوا عليهم واستمرت عقود المصادقة لم تحل الى أن قوض خيامه من دمشق ورحل فلما أقشع من الشام ضباب شره وامتد في ميدان الرحيل حبل سيره أعقب علاء الدين الدوادارى قاصدا الى ذلك الاسد الضارى ومعه تحف سنيه ونفف ملوكيه ومطالعة فحاويها رائقه ومعانيها فائقه وألفاظها بالخضوع والخشوع ناطقه فيها من الترقيات ما تقشعر منه الجلود ويلين له الحديد والصخر الجلمود ويجرى فى طبائع الأبدان اليابسة جرى الماء فى العود وطلب فى أثنائها مراحمة فى أمر العثمانى وابن الطحان وحرناسية عبوديتهما بقراض الاعتاق والامتنان وأن يجعل العفو عنهما شكرا لقدره ويفيض عليهما من بحار مراحمه قطره وانهما أقل من أن ينسبا الى أسره اذ ملوك الارض تود لو كانت اطفالا تحت حجره ورأيه الشريف أعلى وامتثال ما يبديه من المراسيم أولى فلما اطلع تيمور على فحواه وفهم ما أبداه وما انهاه وشاهد تحفه وهداياه وفكر فى أول أمره وما اجمعه من الهدم وما أسداه والحيرله بآثير والبادى اكرم والشركاء تقصير والبادى أظلم قلت شعر

ترقب جزا الحسنى اذا كنت محسنا * ولا تخش من سوء اذا أنت لا تسئ

(وقيل شعر)

من يفعل الخير لا يعدم جوائزه * لا يذهب العرف بين الله والناس

لان قلبه وان كان حديدا فقد هان صعبه الذى لم يزل شديدا فدعاهما وأكرم مثواهما واحسن اليهما وذكرهما شفاعة علاء الدين فيهما ثم أقمنهما الباس وأعطاهما ثلاثة افراس للعثمانى اثنان وواحد لعمر بن الطحان ثم أضاف اليهما من بلغهما المأمن فوصل كل منهما الى دار عزته وحل ذلك فى صفده وهذا فى غزته

﴿فصل﴾ ولما تنجزت هذه الأمور وأخذ القلعة وتجز أمره ورام الرجعة وقد استخرج منها ما أراده من نفائس وأموال بأنواع العقاب وأصناف العذاب والنكال

﴿ذكر معنى كتاب أرسل اليه على يد يسق بعدما تزوا من بين يديه﴾

وقيل ان السلطان الهارب أرسل اليه كتابا أثارت به الغضب في معناه وشرى ما عناه لا تحسب انا نخز عنا منك وقررنا عنك واغتابوض عالي كما قوى أنفاسه وأخرج عن ربقة الطاعة راسه وتصوران كل من خرج عرج ولم يعتبر من رام الارتقاء بسلما فدرج وأراد بذلك مثلك القاء الفساد وهلاك العباد والبلاد وهيهات فان دون مرامه خرط القتاد والكريم اذا بجسمه مرضان داوى الاخطر ورأيناك أنت أهون الخطبين وأحقر فنثني عزمنا الشريف عنانه ليعرك من ذلك القليل الادب آذانه ويقيم في نظم طاعته ميزانه وأيم الله لنكرن عليك كرة الاسد الغضبان ولنوردن منك ومن عسكرك نواهل القنا موارد الاضغان ولنحصدنكم حصد الهشيم ولندوسنكم دوس الحطيم فلنا علمنا بكم رحى الحرب في كل طريق لما تعانون من غليظ الطعن وجليل الضرب لفظ الدقيق ولنضيقن عليكم سبيل الخلاص فلتنادن ولات حين مناص ونحو هذه الترهات ومثل هذه الخرافات التي هي كالملح على الجروح وكالريح عند خروج الروح ولو كان بدل هذا الكلام الذي لا طائل فيه والخطاب الهذيان الذي تمجه الآذان وترميه ما يستميل خاطره ويطفئ من لهيب غضبه نائره مع شئ من الهدايا والتقادم وابراز قضاياهم في صورة المعتذر النادم ربما كان كسر من غيظه أو خمد من حنقه وبرد من قيظه واغا فعلوا تلك المعذره بعد حريق دمشق وخراب البصره وأرسلوا الخدم والهدايا بصحبة النعام والزرافات وقد تجز التدارك وفات وصاروا كما قيل شعر

ذو الجهل يفعل ما ذو العقل يفعله * في النائبات ولكن بعدما افتضحا

وكما قيل مصراع * وجادت بوصل حين لا ينفع الوصل *

﴿فصل﴾ ذكر يسق هذا قال لما مثلت بين يديه وأديت الرسالة اليه وقرئ الكتاب عليه قال لي قل الحق ما اسمك قلت يسق قال ما مدلول هذا اللفظ المزرى قلت له يا مولانا لا أدرى فقال أنت لا تعرف مدلول اسمك يا ثعاله

فكيف تصلح لحمل الرسالة ولولا ان عادة الملوك أن لا يهيجوا الرسل وقد مهدوا على ذلك القواعد وسلكوا السبيل وأنا أولى من يتبع آثار السلاطين ويحيى سنن الملوك الماضين لفعلت معك ما يجب فعله ولا وصلتك ما أنت أهله وبعد هذا فلا عتب عليك وانما اللوم على من تقدم بهذا الامر اليك ولا حرج عليه أيضا لان ذلك مبلغ علمه ومدرك عقله وفهمه وقد ظهر بفعله الوبيل نتيجة ما قيل

تخير اذا ما كنت فى الامر مرسلا * فمبلغ آراء الرجال رسولها

ثم قال لى توجه الى قلعتكم ومكان عزتكم ومنعتكم فذهبت ووجدتها قد دكت دكا وسيم حرامها وحريمها خسفا وهتكا ثم أتيته وذكرت له ما رايته فقال ان مرسلك أقل من أن أجادله وأذل من أن أراسله ولكن قل له انى واصل اليه عقيبك وها أنا منشب مخاليب اسودى بذنبك فليشمر للقرار أو للفرار الذليل وليعد لأيهما اختار ما استطاع من قوة ومن رباط الخيل ثم أمرنى فأخرجت وما صدقت ان تصوبت الى جهة مصر ودحرجت

﴿فصـــل﴾ وحين ملأ جرابه طمعه من نفائس الاموال ودنه واستدر خلفا نهاشيا أفشيا أصافيا ورفاحتى صماها بقطنه أمر بتعذيب هؤلاء الامراء الكبار فعذبوهم بالماء والملح وسقوهم الرماد والكلس وكووهم بالنار واستخرجوا الاموال منهم استخراج الزيت بالعصار ثم أطلق عنان الاذن لعسكره بالنهب العام والسبى الطام والقتل والاحراق والتقييد بالاسر على الاطلاق فهجمت أولئك العسكرة الفجرة على ذلك أشد الهجوم وانقضوا على الناس بالتعذيب والتتريب والتخريب انقضاض النجوم واهتزوا وربوا وفتكوا وسبوا وصالوا على المسلمين وأهل الذمم صولة الذئاب الضوارى على ضوانى الغنم وفعلوا ما لا يليق فعله ولا يجمل ذكره ونقله وأسروا المخدرات وكشفوا غطاء المستترات واستنزلوا شموس الخدور من أفلاك القصور وبدور الجمال من سماء الدلال وعذبوا الكبار والاصاغر بأنواع العذاب وبدا للخلق ما لم يكن فى الحساب واستخلصوا باصلاء النار جواهر الناس منهم خلاصات الذهب وصنفوا فى استخراج النفائس من النفوس بأصناف العذاب مسائل يقضى منها العجب وفرقوا بين الوالدة وولدها والروح وجسدها وذهلت كل مرضعة عما أرضعت

وجازوا كل نفس بما صنعت وبغير ما صنعت وفرّ المرء من أخيه وأمه وأبيه
وصاحبته وبنيه وصار لكل منهم يومئذ شأن يغنيه وذل العزيز والكريم وهان
الخطير والجسيم وطم البلاء وعم القضاء وطاشت الحلوم وتبلدت الفهوم
وتراكمت غير الغموم فأقسم بالله لقد كانت تلك الايام علامة من علامات يوم
القيام وأسفرت تلك الساعة عن أشراط الساعة واستمر هذا النهب العام
نحوا من ثلاثة أيام

(ذكر القائهم النار فى البلد ومحو الآثار)

ثم انهم لما أتموا العيث والعبث وقضوا فى حج فسادهم التفث وأتموه بالفسوق
والجدال والرفث وطافوا وسعوا فى المنكرات ورموا فى البيوت النار وفى القلوب
الجمرات وأفاضوا ما أراقوا من دماء المسلمين الواقفين فى الامصار ورملوا فى
أشواط الاحراق فأرسلوا فى حرم المدينة شواظا من نار وكان فيهم من روافض
الخراسانية فأطلقوا النار فى جامع بنى أمية فتشبثت النار بلهيبها وساعدت
الريح بهبوبها وتسارقا فى محو الآثار ريحا ونارا واستمر على ذلك باذن الله
تعالى ليلا ونهارا فاحترق ما بقى من النفائس والنفوس وامحى بلسان النار
ما سطر على لوح وجود المدينة من الدروس وأمست تلك الآفاق لا تسمع فيها الاغية
ولا الهمس وأصبحت حصيدا كأن لم تغن بالأمس وذلك بعد أن أظهروا ما أخذوا
من أموال وأوسقوا منه الاحمال

(اقلاع هاتيك الرزايا وانقشاع غمام تلك الدواهى والبلايا عن بلاد الشام بما تحمله من أوزار وخطايا)

ثم ارتحل ذلك الفتان وأقلع صيب بلائه الهتان يوم السبت ثالث شعبان وقد
أخذوا من نفائس الاموال فوق طاقتهم وحملوا من ذلك ما عجزت عنه قوى
استطاعتهم فجعلوا يطرحون ذلك فى الدروب والمنازل ويلقونه شيئا فشيئا
فى أوعار المراحل وذلك لكثرة الحمل وقلة الحوامل وأضحت القفار والبرارى
والجبال والصحارى من الامتعة والاقمشة كأنها أسواق الدهشة وكأن
الارض فتحت خزائنها وأظهرت من المعادن والفلزات كامنها وقالت بديها شعر

وصار

وصار لسان قدرهم ينادي * على قنن السواهق والبوادي

الأذى شنشنة عرفناها وعادة فساد ألفناها ومن مالكاو دينه اقترفناها نهبنا أموال المسلمين وحفظناها وما في وجوهها صرفناها ولكن حملنا أوزارا من زينة القوم فقذفناها ومع ذلك فلو أخذ من نفائس دمشق أضعاف ما أخذ وفاذ من أكياد ذخائرها آلاف ما فاذ ما فاض ذلك ما في عيونها ولا نقص من بحار معينها ولكن النار كانت هي البلاء الداهي والمصاب المتناهي لأنها أحرقت غالب من كان داخل البلد لعدم الغوث فظنك بما يكون من العمار والأقمشة والأثاث وضربت الكلاب بأكل لحوم من مات داخل البلد فما صار يجسر على العبور إلى جامع بني أمية أحد

﴿ذكر ما جرى في مصر وسائر الأقطار عند سماعهم هذه الأخبار
واستيقانهم هذه الأهوال والأخطار﴾

فأما مصر فإنها أم البلاد فإنها اضطربت وانحلت قواها وأيديها ارتبطت وعدمت القرار واستحقت الفرار فلو رأيت الناس وهم حيارى سكارى وما هم بسكارى أبدانهم راجفة وقلوبهم واجفة وأصواتهم خافتة وأبصارهم باهتة وشفاههم يابسة وصورهم بائسة ووجوههم باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة وقد استوفز كل أهل الأمصار وسكان الأنجاد والأغوار وقد أصاخ لما يرد عليه من جلي الأخبار فيبني على ذلك ما يكون من متعلقات الحركة والسكون وأخذ تيمور على طريقته العوجا ورجع على سبيل بغيه التي اتخذها شرعة ومنهاجا وقد سدت عساكره الآفاق والأكناف وعمت هيبته الأرجاء والأطراف

﴿ذكر من أصيب من سهام القضاء بالرشق ووقع
في مخالب أسره من أعيان دمشق﴾

وأخذ من أعيان الشام ومشاهيره الأعلام قاضي القضاة محيي الدين بن العز الحنفي بعد أن عاقبوه بأنواع العذاب وكووه وسقوه الماء والملح وبالكلس والنار شووه وولده قاضي القضاة شهاب الدين أبو العباس فوصلا إلى تبريز وكانا مدة في شدة وباس ثم رجعا إلى الشام وأخذ أمرهما في الانتظام وقاضي القضاة

شمس الدين النابلسي الحنبلي وقاضي القضاة صدر الدين المناوي الشافعي فتوفي
الى رحمة الله الوهاب غريقا في نهر الزاب وشهاب الدين أحمد بن الشهيد المعتبر
وكان متحملا أوزار الوزر بعد ان راموا اخذه وطلبوا اعتقاله وكان قد جهز
متعلقيه الى الاماكن البعيده وأقام هو في دمشق جريده فذكر لهم حكايته
وبذل لهم في دفع موجوده طاقته فأخذوا ما أخفاه خفية ولم يعذبوه واسكنهم بالاهبة
والقلة استصحبوه فوصل الى سمرقند وقاسى بها من صروف الزمن أنواعا من
غربة وفقر ومحن ثم رجع الى دمشق وتوفي بها رحمه الله تعالى ومن الامراء
الخاص الامير الكبير بتخاص وكان مقيدا مع من مات عند وصوله الى الفرات
فأما القاضي ناصر الدين بن أبي الطيب فانهم عاقبوه بكل بليه وكان رقيق البدن
لطيف المزاج سوداويه فما كان عنده لذلك ثبات فأعجزهم عما يرومون منه
بالموت وفات فمات واستراح وشرب من الشهادة كأس مدام جامه وراح
فدفنوه عشيه بالمدرسة الكروسيه ولما شرع في النهب العام المبرح استشهد
عطا قاضي القضاة تقي الدين بن مفلح وبرهان الدين بن القوشة ضعف سبعة عشر
يوما وانقطع في حارة تل الجبن ولحق بالاموات قوما وكانوا قد حجروا على الاحياء
والاموات وخافوا أن لا يكون لاحد منهم من أيديهم بحجة الوفاة فوات فضبطوا
بيوت المدينة بيتا بيتا وحرجوا أن لا يخرج الاحياء ولا تجوز الموتى فلما مات
المذكور تعسرت الامور فتحيروا في تجهيزه وتغلبوا في أمره وتحيزه ثم بعد
جهد بليغ وسعي كثير دفنوه في الصالحيه بعد ان اخرجوه من الباب الصغير وخرج
مع تيمور بالاختيار من الشام عبد الملك بن التكريتي فولاه نيابة سيرام فمكث
فيها القليل من الايام وهي وراء سيحون وشخص آخر يدعى يلبغا المجنون وكان
مقربا عنده وسبب ذلك انه بذل في مناصحته جهده وأخبره على ما قيل بمداوي
تخلصه بذلك من المهالك والمهاوي وحصل له بذلك قربه وزيادة ملازمة وصحبه
فولاه ذلك الجساس نيابة مدينة تدعى ينكي بالاس وراء نهر خجند نحو خمسة
عشر يوما عن سمرقند بينها وبين سيرام نحو من أربعة أيام وكان اسم ذلك الملعون
أحمد فتلقب بيلبغا المجنون وأخذ من دمشق أرباب الفضل واهل الصنائع وكل
ماهر في فن من الفنون بارع من النساجين والخياطين والحجارين والنجارين

والاقباعية

والاقباعية والبياطرة والخيمية والنقاشين والقواسين والبازدارية وفي الجملة أهل أي فن كان وجم كذا كر السودان وفرق هؤلاء الطوائف على رؤس الجند وأمرهم أن يوصلوهم الى سمرقند وأخذ جمال الدين رئيس الطب وشهاب الدين أحمد الزردكاش وكان في القلعة كما ذكر وأباد من عسكره خلقا لا يحصون ولا يحصرون كثرة ولا يستقصون وكان في حدود التسعين وقد احدودب فلما رآه قابله بالسخط والغضب وقال له انك أفنيت صاغيتي وحصدت غاشيتي وقضيت حاشيتي فان قتلتك مرة واحدة لا يشفي غليلي ولا يبرد أغاليلي ولكن أعذبك على كبر سنك وأزيدك كسرا على كسرك ووهنا على وهنك فقيده بقيد من فوق ركبتيه زنته سبعة أرطال ونصف رطل بالدمشقي وقصد بذلك التشديد عليه فلم يزل مقيدا مكتوب على قيده مخلدا أبدا حتى مات تيمور وارتفعت الشرور وخلص من القيد ذلك المأسور ثم توفي الى رحمة الله تعالى وربما يكون أخذ أناسا من الفضلاء والاعيان والسادات والنبلاء ممن لا أعرفه فكيف أصفه وكذلك كل أمير من أمرائه وزعيم من زعمائه أخذ من الفقهاء والعلماء وحفاظ القرآن والفضلاء وأهل الحرف والصناعات والعبيد والنساء والصبيان والبنات ما لا يسعه الضبط ولا يحل الربط وكذلك كل من عسكره أخذ كبيرا وصغيرا وأمره في أسره لانه ما ثم حرج على من نهب شيأ وعزله وكل من سبقت يده الى شيء فهو له وهذا اذا أطلق عنان الاذن بالنهب العام تساوى فيه الخواص من عسكره والعوام ولو كان الناهب أسيرا فيهم أو دخيلا عليهم والسالب من غير طينتهم ولكن أبيح له ذلك المسار بسيرتهم وتخلق بشيمتهم وأطلق عليه حكمهم وأجري عليه شكمهم فأما قبل الاذن فلو تعدى أحد على أحد وكان عند تيمور بمنزلة الوالد أو الولد أو استطال بمقدار حبة أو تلفظ بغارة أو نهبة فانه يهدر ماله ودمه ويهتك حرمته وحرمه ولا ينجيه استغفاره وندمه ولا يجديه أهله وخدمه ولا يقال اذا ما زلت به قدمه وكانت هذه قاعدة لا تخرم وبنية لا تهدم

﴿ذكر ما باد بعده الجراد﴾

ولما فرغ من مستغلات أموال دمشق الحصاد وقارب الرحيل عنها أعقبه اقاط

الجراد وصار يسير معه حتى بلغ ماردين وبغداد فأهرى كل شجر او مرد ا وجرد ما على وجه الارض جردا فوصل الى حمص وماثم بها وبالخالد كماذكروهما ولكن فهبوا اقرانها وهدموا اقوارها ثم الى حماة فنهبوا انعامها واستخرجوا امكامنها وأمر واهر انعامها واستملكوا كائنها وفي سابع عشر شعبان انصب الى الجبول ذلك الطوفان وارسل الى حلب وأخذ من قلعتها ما استودعها ثم الى الفرات وعبرها بالمراكب وغيرها فقطعها ثم الى الرها فنهبها واستجلبت درها ثم أرسل ذلك الغادر رسوله الى ماردين يستدعي الملك الظاهر وديباجة كتابه الدقل على ما نقل شعر سلام عليكم والعهود بحالها * لقد بلغ الاشواق منا كمالها

فأبى أن ينزل اليه ولا اسمع كلامه ولا التفت اليه فانه كان آ ذاه كما ذكر اول مره فما احتاج الى تجربته آخر كره فسلك مسلك السلامه وقال شطر بيت

* من جرب المجرب حلت به الندامه * ولكن أرسل اليه قاصدا من بعض الخدم يدعى الحاج محمد بن خاصبك ومعه التقادم والخدم واعتذر عن الحضور بعدة أمور وعنوان جوابه موافق لخطابه وهو شعر

فشوقي اليكم زائد الموصوفه * ولكن تخاف النفس مما جرى لها

فلم يلتفت تيمور الى هذا الكلام واخذ يعنف نفسه بأنواع الملام كيف خلص من مخاليبه أول مرة بسلام

﴿ذكر وروده ماردين بالهيبة وصدوره عنها بعد المحاصرة بالخيبة﴾

فوصلوا يوم الاثنين عاشر شهر رمضان وارد ين ماء ماردين فنزلوا دنيسر وغدوا للحصار قاصدين واذا بأهلها وقد أخلوا المدينة وانتقلوا الى قلعتهم الحصينه

﴿صفة هذه القلعة﴾

وهذه القلعة عنقاء قلتها اكبران تصاد وعرنين عانسها يأبى أن يدخل لخاطب تحت مقود انقياد لانها في قلة من القلل على ظهر جبل لم يكن فرق بينه وبين قبة الافلاك الا ان الملك لا ثبات لها وهذا ثابت ليس به حراك بظهره وادبطنه أوسع من صدر الاحرار فيه جنات تجري من تحتها الانهار وبه مطارح الزروع ومسارح المواشي والضروع وحدوده حروف لا تصل همم ذوي الكرم الى ارجائها وحروف

يعجز قارئ الفكر عن تحديد جهاتها وطريقه من القلعة أو على القلعة والقلعة
في غاية المناعة والرفعة والمدينة مبنية حوالها متشبثة بذيلها تأكل من فضلات
نعمها وتشرب من فائض سيلها فهم بين نعمهم ونقمهم يترددون وفي السماء
رزقهم وما يوعدون فأقام لمحاصرتها على مضائقها يسترشد الى طرق المضايقة
وطرائقها ولم يكن حوالها مكان للقتال ولا لنصب المجانيق مجال فعول على
نقبها بالمعاول والفؤوس واستعان على ذلك بالقتال والترس وهاشادر زديل
حشمتها وعصمتها ان يسلم فتحها الا انها وان كانت عذراء قد أعجزت الفحول لكونها
رتقا فلا زالت المعاول تفل والمطاطيس تكل ومناقير الفؤوس تتقصف وخصور
المزارب كهيف القدود تتقصف قلت شعر

كأنه وهو في نقب تربتها * منقار طير على صلد من الحجر
أو عذل ذي حسد صبابة صمم * أو غمز عين معنى فاقد البصر

واستمر على الكد والحصار الى العشرين من شهر رمضان ولم يحصل طائل ولم
يظفر بمرام

ذكر تركه في المحاصرة العناد والمكابرة وتوجهه بعاديه ذوي الفساد من ماردين الى بغداد

ولما علم انه رمى منها بالداهية الدهيا وطلاب ما لا يستطاع عيا والمكابرة مع الحق
خروج عن المنهج والبلاغة في غير مقامها عي لجلج ستر عيبه وابقى بعض الحرمة
والهيبة وخرب المدينة واسوارها ومحا آثارها وهدم مبانيها وجوامعها
ومنارها وقلع أساسها وأحجارها ثم انحدر الى بغداد بعساكر كالذر والفراش
والجراد وجهز بعض الثقل الى سمرقند مع الله داد فوصلوا الى مدينة عوز وليس
بها بيت مشاد ثم الى خلاط وعيد الجوز وهي بلاد الاكراد آهلة عامرة البنيان
وأول ما هو جاري تحت حكمه من ولايات تبريز وأذربيجان فعيد الثقل بعيد الجوز
عيد رمضان ثم دخلوا الى ولايات تبريز ثم الى سلطانية ثم الى ممالك خراسان وكان
اذ ذاك وقد خرج فصل الشتا وفصل الربيع تزين وأتى وصفحات الرياض
بأنامل صباغ القدرة تلونت وعروس الروض قد أخذت من صوائغ الحكمة زخرفها

وازينت والاطيار في الازهار ما بين مائة بلبل وألف هزار قد شنفت الاسماع واقامت السماع واستمالت الطباع برخيم صوتها واحيت آثار رحمة الله الارض بعد موتها ولازال الثقل بين تأويب وادلاج وسير ولا سير الحاج كل يوم في مرحلة وكل ليلة في مقام فوصلوا الى نيسابور ثم الى جام ثم قطعوا مفاوز باورده وماخان ثم الى الدخوى وانتهوا الى نهر جيحان فعبروه بالمراكب وساروا سير النجم الثاقب ولم يزالوا منبعثين على ذلك انبعاثا فوصلوا الى سمرقند ثالث عشر المحرم يوم الثلاثا سنة اربع وثمانمائه وفيهم من أهل الشام فئه أمثلهم القاضي شهاب الدين أحمد بن الشهيد الوزير وباقيهم بياطرة وصباغون ونساجة الحرير وهذا أول ما تحمله من الشام من احمال الاثقال وباكورة ما وصل الى سمرقند مما جناه من ثمر الأسارى والأموال ثم أرسل الاثقال تترى بالانفال واحمال الأموال والاسرى

﴿فصل﴾ ثم ان تيمور ولى آمد قرايلوك عثمان وولى عن ماردين يوم الخميس العشرين من شهر رمضان وكان خامس ايار وجعل يعيث في تلك الديار وخرب نصيبين ورعى مستغلاتها ثم محا من صحف الوجود صور رسوم رهاو آياتها وكانت خالية من سكانها خاربة من عامري عمرانها ثم وجه الى الموصل همه وأخنى عليها بكلكله المظلمه فبعد ان أحلها الحين وهب الحسين بيك بن حسين ثم جر بجره الى ناحية القنطره واشاع انه كف فساده وقصد بلاده ولكن السلطان أحمد كان قد تحقق انه قاصد بغداده وقد أوهم ووري كما له بذلك دأب وعاده

﴿ذكر ما فعله السلطان أحمد ابن الشيخ أويس لما بلغه انه توجه اليه ذلك النجيس﴾

فلما بلغ السلطان أحمد ان تيمور بعد ان تدمشق تمرد ثم عزم على ان يتبغدد وقال العود أحمد استعد ولكن للفرار واستقر رأيه على أن لا قرار ثم استناب نائبا يدعى فرج وأوصى اليه والى ان الباقي بأمور وصحبه قرايوسف الى الروم وخرج وكان من جملة ما وصى به انه لا يغلق في وجه تيمور باب ولا يسدل دون ما يرومه حجاب ولا يشهر في وجهه سيف ولا يقابل فيما يأمر به بلم وكيف فبلغ تيمور هذه الامور فجهز ذلك الختال الى بغداد عشرين ألف مقاتل وأمر عليهم

من امرائه ووزرائه ورؤسائه والظلمة المعتدين أمير زاده رستم وجلال الاسلامي
وشيخ نور الدين وأمر ان يكون المقدم من الثلاثة الأمير رستم فاذا تسلموا بغداد
يكون هو حاكم البلاد وحين غربت من سماء بغداد شمس السلطان أحمد في غرب
العرب وعم ظلام الظلم جنح العساكر التيمورية على افاقها وأرسل عليها شهبه
أبي فرج المذكور رأت بسلم المدينة قطوها واستعد للقتال بجمع ما عنده من أهبة
المحاصرة وأوهى فاطلعوا تيمور على هذا الامر وانتظروا ما يكون منه
من نهي وأمر فثنى نحوها عنان العنق واضعر ما تصل اليه يده من غرق وحرق
واظل عليهم بغمام غم بعد ما رعد وبرق فوصل بتلك الفرق وأحل بهم البوس
والفاق وأذاقهم لباس الجوع والفرق فرجهم أي رج وحاصرهم في أشهر
الحج فثبتت مقاتلهم وأكثروا من عساكره القتلى والجرحى فخندق أشد الخندق
وزحف عليها برجله وخيله فاخذها عنوة يوم الاضحى فتقرب على زعمه بأن جعل
المسلمين قرابين وعليهم ضحى ثم أمر كل من هو في دفتر ديوانه محسوب والى يزك
عساكره من الجند والجيش منسوب ان يأتيه من رؤس أهل بغداد برأسين فسقوا
كل واحد من خمر تسلب الروح والمال كاسين ثم أتوا بهم فرادى رجله وجاروا
بسيل دمائهم نهر الدجلة وطرحوا أبدانهم في تلك الميادين وجعلوا رؤسهم فيها
ميادين فقتلوا من أهل بغداد نحوا من تسعين ألف نفس صبرا وبعضهم عجز عن
تحصيل البغداديين فقطع رؤس من معه من أهل الشام وغيرها اسرى وعجز بعض
عن رؤس الرجال فقطع رؤس ربات الحجال وبعض لم يكن معه رقيق فاصطاد
من وجده في طريق واغتال من معه من رفيق وفدى نفسه بعدو وصديق ولم
يلتفت الى شقيق وشفيق اذ لم يمكنهم الخروج عن ربقة الطاعة ولا يقبل منهم عدل
ولا تنفعهم شفاعة وهذا العدد المذكور سوى من قتل وهو محصور أو قتل في
مضيق أو مات في الدجلة وهو غريق فقد ذكر ان خلقا ألقوا أنفسهم في الماء وماتوا
غرقى ومن جملتهم فرج فانه ركب سفينة وابق فاحترشوه من الجانبين بالسهام
فجرحوه وانقلبت السفينة فادركه الغرق ونجى من الميادين نحوا من مائة وعشرين
كذا أخبرني القاضي تاج الدين أحمد النعمان الحنفي الحاكم ببغداد كان وتوفي
في غرة المحرم سنة أربع وثلاثين وثمانمائة بدمشق رحمه الله تعالى ثم ان تيمور خرب

المدينة بعد ان أخذ ما بها من أموال خزينه وأفقر أهاليها وأقفر منازلها وجعل عاليها سافلها وصارت بعد ان كانت مدينة السلام دار السام وأمروا من بقي من ضعفة أهاليها فتمزق ومزقتهم أيدي الزمان كل ممزق بعد ان كانوا في ظلال ودلال ومن مساكنهم في جنتين عن يمين وشمال فاليوم عشش البوم والغراب في أماكنهم وأصبحوا لا ترى الا مساكنهم وهذه المدينة هي أشهر من ان توصف ومعرف عارفتها ومعرفتها أذكى من ان يعرف وناهيك انها كاسمها مدينة السلام والله على ما قيل لم يمت بها امام

﴿ذكر رجوع ذلك الطاغ واقامته في قراباغ﴾

ثم الوى بذلك الاتراك التي يصح ان يقال لكل منها انه في التركية طاغية طاغ وعزم يشتي في مكان يصلح ان يكون في الترك والعرب كصفاته وذاته قراباغ وأمسى كالبازي المطل بل كالبوم المشوم مراقبا اطراف الآفاق وخصوصا ممالك الروم

﴿ذكر مراسلة ذلك المريد سلطان الروم أيلدريم بايزيد﴾

فراسل سلطانها بايزيد المجاهد الغاز وصرح بما يروم من بلاد الروم من غير كناية والغاز وجعل السلطان أحمد وقرا يوسف سببا وذكر انهما من سطوات سيوفه هربا وانهما مادة الفساد وبوار البلاد ودمار العباد رسخ الخمول والادبار وكفرعون وهامان في العلو والاستكبار وان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين وقد صارا معهما في حمى ذراكم لاجئين وأينما حلا حلت الندامة والشؤم وحاشا أن يكون مثلهما من الملوك من تحت جناح صاحب الروم فاياكم أن تؤووهم بل أخرجوهم وخذوهم واحصروهم واقتلوهم حيث وجدتموهم واياكم ومخالفة أمرنا فتحل عليكم دائرة قهرنا فقد سمعتم قضايا مخالفينا وأضرابهم وما نزل بهم من نفي حرابهم وضرابهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم فلا تكثروا بيننا وبينكم القيل والقال فضلا عن جدال وقتال فقد بينا لكم البراهين وضربنا لكم الامثال وفي اثناء ذلك أنواع التهديد والتخويف وأصناف التهويل والاراجيف وكان ابن عثمان عنده ابن رقاعة وشجاعة ولم يكن عنده صبر ساعة مع انه كان من الملوك العادلين وعنده تقوى وصلابة في الدين وكان اذا تكلم وهو في صدر مكان فلا

يزال في حركة واضطراب حتى يصل الى طرف الايوان وكان بواسطة هذه الحيلة ساعده
الزمان وقويت شوكته في المكان فاستصفى ممالك قرمان وقتل ملكها السلطان
علاء الدين وأسر له عنده ولدان واستولى على ممالك منشا وصاروخان وهرب منه الى
تيمور الامير يعقوب بن علي شاه ممالك ولايات كرمان وصفا له من حدود جبل بالقان
من ممالك النصارى الى ممالك أرزنجان فلما أوقف على كتابه وفهم فحوى خطابه
نهض وربض وامتعض وارتمض ورفع صوته وخفض وكأنه تجرع نقوع الحضض
ثم قال أو يخوفني بهذه الترهات ويستفزني بهذه الخزعبلات أو يحسب أني مثل
ملوك الاعجام أو تتار الدشت الاقتام أو في جمع الجنود كجيش الهنود أو
جندي في الشقاق كجمع العراق أو ما عندي من غزاة الاسلام كعساكر الشام
أو ان فعل العجم كجندي أو ما يعلم ان أخباره عندي وكيف خذل الملوك وختر
كيف تولى وكفر وما صدر عنه وعنهم وكيف كان كل وقت يستضعف طائفة منهم
وأنا أفصل مجمل هذه الامور وأكشف ما خزنه في النامور وأما أول أمره فراعي
سفاك الدم هتاك الحرم نقاض العهود والذمم طارف منحرف عن الصواب في
الخطا فصال وجال وسطا ثم طال واستطال واتسع له المجال وغفل عنه الرجال
ومن حين نبغ استقصى حتى شاب الشيب بالعيب فأدرك ما أدرك وما بلغ فالتهبت
فتيلته بعد ان كانت شراره وانتشرت فروع جنته فصارت غراره أما ملوك العجم
فانه استنزلهم بدخله وختله ثم استقرهم بخيله ورجله وبادر الى قتالهم بعد ان
أمكنتهم فرصة قتله وأما توقتاميش خان فان غالب عسكره خان ومن أين للتتار
الطغام الضرب ببتار الحسام وما لهم سوى رشق السهام بخلاف ضراغم
الاروام وأما جنود الهنود فانه ختلهم في أمرهم ورد كيدهم في نحرهم فوهت
أركانهم لاسيما وقد مات سلطانهم وأما عساكر الشام فأمرهم مشهور وما
جرى عليهم فظاهر غير مستور ولما مات سلطانهم وتضعضعت أركانهم وانفض
أمرهم وانقض وبغى بعضهم على بعض فقطعت منهم الرؤس الكبار ولم يبق فيهم
الا رؤس صغار فتر الزمان نظامهم وسام التبدد ملكهم وشامهم مع أنهم في
الصور بين وفي المعاني جمادى يمرون بواحدة وهي أنهم يبيتون جميعا ويقومون
مثنى وفرادى لا جرم تفرقت أيادي سبا أحزاب تلك الربى فاشتغل جيشه فيها

بالحرم فباض لما خلا له الجو وصفر ولو كان بينهم اتفاق لفتوتنا وبددوا شمله
وبتوه بيننا ولكنهم تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ومع اتساق نظامهم وتسديد
سهامهم وقوة نطاحهم وشدة كفاحهم وشدة رماحهم وكونهم ظهر الحاج
وأسود الهياج أنى لهم نظام عساكرنا وقوة القيام بتظافرنا وتناصرنا وكم فرق بين
من تكفل بأمر الحفاة العراة وبين من تحمل أمر الكماة الغزاة فإن الحرب دأبنا
والضرب طلابنا والجهاد صنعتنا وشرعة الغزاة في سبيل الله تعالى شرعتنا إن
قاتل أحد تكالبا على الدنيا فنحن المقاتلون لتكون كلمة الله هي العليا رجالنا
باعوا أنفسهم وأموالهم من الله بأن لهم الجنة وكم لضرباتهم في آذان الكفار من طنة
ولسيوفهم في قلانس القوانس من رنة ولنون قسيهم في خياشيم بني الصليب من غنة
لو سمناهم خوض البحار خاضوها أو كلفناهم إفاضة دماء الكفار أفاضوها قد
اطلعوا من صياصيهم على قلل قلاع الكفار وأخذوا عليها وأمسكوا بعنان أفراسهم
فكلما سمعوا هيعة طاروا إليها لا يقولون لملكهم إذا أمرهم في البلاء والابتلاء
إنا هاهنا قاعدون فاذهب أنت وربك فقاتلا ومعنا من الغزاة مشاة أفرس من
فوارس الكماة أظفارهم باترة وأظفارهم ظافرة كالأسود الكاسرة والنمور
الجاسرة والذئاب الهاصرة قلوبهم بودادنا عامرة لا تخامر بواطنهم علينا مخامرة
بل وجوههم في الحرب ناضرة إلى ربها ناظرة وحاصل الأمر أن كل اشتغالنا وجل
أحوالنا وأفعالنا حسم الكفار ولم الأسرى وضم الغنائم فنحن المجاهدون في سبيل
الله الذين لا يخافون لومة لائم وأنا أعلم أن هذا الكلام يبعثك إلى بلادنا انبعاثا
فإن لم تأت تكن زوجاتك طوالق ثلاثا وإن قصدت بلادي وفررت عنك ولم أقاتلك
البتة فزوجاتي إذ ذاك طوالق ثلاثا بتة ثم أنهى خطابه ورد على هذا الطريق
جوابه فلما وقف تيمور على جوابه القلق قال ابن عثمان مجنون حق لأنه أطال
وأساء وختم ما قرأه من كتابه بذكر النساء لأن ذكر النساء عندهم من العيوب
وأكبر الذنوب حتى أنهم لا يلفظون بلفظ امرأة ولا أنثى وإنما يعبرون عن كل
أنثى بلفظ آخر ويحثون على الاحتراز عنه حثا ولو ولد لأحدهم بنت يقولون ولد له
مخدرة أو من ربات الحجال أو مستورة أو نحو ذلك

ذكر طيران ذلك البوم وقصده خراب ممالك الروم

فوجد تيمور الى التوجه الى ابن عثمان السبيل وطلب الرفيق والطريق ورام
الدليل وعرض جنده فاذا الوحوش حشرت وانبثوا على وجه الارض فاذا
الكواكب انتثرت وماج فاذا الجبال سيرت وهاج فاذا القبور بعثرت وسار
فزلزلت الارض زلزالها ومار فاظهرت القيامة اهوالها وأرسل الى ولى عهده
ووصيه من بعده حفيده محمد سلطان بن جهانكير أن يتوجه اليه من سمرقند صحبة
سيف الدين الامير وركب الى الروم الطريق وساعده الاتفاق لا التوفيق وجرى
بذلك البحر الطرخم والليل المدلهم فدار وداخ وعلى قلعة كماخ أناخ فاذا هي في
الوثاقة كيقين موحد وفي الرصانة والمناعة كاعتقاد متعبد لا يقطع خندق مناعتها
سهم وهم ولا يهتدى الى طريق التوصل اليها ثاقب فهم مؤسس أركان هضابها
معمار القدرة ومهندس بنيان قبابها اجبار الفطرة ليست بالعالية الشاهقة ولا
بالقصيرة اللاصقة غير انها في مناعتها وحصانتها فائقة من احدى جهاتها نهر
الفرات يقبل اقدامها ومن الجهة الاخرى واد متسع يحفظ اعلامها لا يمكن
للاقدام فيه الثبات وهو مسيل ما يصب في نهر الفرات ومن الجهتين الاخريين
هضاب يتلو لسان البصيرة عند وقوع البصر عليها ان هذا الشيء عجاب فأخذها
من غير كلفه ولا جرح وهام غير طواف بها ولا وقفه وذلك بعد ان قدم محمد سلطان
عليه ووكل امر حصارها وقتالها اليه وسبب ذلك ان الوادي الذي وراءها كان
برقتا بالحيلة لوعورته من جانبها لكونه مزلة الاقدام واسم الافهام بعيد مهوى
المرام لا يثلب لسان السهم له عرض عرض ولا يثبت له تحت قدم غواص البصر
قرار أرض فبمجرد ما وقع نظره عليها نظر بعين الفراسة اليها ثم أمر بقطع
الاخشاب ونقل الاحطاب فلم يكن الا كلمح البصر حتى هدموا البيوت وقطعوا
الشجر ونقلوا جميع ذلك الخشب والاعواد وطرحوها في قعر ذلك الواد فساووا
به الأرض وملأوا طوله والعرض وحين شعر أهل القلعة بهذه الفعال ألقوا
النار والبارود على تلك الأخشاب فأخذت في الاشتعال وأما أساس القلعة فلا
ينال لانه راكب على قلل الجبال فلم يعدد ذلك من أمره ولم يشرد من فكره بل
أمر في الحال كل واحد من الرجال ان يأتي من تلك القفار بعدل من الاحجار
فانبثوا كالنمل والجراد في تلك الهامه والاطواد والبراري والوهاد وجابوا

المعثر بالواد نفى المال ملؤا تلك الدارة من الحصباء والحجارة ثم أمر أن ينقل بتلك الحجارة في ذلك الهوى البعيد ما ينقل بهم في جهنم يوم يقال لها هل امتلأت وتقول هل من مزيد فالقوا في ذلك الوادي بعض ما ملؤه من أكداس تلك الحجارة فطموه وابقى في بيادر ذلك الحجر أضعاف ما رمى من البحر ولما امتلأ الوادي من الأحجار مشوا عليها وقربوا من الأسوار ونصبوا السلالم وتسلقوا وبناصية مرامهم تعلقوا فأقلع أهل القلعة عن الكلام وطلبوا الأمان وقالوا ادخلوها بسلام وكان هذا الحصار والتعبئة في شوال سنة أربع وثمانمائة ولما استقر فيها أمر بتلك الأحجار أن تنقل من واديها افق المال سفوها وفي مكان أخذوها منه ردوها ثم ولى بها شخصا يدعى الشمس وولى عنها كأن لم امس وهذه القلعة نحو من نصف يوم من ارزنجان ومن القلاع المشهورة في الدنيا بالمناعة والعصيان فلا جرم حين استولى عليها وأفضى بصارمه الذكر اليها وفتحها قهرا وفتحها جبرا أبرد بهذا المغنم البارد الى كل صادر في ممالكه ووارد بكتب ترسم فيها من الأخبار كل سائح وشارد وعنوان هذه الترجمة بلفظها من غير ترجمة شعر

بعد سيوف داميات لدى الوغى * فتحنا بحمد الله حصن كماخ

وذكر فيها ابن عثمان وخطابه اليه وكيف ردّ جوابه الحمق عليه ومن جملته وبعض ترجمته انا ما جفوناه ولا تعدينا عليه ولكن رققنا له القول وتلطفنا اليه وقلنا له يخرج من قروح مملكته مادة الفساد وهي أحمد الجلايري وقرا يوسف التركمان اللذان أخربا البلاد وأهلكا العباد والرضا بالمعصية معصية والاقرار على الكفر كفر والفاسق المحروم البائس شر من الفاجر الظلوم الآيس فصارا في الفساد وزيريه وهو الامير وفي العناد ظهيرين وهو الكبير ومشيراه على ذلك ووالباه فلبئس المولى ولبئس العشير فافسداه وما أصلحا وخسراه وما ربحا فكأنه عني شأنهم من أظهر ودهم وشأنهم بقوله شعر

ولا ينفع الجرباء قرب صحيحة * اليها ولكن الصحيحة تجرب

ولم يزل على طريقته العوجا فأشبه لما أجاره مجير أم عامر العرجا فنهيناه فما انتهى ونبهناه فما ارعوى وأريناه العبر في غيره فما اعتبر وناداه لسان انتقامنا من المخالف الحذر الحذر وكاوضناه مع اسمنا على عادة شفقتنا

وأدبنا في المراسلات ورعاه فتعدى طوره وأبدى جوره وكان في بعض
مراسلاته وما وضعه في مكاتباته كتب اسمه تحت اسم طهرتن وهذا هو الواجب
عليه والحسن ولا شك أن طهرتن بالنسبة إلينا كبعض خدمنا وأقل حشمنا ثم
انه أعني بايزيد لما طالع كتابنا ورد جوابنا وضع اسمه فوق اسمنا بالذهب وهذا
لما فيه من كثرة الحماقة وقلة الأدب ثم ذكر أنه توجه يروم استخلاص ممالك الروم
وتدقق في هذا الكتاب وتفيهق في هذا الخطاب فهو أحد دساتير الكتاب
والأساطير المتعلقة بما في الخطاب والجواب

ذكر ما عزم ابن عثمان عليه عندما أصاب ذلك الطوفان إليه

لما بلغ ابن عثمان ما قصده وأنه جعل طالعه في سماء الحرب رصده توجه لقتاله
واستعد لاستقباله وكان على مدينة استنبول محاصرا آخذا بكفارها وقد
قارب أن يفتحها وتضع الحرب عنها أوزارها وأن جنده كان عنده ولكن
أمر بطارقة الغزاة والشواهين من كواسر جيشه والبزاة وعمرات السرايا وكرام
كرمان وأحلاس خيل السواحل وقروم قرمان وأجناد ولايات منتشا وأساورة
صاروخان وجميع أمراء التومانات والصناجق وأصحاب الرايات ورؤس الفيالق
ونواب جميع الثغور والأمكنة مما هو جار تحت حوزته بروسا وأدرنه وكل من دبج
البحر الأخضر من بني الأصفر عن رايته البيضاء بالدم الأحمر وفلق سويدا كل
عدو أزرق بسهامه السود على جواده الأبلق أن يعملوا مصلحتهم ويأخذوا حذرهم
وأسلحتهم واستعان في ذلك بكل بطريق وعلج مارق داخل في أمان المسلمين على
قتال كل باغ وخارجي ويستدعي التتار وهم قوم ذو يمين ويسار ناس سوادج لهم
مواش نواتج ملأوا الأقطار بمواشيهم وملأوا الشواهق والبوادي بنفوسهم
ومواشيهم وربما يكون لواحد منهم عشرة آلاف جمل ما منها واحد حمل ومثل
ذلك أفراس ما أسرج لها ظهور ولا ألجم رأس وأما الغنم والبقر فلا يحصى عددها
ولا يحصر وما يعلم جنود ربك إلا هو وما هي إلا ذكرى للبشر لهم في ممالك الروم
وقرمان إلى صواحي سيواس مشتات ومصائف وللملوك والسلاطين عليهم اعتماد
كما لهم في أنواع المبرات وظائف لو قصدهم فقير أو غريب أو طالب علم أو أديب
جمعوا له من الغنم والبقر والصوف والشعر والسمن والأقط والوبر ما يكفيه

وذويه الى آخر العمر وكانوا يعدون لكثرتهم وما معهم من الامم ثمانية عشر ألف عالم فلبى كل من صدى هؤلاء الجبال صدى صوته بالاجابه وبادر الى امتثال أوامره بالاطاعة والانابه وانبعث اليه التتار بقضهم وقضيضهم بعثا وقذفت اليه أطوادها عساكرها وبحارها جنودها قذفا وحث على ملاقاة تيمور عساكر الغزاة والمجاهدين حثا

﴿ذكر مافعل ذلك الخداع المكار وغدره في تخذيله عن ابن عثمان جنود التتار﴾

وتلبث تيمور في أمره واستورى زناد فكره فأورى زناده ناره ان يخذل عن ابن عثمان تتاره فأرسل الى زعمائهم والكبار من امرائهم ورؤسائهم واميرهم يدعى بالفاضل وكان في المكرمات من الافاضل غير انه مامارس الايام ولا اطلع على مكائد اللئام ان حسبكم حسبي ونسبكم متصل بنسبي وان بلادنا بلادكم وأجدادنا أجدادكم فكلنا فروع نبعه وأغصان دوحه وان آباءنا من قديم العصر وغابر الدهر نشأوا في عش متوحد ودرجوا في وكر غير متعدد فأنتم في الحقيقة شعبة من شعبي وغصن من أغصاني وجارحة من جوارحي رطانتي وخلاني وانتم لي شعار وباقي الناس دثار وان كان الناس ملوكا بالاكتساب فانتم ملوك بالانتساب وان آباءكم من قديم الزمان كانوا ملوك مماليك توران فانتقل منهم طائفة من غير اختيار الى هذه الديار فاستوطنوها وهم على ماهم عليه من المكرامه وشعار السلطنة وأسباب الزعامه ولم يزالوا على هذا النشاط والعزه الى أن اندرجوا الى رحمة الله تعالى وهم على هذه العزه وكان المرحوم ارتنا آخر ملوككم وما كبر مالك في بلاد الروم أصغر عمالكم وليس بحمد الله في شوكتكم قله ولا في كثرتكم ذله فان رضيتم لانفسكم بهذه الذله وان تصيروا مسخرين كانكم من المسخرين وبعد ان كنتم أكابر مكبرين كيف صرتم أصاغر مصغرين ولستم بدار هوان ولا مضيعه وأرض الله واسعه ولم صرتم مرقوق رجل من أولاد معتوق على السلجوق ولاأدرى ما العلة في هذا والسبب ومن اين هذا الانحطاط والنصب سوى عدم الاتفاق وانتفاء الاتساق وعلى كل حال فأنا أولى بكم واحق بعمل مصالحكم وتهيئة أسبابكم وان كان لابد من اسبط انكم هذه التخوم وبيع تلك البلاد

الفسيحة بمضائق ممالك الروم فلا أقل من أن تكونوا كأسلافكم حكامها مالكي
نواصي صياصيها راقين سنامها باسطي أياديكم فيها قابضين زمامها وهذا المهم انما
يتم اذا كفيناهذه المنازله وقضينا الارب من هذه المناضله وتمهد لنا الميدان وارتفع
من البين ابن عثمان فاذا خلا الجو من المنازع وصفت لي في هذه البلاد المشارع
وظفرت بهذه الممالك وسلكت فيها الطرق والمسالك أعطيت القوس باريها
وأنزلت الدار بانيها ورددت المياه الى مجاريها وجعلتكم ملوك قراها وصياصيها
ومدنها وضواحيها وقررت كل واحد منكم على قدر استحقاقه فيها وان رأيتم أن
لاتعينوا علينا وامكنكم أن تنحازوا الينا فاغتنموا فرصتكم وخذوا من اعتزازها
حصتكم فانكم قريبون منا وتوددمعنى وأما الآن فكونوا بظاهركم مع ابن
عثمان وبباطنكم معنا حتى اذا التقينا انحازوا والى عساكرنا انحازوا ولا زال
يفتل كلامه ليتزوا على نحيرتهم ولا يجهر منهم فابتدرتهم بأن تزري فصاحتها بكلام
الاسود بن يعفر فانصب في دردور أفكارهم ليردهم عن أن تتبع ابن عثمان وتقفر
كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر حتى خدعهم بهذا المقال واستخدمهم في معنى
ماقال واستهواهم حب الرياسة الذي طالما استرق أحرار الصديقين واستعبد كبار
الاولياء والصالحين وكبكب في النار على الرؤس رؤس العلماء العاملين فوافقوه
على الانخزال عند الموافقة للنزال

﴿ذكر ما صنعه ابن عثمان من الفكر الوبيل وتوجهه الى ملاقاة تيمور بعسكره الثقيل﴾

وأما ابن عثمان فانه خاف منه الهجوم على بلاد الروم لان الزروع كانت قد
استحصدت وصدور المواشي والثمار قد استنهدت وخضروات الارض قد
اسودت والرعايا في ظل الامن والرفاهية قد امتدت فخشي ابن عثمان أن يصيب
العباد منه ضرر أو يتطاير الى قبائل بلاده من لهيب ناره شرر فبادر الى ملاقاته
وساقته سوائق المنون الى شرب كأسها في مساقاته وأراد أن يكون مصطدم الناس
خارج بلاده على ضواحي سيواس فأجرى من عساكره السيول الغامره وأخذهم
على قفار غامره حذرا على رعاياه من مواطئ مطاياه فانه كان على الضعيف مر

رحيماً شفيقاً وبالفقير من حشمه وخدمه رفيقاً يحكى انه كان في بعض مغازيه فعطش بعض حواشيه فأتى في قرية بعض النساء فطلب منها شربة ماء وكانت أشأم من البسوس يضرب بها المثل في اللؤم والبوس فقالت ما عندي ما تشرب فخذ طريقك ولا تتعب وكان العطش قد غلبه ورأى عندها في بعض القصع شربة لبن فشربه فقالت هذا قوت الصبيان واشتكت عليه لابن عثمان فطلبه واستفسره فخاف شدة نقمته وأنكره فقال للمرأة أنا أبعج بطنه وأتبين صدقه وكذبه فان ظهر في بطنه اللبن أعطيتك الثمن وان تبينت بالصدق قوله جعلتك مثلة مثله فقالت والله انه شربه وما فهت في حقه بكذبه ولكن فرجت كربته وأبرأت ذمته فقال لابد من اجراء العدل وانهاء هذه الحكومة بالفصل ثم دعا بالسيف ووسطه وأجرى على بطنه مشرطه فانفجر بطنه وهو منتفخ وجرى اللبن وهو بدمه منفجر فاشتهر في الوثاق ونادى عليه هذا جزاء من يتناول في دولة الملك العادل ابن عثمان شيئاً بغير استحقاق ثم ان ابن عثمان تابع الترحال وسلك في رمضان السفر صوم الوصال

﴿ذكر ما فعله ذلك الساقطة مع ابن عثمان وعسكره من المغالطة﴾

ولما بلغ تيمور ان ابن عثمان أخذ على الطريق الغامر نبذه نبذ اليهود كتاب الله وراء ظهورهم وأخذ على الجادة العامرة فدخل هو وعسكره في ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون ولسان حالهم الفصيح ينشد في الآفاق ويصيح شعر

ولست أبالي بعد ادراكي العلى * أكان تراثاً ما تناولت أم كسبا

فما بين الوافي مراح ومرتع ومراع نضر ومروج بين سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب وهواء بالراحة مصبوب ونعيم بالسلامة مصحوب في أمن ودعة وخصب وسعة آمناً من الوجل سائراً على غير عجل متيقناً بالنصر والظفر مستبشراً بالملك والوزر متبعاً تدبير القضاء والقدر لا تبرد حرارة حميته التسخين من عدوه واحراز الغنم البارد نثره ولا في الكاهل كبوا كبر ما كره المنتظمة نثره ولا بين أسود جيشه مكاشرة ولا نفرة ولا في فراهم الاعادي اللاهبات على مواقد هام طغاتهم جبن ولا كسره فلم يفق ابن عثمان من رقاده

الا

تيمور قد دمر على بلاده فقامت عليه القيامه وأكل يديه حسرة وندامه وزأر
والتهب حنقا وكاد ان يموت خنقا وسلب القرار والهجوع وعزم في
[illegible]ل على الرجوع فتلاطمت من بحر غضبه أمواجه وتصادمت أثباج أطواده
وأبراجه فرسم بعوده على بدئه وأغرى بوصال السير وحثه فنهكهم السير
بسرعته والمكان بقدرته والزمان بتدبيره والسلطان بتأثيره فلم يدركوه الا وقد
ذاب كل منهم وصبا وتلا لسان حاله لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا

﴿فصل﴾ وكان تيمور قد وصل الى مدينة انقره وخيله ورجله مستريحة موفره
للقتال منتظره وللنزال مشمره بل لم يكونوا به مكترثين ولا به محتفلين وقد سبقوا
كصناديد قريش الى الماء وتركوا عسكره كساكني بدر في جانب الظماء فهلكوا
كربا وأواما وذابوا عطشا بلا ما وكأنه الى ذلك المنزل هو أرشدهم وبلسان حاله
أنشدهم شعر

يا ضيفنا لو زرتنا لوجدتنا * نحن الضيوف وأنت رب المنزل

وانقرة هذه هي التي ذكرها الأسود بن يعفر في قصيدته الطنانة وهي شعر

نزلوا بانقرة يسيل عليهم * ماء الفرات يجيء من أطواد
فاذا النعيم وكل ما يلهى به * يوما يصير الى بلى ونفاد

فلما تدانت الجيوش في الجيوش وضربت الوحوش على الوحوش وامتلأت منهم
الصحارى والقفار وبالت اليسار باليمين واليمين باليسار اندفعت من عسكر ابن
عثمان التتار واتصلوا بعسكر تيمور كما رسم أولا وأشار وكانوا هم صلب العسكر
والذروة من عسكر ابن عثمان والاكثر حتى قيل ان جماعة التتار كانوا نحوا من
ثلثي ذلك العسكر [illegible] بل قيل ان ذلك الجمهور كان نحوا من ثلثي جند تيمور
وكان مع ابن عثمان أولاده أكبرهم أمير سليمان فلما رأى ما عمله التتار علم
[illegible] البوار [illegible] باقي العسكر وتقهقر عن ميدان المصاف وتأخر وترك أباه
[illegible]تبعه الى جهة بروسا فلم يبق مع ابن عثمان الا المشاة ومن
ماهم فثبت للمجالدة بمن معه من الرفاق [illegible]
[illegible] تلك المعركة والمعترك كان [illegible] عنتره
[illegible]ل * [illegible] وبيض الهند تقطر من دمي

(اثب المقدور)

فوددت تقبيل السيوف لانها * لمعت كبارق ثغرك المتبسم

فصبر لحادث الدهر وما أزم وأراد أن يقع على مذهب الامام مالك عند ما
فأحاطت به أساورة الجنود إحاطة الأساور بالزنود وحين تيقنت الأسرة العثمانية
بالكسرة وعلمت أنها تورطت في جيش العسرة وثبت المشاة على ال[...]
واستعملت الاطيار وكل صارم بتار وكانوا في ذلك المصاف نحوا من خمسة آلاف
فبددوا أندادهم وأبادوا أعدادهم ولكن كانوا كساق الرمال بالكربال أو
كنقل البحار بالغربال أو كجزر أوزان الجبال بقراريط المثقال فأمطروا على
قلل أولئك الأطواد وحقول ذوات تلك الأسود من غمام القتام صواعق ديم
المدهيات وأمطار السهام السود ونادى محرش القدر وصياد القضاء الكلاب
على البقر فلم يزالوا بين وقيذ وواقذ ومضروب بحكم سهم ماض في القضاء نافذ
حتى صاروا كالشياهم والقنافذ واستمرت دروس القتال بين تلك الزمر من الضحى
الى العصر وانتقلت أحزاب الحديد الى الفتح فتلت على الروم سورة النصر ثم لما
كلت منهم السواعد وفل المواصر والمساعد وتحكم فيهم الأعادي والأباعد دقوهم
بالسيوف والرماح وعلى الأرابد ما ثم الغدران وباشلائهم البطاح ووقع ابن عثمان
في قنص وصار مقيدا كالطير في القفص وكانت هذه ال[...]ة على نحو ميل من
مدينة أنقره يوم الاربعاء سابع عشرين ذي الحجة سنة [...] أربع وثمانمائة
وقد قتل غالب العسكر العطش والقصور لانه كان ثامن [...]ي تموز

(فصل) ووصل أمير سليمان الى برصا معقل [...] عثمان فاستاط على
ما فيها من الخزائن والأموال والحريم والأولاد ونفائس ال[...]ال واشتغل بنقل
ذلك الى برادرنه وراء البحر المحيط بالشرمن الأمكنة ال[...]ب في بحر مصر الآخذ
بعد ما تعدى بس الى بلاد الدشت والكرج الفاصل بين [...] بين بحر القلزم جبل
الجركس

بدحرارة حمية [...] فقد

*(ذكر ما وقع من الضباط بعد وقعة ابن عثمان نبين كواكب صاكره)

ولما حصل لرأس مملكة الروم هذه الوعكة وانثنت لانثناء ولا فقراهم الأعادي
دعكه واشتغى عليهم الجند المشؤم ونعق فيهم [...] كسره فلم يعق ابن عثمان من رقاده

الا

الاوج وتلاقى محراب انسها على جماعتها امام القضاء والقدر الم غلبت الروم خضعت
ورقابها ونواصيها وتزلزلت حصونها وصياصيها وتزعزع دانيها وقاصيها وانهار
العالية واوعاصيها فخافوا صيحة الحرب وأيسوا من الاهل والاوطان والمال والعمر
اذ قد ذهب منهم الرأس ولم يبق فيهم من يقيم الباس فلما سمعوا ان أمير سليمان ضم
الناس الى نحره وعزم على العبور الى براده بقطع بحره مالت بهم الاودية والشعاب
اليه وعولوا في خلاصهم من ذلك البلاء الطام عليه فصالح أهل استنبول ووادهم
وعاهدهم على أن لا يغدر كل منهم بالآخر وعدهم ثم قصدهم أن يعينوه على الوصول
بقطع البحر من ثغرى كاليبولى واستنبول اذ ليس لهذين البحرين من هذين البرين
طريق قريب ومعبر سوى هذين الثغرين فان بحر اسكندريه يأخذ على انطاكيه
وعلايه ثم يروم بلاد الروم فتحصره الجبال قبل وصوله بلاد الشمال فلايزال
في حصره يدق وشفتاها بينه ترق حتى تتراآى هاتان ويكاد تنطبق شفتاه
ومسيرة هذا الانضمام نحو من ثلاثة أيام ثم يأخذ في المد والانبساط والجريان على
وجه النشاط ثم تدور كتائب أمواجه وتتكردس وتاخذ نحو بلاد الدشت والكرج
حتى تصل كفا كرالى بلاد الجركس وما أمكن أحدا من سواحل الحكمة ومهندسى
النوافث أن يعز هذين المعبرين في مدى هذا الانضمام بثالث فثغر كاليبولى
بيد ملاحى المسلمين وثغر استنبول بيد النصارى أعداء الدين وهو أعظم الثغرين
وأجسم المعبرين وكانت النصارى ملاحيه فصار غالب الناس يقصده وينتحيه
واستطارت الفرنج فرحا واستطالت وخاضت في دماء المسلمين وحريمهم وأموالهم
وجالت فان ابن عثمان كان بالحصار قد أنهكها وأباد قراها وضواحيها وأهلكها
وضيق على أهلها في مجارى أرواحهم مسالكها فبينما هم وقد بلغ السيل الزبا وجاوز
الحزام الطبيين وأنشب كل منهم فيهم حلقه واذا بتيمور جاءهم بالفرج بعد الشدة
انه حل بأبيهم بالضرورة ابن عثمان وحصل لهم بذلك الفرج والامان وزاد ذلك بأن
في شدة البأساء والبلوى وتراموا في طلب الخلاص من العدو عليهم فبعد أن زالت
دائماهم وبعض من السكان وقاية تلك الشارات من المسلمين العرض فجعلوا يوسقون
ان فزان يقع عليه الطلاق وكانوا يرجعون بذلك الى صوب استنبول وان استنبول
وهى من أكبر مدن الدنيا حتى قيل شعر ولقد ذكرتك والرماح نواهل

انها قسطنطينية الدنيا الكبرى فكانوا اذا عطفوا وراء تلك الذروة بالمراكب
واستتروا بالهضبة النابتة عن عين من هو في هذا الجانب يصيرون كالاموات
النازلين الى المقابر المقيمين في قعر اللحود والمقابر لا يدرى الى أين يتوجهون والى
أي ناد يصيرون الى بر السلامة والاسلام أم الى دار الحرب وأسر الكفرة الطغام
فيذهب منهم الذاهبون فلا يستطيعون توصية ولا الى أهلهم يرجعون فاذا جاءت
المراكب وهي فوارغ تلاقى كل من هذه الخلائق فيها بجهد كامل وجد بالغ ولم يدر
ماذا جرى عليه والى ماذا يصير أمره اليه وأشبهوا في ابصارهم الكليلة وخطوبهم
الجليلة مالك الحزين والسمك المذكورين في كتاب كليلة وحاصل الامر انه لم
يسلم من ذلك السواد الاعظم في كل غراب أدهم الامثل الغراب الاعصم
واستطالت أعداء الدين كيف شاءت على المسلمين وقطع أمير سليمان البحر
واستولى على ذلك البر وضبط ممالكه وربط مسالكه وهو أوسع من هذا الجانب
وأفسح مرجا وأدر ريعا وأكثر خراجا ودخلا وأعظم حصونا وأمكنه وتخته
مدينة ادرنه فاجتمع الناس على أمير سليمان وسهل الامر في الجملة شيأ ما وهان

(ذكر أولاد ابن عثمان وكيف شتتهم وأدباهم الزمان)

وكان للسلطان بايزيد المذكور من الاولاد الذكور أمير سليمان هذا وهو أكبرهم
وعيسى ومصطفى ومحمد وموسى وهو اصغرهم وكل منهم طلب لنفسه مهربا وانحاز
اليه من أبيه طائفة فجماعة فكان منهم محمد وموسى في قلعة اماسيه وهي خرشنة الشاهقة
العاصية التي قال فيها أبو الطيب شعر

حتى اقام على ارباض خرشنة * تشقى به الروم والصلبان والبيع
للسبي ما نكحوا والقتل ما ولدوا * للنار ما زرعوا للنهب ما جمعوا

وقلعتها شاهقة كأنها بقية الفلك عالقة يعد النازل منها في نزوله منها أكثر
مما يعد الصاعد الى غيرها يسميها أهلها بغداد الروم لأن قرار أرضها بنهر كبير من
الوسط مقسوم وبينها وبين توقات مسيرة يوم لمجد وأما عيسى فانه لجأ الى بعض
الحصون واستمكن الى ان قتله أخوه أمير سليمان وموسى فيما بعد فقتل أمير
سليمان بعيسى ثم ان محمدا قتل بعد الكل موسى ونسخت الاحكام المحمدية

شعائر الملة الموسوية والعيسوية الى ان مات حتف أنفه في أوائل سنة أربع وعشرين وثمانمائة أو مات بشيء دس اليه على يد قوم حفارق الهدايا الملكية المؤيدية وانتقل الملك من يده الى مراد ولده وهو في يومنا هذا أعني سنة أربعين وثمانمائة مستقل به وأما مصطفى فانه فقد وقتل نحو من ثلاثين مصطفى بسببه

❊ عودا الى ما كنا فيه من أمور تيمور ودواهيه ❊

ثم ان تيمور لما قبض على ابن عثمان جرد البحر وسطا طائفة من الجنود والاعوان وأضاف اليهم الشيخ نور الدين ثم اتبعهم بوقار مكين وجاش مستكين فوصل اليها ونزل نزول القضاء المبرم عليها وضبط ما وصلت اليه يده من جماعة ابن عثمان وحرمه وأمواله وخزائنه وحشمه وخدمه وخلع على أمراء التتار ورؤسهم واستعطف خواطرهم بتطييب نفوسهم ووزع أمراءهم على أمرائه وأضاف كل ظهر منهم الى رأس من رؤسائه ووصاهم بهم وعليهم وبالغ في أن يصلوا ما أمكنهم من البر اليهم ومشى على مشيه القديم في استخلاص النفائس واقتناص النفوس وسبى الحريم وجعل يحضر ابن عثمان كل يوم بين يديه ويلاطفه ويباسطه ويترفق اليه ويسخر منه ويتفضل عليه

❊ ذكر ما فعله مع ابن عثمان من نكاية عدت من أوصافه القبيحة على مر الزمان حكاية ❊

ثم انه في بعض الايام جلس في مجلس عام وخفض جناح النشاط للخاص والعام وطوى بساط النهي والامر ومد سماط الخمر والزمر وحين غص بالناس المكان استدعى سريعا ابن عثمان فجاء وفؤاده يرجف وهو في قيوده يرسف فسكن قلبه وازال رعبه ثم أحسن جلوسه وازال بالاهتشاش اليه عبوسه ثم أمر بأفلاك السرور فدارت وبشموس الراح ان تسير من مشرق أكواب السقاة الى مغرب الشفاه فسارت وحين تقشعت عن شموس السقاة سحاب الخدور ودار في سماء العشرة نجوم عشاها من رؤسه بروز وبدور نظر ابن عثمان فاذا السقاة جواريه وعامتهم حرمه وسراريه فاسودت الدنيا في عينه واستحلى مرارة سكرات حينه وتصدع قلبه وانفرم لبه وتزايد كمده وتفتت كبده وتصاعدت زفراته

وتضاعفت حسراته وانكى جرحه واعتوره ونثر على جرح مصابه من قصبات
الاسى ملحه وكانت هذه النكاية لابن عثمان عما اسلفه في مكاتباته بذكر النساء
وحلفه لانه سبق ان ذكر الحرم عند الجغتاى وقبائل الترك من أكبر الجرم
وأعظم من الخيانة في الحرم وأيضا مكافاة لما فعله ابن عثمان مع حريم طهرتن
في ارزنجان ومن تمام اساءته لابن عثمان احسانه لاولاد ابن قرمان وكان قبل
ذلك ابن عثمان قد استولى على ممالك قرمان وقتل متوليها السلطان علاء الدين
بعد أن حاصره وقبض عليه ونقل الى حبس بروسا محمدا وعليا ولديه فلم يزالا عنده
في ضيق وضنك حتى أفرج عنهما بالحبس عليه تمرلنك فاخرجهما وخلع عليهما
وآبرهما وأحسن اليهما وأولاهما ما أولاهما وليس ذلك لحب علي كرم الله وجهه
ولكن لبغض معاوية قلت

ولم يرفض معاوية لحب * عليا بل لأن ربي يزيدا

وقيل وليس لحبه يحنو عليه * ولكن بغض قوم آخرين

وقلت بديها أصادق ضد اعدائي وان لم * يكن بيني وبينهم ولاء

وابغض من يعادي لي صديقا * وان اثنى علي بما اشاء

وذلك لينتكي ضدي ديمنا * فتى قد سرني منه الاخاء

والامير محمد هذا هو الذي قبض عليه الامير ناصر الدين محمد بن دلغادر امير التراكمة
المفسدين وقتل ولده مصطفى في البلا وجهزه الى الملك المؤيد مكبلا وذلك في شهر
رجب سنة احدى وعشرين وثمانمائة

❊ ذكر وفود اسفنديار عليه ومثوله ساجدا طامعا بين يديه ❊

ثم ان الامير اسفنديار ابن بايزيد وهو أحد ملوك الروم وله في السلطنة قدم مشيد
ورث الملك من أبيه وكان مستقلا بالامر وبينه وبين الملوك العثمانية عداوة
موروثة ونفرة وتحت حكمه بعض مدن وقلاع واوهد وبقاع منها مدينة سينوب
الملقبة بجزيرة العشاق يضرب بنضارتها المثل في الآفاق وهي في البر من البحر في
جزيرة كبيرة سبيل الدخول اليها عسيرة بها جبل أحسن من ارداف الحور متصل
بجسر ادق من رقيق الخصور وهي معقل اسفنديار ومعاذه وحرز خزائنه وملاذه

أعصى من ابليس وأوثق من كف بخيل يخاف التفليس ومنها قسطمونية تحت
ممالكه وبحر ممالكه ومنها سامسون وهي قلعة على جانب البحر للاسلام مقابلتها
نظيرتها للنصارى الجرم بينهما دون رمية حجر وكل منهما آخذة من الأخرى الجزر
وغير ذلك من القلاع والقرى والقصبات في الوهد والذرى ولما بلغه ما فعله تيمور
الغدار مع أولاد ابن قرمان والتتار وهم قرايلوك وطاهرتن حاكم أرزنجان والامير
يعقوب بن علي شاه متولي كرمان ومن توجه اليه من حكام منتشا وصاروخان وانه
لا يتبع من أطاعه وتلبس لأوامره بالسمع والطاعه سارع الى المثول بين يديه
وتهيأ للوفود عليه فأقبل بالتحف العاليه والنتف الغاليه فقابله بالبشرى
وعامله باليسرا وأقره في مكانه نكاية لابن عثمان ثم أمره وأولاد قرمان ومن
اتسم له بسيم الطاعة والاذعان من أمراء تلك الاكناف والاكنان أن يخطبوا
ويضربوا السكة باسم محمود خان والامير الكبير تيمور كوركان فامتثلوا أوامره
وحذروا زواجره وأمنوا بذلك الغارة والمصادره وتوفي اسفنديار المذكور في شهور
سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة وهو طاعن في السن وهو من أواخر الملوك الذين وفدوا
على تيمور واستولى بعده على ممالكه ولده ابراهيم بك ووقع بينه وبين أخيه قاسم
بك مشاجرات وانجر قاسم الى الملك مراد بن عثمان ولله الامر من قبل ومن بعد

(فصل) ثم ان تيمور أخرج مال ابن عثمان وغيره من الذخائر واستصفى
الخزائن مما كان ارثا وكسبا للملوك الاول من النفائس والاخائر وشتى في ولايات
منتشا وأتى لدروسها مباحث تصرف فيه كيف شا وانتهى الى أقصاها وحرر
البحث في مسائل الخمس والمغانم فاستقصاها وانبثت جنوده في آفاقها وغاصت
في بحار ممالكها من أشباح أطوادها الى قرار أعماقها فمن فارع الى جبال جباهها
رقم صياصيها ومن متعلق بآذان مراميها ومتسلق بأذيال نواصيها ومن راكب
أكتاف أكنافها نازل في سواحلها دائس بأرجل سعيه خدود روضها الانف
جائس بكاهل مناهلها ومن دامغ دماغها بمعداب رماحه لاجل العين بالغ من
غير حاجب لمنها مارام باليد واليدين ومن جائل على نهد صدورها تال روسها
ووجوهها للجبين على ظهرها ومن مادا نامل تعديه من غير كف الى معاصمها ومرافقها
كاد بأقدام الفساد في بطون معاريجها وانخاذ مشارقها بجز الرؤس وحز الرقاب

وفتوا الاعضاد وبتروا الاكتاد وحرقوا الاكباد وشوهوا الوجوه وأسالوا العيون وأشخصوا الابصار وبطنوا البطون وأخرسوا الالسنه وسكوا المسامع وأرغموا الانوف وأذلوا العرانين وهشموا الثغور وحطموا الصدور وقصموا الظهور ودقوا الفقر وشقوا السرر وأذابوا القلوب وفطروا المرائر وأراقوا الدماء واستحلوا الفروج وأحروا الانفاس وأبادوا النفوس وسبكوا الاشباح وسلبوا الارواح ولم يخلص من شرهم من رعايا الروم الثلث ولا الربع وصارت جماعاتهم فيهم ما بين منخنقة وموقوذة ومتردية ونطيحة وما أكل السبع

(ذكر فتح قلعة أزمير وسحقها ونبذة من عجيب وضعها ووصفها)

وحاصر قلعة ازمير وهي حصن في وسط البحر منها له عسير بهمزة مكسورة وزاي معجمة وميم مكسورة وياء ساكنة وراء مهملة قلعة قد أقلعت في البحار وأضرمت في قلب غاطيها بتمنعها وعصيانها النار أعصى من قلاع الجبال وأقصى في المنال أن تنال بحبل ورجال فأعد لها أنواعا من آلات المحاصره وأخذها يوم الاربعاء عاشر جمادى الآخره سنة خمس وثمانمائة سادس كانون الاول من السنين الروميه فقتل كبارها وأسر نساءها وصغارها وبنى من أبدان القتلى جوامع وشيد من رؤوسها منارها ثم سلب من القلعة غذاءها وأوقرها وأقواها من ذخائرها وأوفرها وأخلاها وقد استصفى منها أبيضها وأصفرها وطير بهذه الامور أجنحة البشائر وأطارها على رغمه في الآفاق بأسعد فال وأسرع طائر

(ذكر ما سنح من أمر مرسوم وهو في بلاد الروم من قصده بلاد الخطا واستخلاص ممالك الترك والجتا وافتكاره وهو في الغرب مشغول في استصفاء سائر ولايات الشرق والمغول وكيف عانده القضاء المبرم بمنازل المب فؤاده واضرم فصاده الزمان وعكس غرضه وهذه كالجملة المعترضه)

ثم ان تيمور كان قد استدعى من سمرقند سبطه محمد سلطان والامير سيف الدين ورهطه كما ذكر أولا وكان محمد سلطان هذا للفضلاء ملاذا وللعلماء معاذا مخائل السعادة في غصون جبهته لائحه وبسائر النجابة من أسارير طلعته واضحه شعر

في المهد ينطق عن نجابة جده * أثر السعادة لائح البرهان

وسيفها

وسيف الدين هذا هو أحد رفقاء تيمور في مبداه وأس أركان دولته في منتهاه وهما
اللذان كانا بذرا أشجاره وأسسا فيها قواعد النهب والغاره وهي في ثغر بلاد المغول
والجتا وأقصى حدودها ينتهي اليه حكم تيمور ومبدأ بلاد الخطا ووليها أميرا
يدعى أرغون شاه وأمداه بطوائف من العساكر وفي ثغر المغول أرصداه كل هذه
الامور بأوامر تيمور ولما شرعا في ذلك لم يرض المغول بهذا الفعل الحالك لانهم
كانوا يعلمون أن ذلك الافعى اذا جاورهم لابد انه في الفساد يسعى فلا يؤمنون
غائلته ولا يطيقون مجاورته فتشوشت خواطرهم وتكدرت ضمائرهم فاستوفزوا
للفرار واخلاء الديار فزاد الجغتاى فيهم طمعا ومد كل من أشرار الطائفتين الى
الاضرار يد التطاول ورحل الفساد وسعى وشرب كاسات التحرم فأكل ما حل
بيده وما تزهد في تعففه ورعا وفرح الجغتاى بذلك ووقعت العداوة بين الجانبين
فسد كل على الآخر طرق المسالك وجعلوا يرسلون اليهم السرايا ويصلون بما اتصل
بهم اليه من متعلقاتهم البلايا وجعل المغول أيضا يفعلون مع الجغتاى ذلك وتربصوا
بتيمور لبعده عنهم ريب المنون وتشبثوا بعثرات المهالك واتصل الخبر بتيمور فسر
بذلك أشد السرور ثم انه ماحصنهما بالاهبة الكامله والعدة الشاملة والرجال
المقاتله منهم طائفة من عساكر الهنود والملتان وقوم من جند عراق العرب
وأذربيجان وفرقة من فوارس فارس وخراسان وشرذمة من أناس تدعى جاني
قربان وأضافوا هؤلاء الكماة مع تومان من باشاق الجغتاى الى الامير أرغون شاه
ووصلا الى خجند وقطعا سيحون وقدما سمرقند ووليها أمير يدعى خواجه
يوسف فكان في قيد الطاعة والاخلاص يرسف ثم خرجا من سمرقند قاصدين ذلك
المشوم ثم انهما ماتا جميعا سيف الدين في خراسان ومحمد سلطان في بلاد الروم فوقع
تيمور في الاحزان على حفيده محمد سلطان وألبس عسكره السواد وأقاموا شرائط
الحداد ولم يكن بهم حاجة الى السواد المعلم فانهم كانوا السواد الاعظم ثم جهز عظامه
في تابوت الى سمرقند مع عظموت وجبروت ورسم أن يتلقاه أهل المدينة بالنوح
والبكاء ويقيمون عليه شرائط العزا وأن لا يبقى احد من العباد الا ويلبس من
فرقه الى قدمه السواد فخرج أهل سمرقند عند موافاته وقد انغمسوا في السواد
لملاقاته وصار الشريف والوضيع والدني والرفيع بالسواد معلما فكأنما أغشي

وجه الكون قطعا من الليل مظلما فدفنوه بمدرسته الحسينية المعروفة بانشاذه
داخل المدينه وذلك في سنة خمس وثمانمائة ولما أهلك الله تعالى جنده دفنوه كما
سيأتي ذكر ذلك عنده

﴿ذكر حلول غضب ذلك الصياد على الله داد ونفيه اياه الى أقصى البلاد﴾

ولما توجه الثقل من ماردين صحبة الله داد وفارقه تيمور متوجها الى استخلاص
بغداد وكان الله داد له أنداد واكفاء وحساد واعداء واضداد والحسد
خلق صاحبه غل قلق وحاسد الا كما جرح لا يندمل وسدا عداوة الطعن فيه
مجالا وفي مقام ثلب عرضه مقالا فانتهزوا فرصة غيبته واكلوا بلا ملح لحمه وتنقلوا
بغيبته ورشوا به الى تيمور وذكروا ما فعله في الشام من الامور وانه التمس من
ذخائرها ما لا يحصى واختلس لنفسه من نفائسها وتعلق به من أعلاقها ما لا يستقصى
وكان كما قالوا وما أهملوا اكثر مما نالوا فبددوا أمره وأوغروا عليه صدره لا سيما
وقد قص جناحه بموت سيف الدين أخيه وكان من الابهة والمهابة بحيث ان تيمور
كان يخافه ويرتجيه وله في ممالك ما وراء النهر مآثر مشهوده ونتائج فكر باقية
معهوده فلما وصل الله داد الى سمرقنده أعقبه تيمور مرسوما من عنده بان يتوجه
الى أشباره ويستعد هنالك للنهب والغاره وذلك كالنفي لله داد والقائه في أقصى
البلاد وطرحه في نحر المخالفين وثغر ذوي العناد وانتقل منها الى سمرقند أرغون
شاه ولم يزل بها الله داد الى ان انتقل تيمور الى لعنة الله فجاءت المغول تجوز الى
اشبارة الفيالق وتنهب ما تصل اليه يدها من صامت وناطق وتغتنم الفرصة لبعد
تيمور عنها وكان الله داد يحترز أشد الاحتراز منها وهو مع ذلك يهزمهم التجاريد
ويحفرلهم بالسكر الآبار والاخاديد ويقتل ويأسر ويطحن ويكسر حتى أقواها
بعد تيمور وسيأتي ذكر هذه الامور

﴿نموذج يدل على عمق ذلك البحر المحيط وما كان يصل اليه غواص فكره النشيط﴾

ثم لما كان تيمور المشوم مخيما ببلاد الروم أبرد الى الله داد مراسله فيها أمور
مجملة ومفصله أمره بامتثالها وارسال الجواب بكيفية حالها منها ان يبين له
أوضاع تلك الممالك ويوضح له كيفية الطرق بها والمسالك ويذكر كيفية مدنها

وقراها و وهادها ووزرها وقلاعها وصياصيها وأدانيها وأقاصيها ومفاوزها
وأوعارها وصحاريها وقفارها وأعلامها ومنارها ومياهها وأنهارها وقبائلها
وشعابها ومضائق طرقها ورحابها ومسالكها وفجاجها ومراحلها ومنازلها
ومناهلها وأهاليها بحيث يسلك في ذلك طريق الاطناب الممل ويتجنب مأخذ الايجاز
وخصوصا المخل ويذكر مسافة ما بين كل منزلتين وكيفية السير بين كل مرحلتين
من حيث تنتهي اليه طاقته ويصل اليه علمه ودرايته من جهة الشرق ممالك
الخطا وتلك الثغور والى حيث ينتهي اليه من جهة سمرقند ليعلم تيمور وليعلم ان مقام
البلاغة في معاني هذا الجواب هو أن يصرف فيه ما استطاع من حشو وتطويل
وأطناب وليسلك في بيانه الطريق الاوضح من الدلاله وليعدل عن الطريق
الخفي في هذه الرساله الى أن يغرق في وصف الاطلال وحدود الرسوم وتعريف
الدمن مضغة الشيح والقيصوم فامتثل الله داد ذلك المثال وصور له ذلك على أحسن
هيئة وأتقن تمثال وهو أنه استدعى بعدة أطباق من رق الاوراق وأحكمها
بالالصاق وجعلها مربعة الاشكال ووضع عليها ذلك المثال وصور جميع تلك
الاماكن وما فيها من متحرك وساكن وأوضح فيها كل الامور حسبما رسم به
تيمور شرقا وغربا بعدا وقربا يمينا وشمالا مهادا وجبالا طولا وعرضا سماء
وأرضا مرداء وشجراء غبراء وخضراء منهلا منهلا ومنزلا منزلا وذكر اسم كل
مكان ورسمه وتمييز طريقه ووسمه بحيث انه بين له فضله وعيبه وأبرز الى عالم
الشهادة غيبه حتى كأنه مشاهده ودليله ورائده وجهز ذلك اليه حسبما اقترح
عليه كل ذلك وتيمور في بلاد الروم يمور

﴿ذكر ما فعله ذلك المكار عند تجهيزه أمر الروم من الغدر بالتتار﴾

ولما صفا لتيمور شرب ممالك الروم من الكدر وقضى الكون من أفعاله العجب
وأهل الروم النحب وجيشه من الغارة الوطر وامتلأ من الغنائم وادي سيله العرم
وكان في الربيع قد أدرك وشيخ الشتاء قد هرم واندرج الى رحمة الله المجيد
السلطان السعيد الغازي الشهيد ايلدريم بايزيد وكان معه مكبلا في قفص من
حديد وانما فعل ذلك تيمور قصاصا كما فعله قيصر مع شابور وكان قد استصحبه

الى ماوراء النهر فتوفى معه فى بلاد الروم فى آق شهر وفى هذا المكان توفى صفية الدين محمد سلطان وعزم على الرحيل وحزم أحمال التحميل ثم جمع رؤس التتار وقد أشعرهم الدمار والبوار وقال قد آن أن أكافئكم على صنعكم وأجازيكم على أفعالكم ولكن قد أضر بنا المقام وملّنا الاقامة فى مضائق الاروام فهلم نخرج الى الفضاء الفسيح ونشرح صدورنا من ضيق الزمان والمكان فى الموامى الفيح ضواحى سيواس ومتنزه الناس ومثوى الاكياس فهناك نضبط أحوال هذا الاقليم الوريف ونقرر كلا منكم فيه حسبما يقتضيه رأينا الشريف فانه لابد من تفصيل جمله واعمال النظر فى كيفية تدبيره وعمله وحصر مدنه وقلاعه وضبط قراه وضياعه وحسبان قوامينه واقطاعاته والاحاطة بأفراده وجماعاته فاذا فصل لنا ما أجمل ووضح عندنا ما منه استشكل خصصنا رؤسكم وجماعتكم وتوسلنا الى معرفة أخباركم وتراجمكم وجمعنا رؤساءكم وعددنا زعماءكم وأحصينا أعداءكم واستقصينا آباءكم وأجدادكم واعتبرنا اخوانكم وأولادكم ونظرنا متعلقيكم وأحفادكم وحققنا شعار الروم ودثارهم وأورثناكم أرضهم وديارهم ثم فرضنا هذه المسألة على أعداد الرؤس وقسمنا نفائس هذه الممالك على النفوس ثم رددناكم اليها مكرمين وكفيناكم عيالكم العيلة اذ كنتم علينا معولين وعلى كل حال فانا نفعل مع كل منكم ما يجب فعله ونبقى عليكم من أعمالنا ما يخلد فى بطون الدفاتر والتواريخ نقله فكل منهم ارتاح لهذا القول وعول فى هذه المسألة على موافقة الرد ولم يعلم ما فيها من الهول فلما توافقوا على هذه الحركة بنفس ساكنة لم يقع منهم فى هذه الموافقة على كثرة عدد رؤسهم المماثلة مباينة فسار بالناس حتى بلغ سيواس

﴿فصل﴾ ولما برق ركام ركابه المتراكم فى آفاق سيواس ورعد وحان له أن يرق لطائفة التتار عاوعد جلس بساحة عامة وأقام ببابه الجند طائفة طائفة ثم دعا من التتار الوجوه والرؤس والقطور والضروس ومن تخشى معرته وترجى مبرته والمردة من شياطينهم والعتاة من أساطينهم فاستقبلهم بوجه طلق ولسان بالحلاوة ذلق وأجلسهم مكرمين فى أماكنهم وزاد فى تمكينهم وامكانهم ثم قال قد كشفت بلاد الروم ونواحيها وتبينت جميع قراها وضواحيها وقد أهلك الله

عدوكم فاستخلفكم فيها وأنا أيضا أفوض ذلك اليكم وأذهب عنكم واستخلف الله عليكم ولكن أولاد بايزيد غير تاركيكم ولا يرضون بأن يكونوا فيها مشاركيكم وأما صلحهم فقد سدت فعالكم مع أبيهم طريقه فلا مجاز لكم الى شريعته على الحقيقه ولا شك انهم يرأبون صدعهم ويندبون جمعهم ويستوعبون عليكم أهل المدر والوبر ويلبيهم بالاجابة كل من بلغه دعوتهم لانكم في زعمهم آل غدر فيلبسون لكم جلد النمر ويصلونكم الجمر بكل آمر ومؤتمر فيقرضونكم من كل جانب ويختطفونكم من الاطراف والجوانب لاسيما وبيدهم غالب الحصون والعساكر وتحت أوامرهم من بقي من طوائف الجنود والعساكر فان كنتم كما أنتم في الناس فوضى فانهم يخوضون في دمائكم خوضا فعوا واسمعوا ان كنتم لم تعقلوا ولم تسمعوا شعر

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم * ولا سراة اذا جهالهم سادوا

وأما أنا فلست منكم بدان ولا الى المداهنة منكم بدان فلا بد لعقد أمركم من نظام والصلاة جماعتكم من امام بشرائط وأركان يجب القيام بها أولا والسلام وأول شرائط ذلك الامام يرجع الى الابتداء بأفعاله الخواص والعوام ثم بعد ذلك ترتيب الجماعه وتنزيل كل واحد في صف السمع والطاعه ثم وضع الاشياء في محالها وزمام المناصب والوظائف في يد أهلها وايصال كل مستحق الى استحقاقه وجمع الرأي على أمر واحد باتفاقه فاذا اتفقت آراؤكم وائتلفت أهواؤكم وعظمت أبناؤكم وكبتت أعداؤكم وكنتم يدا واحدة على من ناوأكم وانتصرتم على من غالبكم وعاداكم وكان ذلك أحرى أن لا تمتد اليكم بمكروه يد ولا ينالكم من مخالفيكم كيد ولا كد وهذا الغاية بالنظر في أحوالكم والتفحص عن أمر خيلكم ورجالكم وضبط الأهبة والسلاح فان ذلك آلة الظفر والفلاح فليذكر كل منكم ولده وأهله وليحضر خيله ورجله وليأت بعدده وعدده وجنده وولده وليعرض ضرورته ان كانت ولا يستصعبها فقد هانت فمن كان محتاجا الى كمال شيء أكملناه ومن كان مفتقرا الى ايصال شيء أوصلناه وأضفناه الى كل ما يجب اضافته فيحصل أمنه وتذهب مخافته فاعرضوا أول شيء علينا سلاحكم حتى نكمله ونعمل صلاحكم وأحضر كل منهم أهبته وعرض عليه عدته وطرحوه

في ذلك الجمع العظيم فترا كم فكان كالطود العظيم كما فعل أول الزمان بأهل مدينة سجستان فلما ساب تلك الاسود برائثهم وأنيابهم بهذه الاساليب وقلب أولئك الكواسر الجوارح على مناقيرهم والمخاليب وأولج صارم فكره الذكر في أحشاء عقولهم وأنزل وصار عهالك سماء عزهم الرامح وقد نحره سعد الذابح أعزل أمر كل من عنده أحد من التتار أن يقبض عليه ويوثقه بقيد الاسار ثم أمر برفع تلك الاسلحة الى الزردخانه وقد أشعل قبائل التتار بجمر البوار وأصعدا الى العيوق دخانه ففت بذلك من أعضادهم وبت من أكبادهم وقصم ظهورهم وأشعل نارهم وأطفأ نورهم ثم تلافى خواطرهم بالمواعيد الكاذبه واستعطف قلوبهم بالاماني الخائبه واستصحبهم بالاقوال المموهه والافعال المشوهه ومال بهم الحال وأمر في الحال بالمسير والترحال قيل ان السلطان بايزيد قال لذلك العنيد اني قد وقعت في حبالك واعلم اني غير ناج من معاطبك وانك غير مقيم في هذا الاقليم ولي اليك ثلاث نصائح هن بخير الدارين لوائح أولاهن لا تقتل رجال الاروام فانهم رداء الاسلام وانت أولى بنصرة الدين لانك تزعم انك من المسلمين وقد وليت اليوم أمر الناس وصرت لبدن الكون بمنزلة الراس فان حصل لوفق اتفاقهم من تعدي يدك بسط وتكسير تكن فتنة في الارض وفساد كبير ثانيهن لا تترك التتار بهذه الديار فانهم مواد الفسق والفساد ولا تهمل أمرهم ولا تأمن مكرهم فخيرهم لا يعدل شرهم ولا تذر على أرض الروم منهم ديارا فاياك ان تذرهم تلاوهم من قبائلهم نارا ويجروا من دموع رعاياها ودمائهم بحارا وهم على المسلمين وبلادهم أضر من النصارى وانت حين تخذتهم عن زعمت انهم أولاد اخوتك وبنو عمك وذوو قرابتك والاولى بجماعتك وناسك ان تتبعك وبكل من اولاد أخيك ان يقول لك ثم خذني معك فاعمل أفكارك المصيبة في اخراجهم واذا أدخلتهم حبسا فلا تطمعهم في افراجهم ثالثهن لا تعد يد التخريب الى قلاع المسلمين وحصونهم ولا تجلهم عن مواطن حركتهم وسكونهم فانها معاقل الدين وملجا الغزاة والمجاهدين وهذه أمانة حملتكها ولا تقولن تركها فتقبلها منه بأحسن قبول وحمل هذه الامانات ذلك الانسان الظلوم الجهول واستكثرها على عقل ابن عثمان ووفى بها بقدر الطاقة والامكان

﴿ذكر ارتماء ذلك الغمام بصواعق بلائه على ممالك الاروام﴾

وسار فثار غبار أخذ عين الشمس منه الابهار وفار بحار التتار فكأن البحر أمده الله بسبعة أبحار فلا يدخل قرية الا أفسدها ولا ينزل على مدينة الا محاها وبددها ولا يمر على مكان الا دمره ولا ينجذب عن ربقة طاعته جذع الا كسره ولا ينقع عليه شمراخ حصن شامخ الا هصره فخلع على عثمان قرايلوك حين وصل الى أرزنجان وقرره في ولايته وزاده بعض معان ومغان ووصاه بشمس الدين الذي ولاه قلعة كماخ وأن يكون كل منهما للآخر قوة وطباخ

﴿ذكر انصباب ذلك العذاب ماء ونارا على ممالك الكرج وبلاد النصارى﴾

ثم لم يزل يلجج بذلك البحر اللجي حتى أرسى على بلاد الكرج وهم قوم يعبدون المسيح ملكهم غير فسيح ولكنه محصون بواسطة قلاع وحصون ومغاير وكهوف وجبال وجروف وقلاع وحروف وكل من ذلك أعصى في المنال من نفس كريم سيم شيم الانذال ومدينتهم تفليس وكان أخذها ذلك الابليس وطرابزون وابخاص وهي التخت بالاختصاص فتمنعت هذه الاماكن عليه ولم تسلم قيادها اليه فأقام يحاصرها وقعد يناقرها وينافرها في ذلك مغارة بابها في وسط جرف شاهق آمنة من البوائق سالمة من الطوارق وسقفها آمن من صواعق المجانيق وذيلها أرفع من أن يتشبث به علائق السالق مداخلها أخفى من ليلة القدر وعدم التوصل اليها أجلى من القمر ليلة البدر فأولع بمحاصرتها والتزم بمضاجرتها واستعمل من فكره مهندسه وجعل لا يقر من الافكار والوسوسه ثم انتج رأيه المتين وفكره الرصين أن يرسل عليها عذابا من فوقها وأن يصطاد تلك الحمامة الصاعدة في الجو بأرجلها من طوقها فأمر أن يصنعوا له توابيت على هيئة الدبابات كأنهن شياطين النساء للرجل خلابات وأوثقهن بالسلاسل المحكمه وأوسقهن بالرجال ذوي الشكيمه وأدلاهن من تلك القلال وأهواهن من شواهق الجبال فتدلين في الهواء تدلية نجوم الفضاء فلأن النفانف وأرجفن من الجبال والرجال الرواجف وصار لسان حال تلك الصقور والشواهين ينادي كل من رآه ألم تر الى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن

الا الله فحين وازروا باب تلك المغاره كبتوهم بالنبال السحاره وكفوهم بالمكاحل الطياره وهاوشوهم بأنواع الاسلحه وناوشوهم بالاوهاق والكلاليب المفلطحه فلا زالت الجوارح في الهواء صافات ويقبضن ويقبلن الى ذلك الوكر هاجمات عليه ولا يعرضن ينقرن أمرة أهله بمناقير المناقيب وينشبن فيهم مخاليب الكلاليب ويكررن الناشزة بانهم على الولوج وتستعين في مدافعتهم عن فيهامس العلوج فلم ينشب أحد من أولئك الجوارح ان أنشب في الباب كاوية الجارح ثم استقصد الفتح واستنهض الظفر واعتمد على الله من دبابته الى الوكر ظفر فاستفتنه ساعدا لمساعده واكتنفه عضد المعاضده وقبض على رسغه كف السلامه فنكصت النصارى على عقبهم أمامه ولم يزل وحده يبيدهم حتى قتل اوباشهم وصناديدهم ثم أدخل رفقته فيها وأخرجوا ما كان في مخابيها واسم هذا الرجل هراسب ستة أحرف ليس فيها شيء متحرك الا اللام مضمومة والهاء والراء مفتوحة والالف والسين والباء واجتماع ثلاث سواكن في الفارسي كثير وفي التركي أيضا موجود ولكنه عزيز غير غزير ومن جملة هذه القلاع قلعة شاهقة حروف ذاتها كحروف اسمها بمناهج ناطقه لا يعمل في فتحها الارتقاء اهل وليت لان اسمها كازعموا قل كوركيت اى تعال انظر وارجع بمعنى انه لا ينال الواقف عليها سوى النظر اليها ثلاثة أطوادها مبنية على قلل الآكام شمخت على ماحولها من الهضاب فهي على الاعلام اعلام وعريقها من الوجه الرابع وهو دقيق في ساو كه مسير ينتهي بعد أنواع المشقة الى جرف مقطوع بينه وبين باب ذلك الحصن جسر اذا ارتفع ذلك الجسر سدت دون الوصول الى الحصن الحيل وأعاذ كل من لاذ بقلته من بنيه فصح ان يقال له معاذ بن جبل فلما اطلع على حقيقة امرها وانكشف له مستور سرها أبى أن يرحل عنها الى أن يصل الغرض منها ولم يكن بالقرب منها مكان ينزل فيه ولا ان يحمل ذلك الحجر الطاغي ويحويه بل انما كان حواليها جرف وهضاب شضون جينها كأنها وجه شوهاء ناشز من زوج مجب عقاب في عقاب فطمع منها في غير مطمع ونصب سرادقه بحيث كان منها بمرآى ومسمع وصار من عساكره الاسود الحوادر يتناوبون حصارها ما بين وارد وصادر وهم يرقبون الجسر بالنهار فيأمنون مكائد القتال والحصار لانه قد

تقدم انه لم يكن حواليها مكان للقتال ولا فحص قط اذ يتمكن فيه النضال فكانوا يرمونها بالنهار على بعد بسهام الاحداق ويرضون منها بنظرة من بعيد كقانع العشاق فاذا أجنهم الليل شمروا الى جهة مخيمهم الذيل لانهم لم يمكنهم حواليها مبيت ولا مقيل فتضم النصارى الجسر ويرمون الى حاجاتهم السبيل فلما لاح له منها امارات الحرمان وبان له ان أمل ظنه من فتحها قد مان كما قلت

واعظم شئ في الوجود عندنا * نتاج مرام من عقيم زمان

صمم العزيمة على الرحيل ولكن خاف العار فطلب لهذه المسألة الدليل والتعليل

﴿ذكر سبب أخذه لهذا الحصن المنيع وبيان معالي ما جرى في ذلك من صنع بديع﴾

وكان في عسكره شابان نديدان أسدان حديدان يتشابهان في الخلق والخلق لم يكن بينهما في الرجولية والشجاعة كثير فرق يتحاربان في كل وقت في ميدان المناقب لاحراز قصب السبق فكانا كفتي ميزان وفي مضمار هما فرسي رهان فاتفق ان أحدهما صادف علجا من الكرج في الجراءة كالاسد وفي الجثة كالبرج فنازله ثم قتله وقطع رأسه والى تيمور حمله فتخم شانه وأعلى على الاقران مكانه فأثر ذلك في نديده فكانه قطع حبل وريده ثم افتكر في شئ يصنعه يضع من نديده ويرفعه وكان اسمه بير محمد ولقبه قنبر فلم يرا كبر من مراقبة ذلك الجسر ولا أشهر فاعتمد على الله سبحانه وحده واستكمل ماله من اهبة وعده ورصد نجمه في بعض الليالي واطاق مكان خالي ولا زال يترقب النجوم ويترصد عليهم طوالع الانقضاض والهجوم ويشمر تلك الليلة ويذرع ويمشي تارة على بطنه وأخرى على اربع الى أن طرح الضرة نقابه وسلخ الجو اهابه ورجع النصارى الى كسرهم وتعاونوا على رفع جسرهم ظفر بير محمد الى الجسر فقطع حباله وتابع عليهم من حنيته نباله ولم يمكنهم من رفعه ولا غير موضعه عن وضعه فتراكموا عليه بالنبال والاحجار وأرسلوا عليه من ذلك السماء المدرار وهو لا يرد عنها ويصدده ولا يلتفت الى حينه ويلتقي ما يصدره من مراسيم نبالهم واحجارهم بالقبول على راسه وعينه ولم يزل على المكافحة والمناصحة والمكافحة والمكالحة حتى تعالى النهار وعض المكون من فعله أغلة التعجب وأخذ من المكان الانبهار وكان المحاصرون لها كفوا عن القتال وتيمور قد عزم

ثم اذ كر على الترحال وكان سرادقه منصوبا بمكان عال فناداه لسان الفتح وخاطبه منادي النجح

شعر

لا تيأسن من مطلب * قطع الورى أسبابه
ان أغلقوا أبوابهم * فالله يفتح بابه

ثم رأى على باب القلعة من بعد كان ناسا يتواثبون واشباح طائفة يتكالبون ويتضاربون فقال للقبيلة أي أولي النجدة والعون اني أرى ما ترون فانعموا في النظر ثم أمعنوا وانحوا المفتكر وأتوني بحقيقة الخبر فاندفعوا يستشرفون لذلك خبرا ويستكشفون لسرائره سترا وهم ما بين عاد دون الفراعدي وجار من الاسد اجرى وكل منهم في عدوه وعداوته تأبط شرا ولما نزلوا الجبار ون على ذلك ارسالا وترى كأنهم الشياطين غواص ووثاب وعداء وطيرا حتى أدركت مقدمتهم بير محمد وهو في غمرات الموت بناره يتوقد وقد صار لسهامهم غرضا وكاد جوهر ذاته يصير عرضا فلما رآهم من بعيد عاش وحصل له الانتعاش وزال عنه الارتعاش وتلاحقت بهم الصناديد فكفت عنهم تلك الافسال الرعاديد وحين عجزوا عن رفع الجسر وولوا الاعقاب عزموا ان يدخلوا الحصن ويوصدوا الباب فاختلط بير محمد معهم ودخل الحصن ومن ايصاده منعهم فدقوه بالسيوف ورضوه بأحجار الحتوف وهو يأبى الا المدافعة ويحتد وافي مراصده المانعة لا يشعر بما ناله من رض الحجر وجراح الحديد كأنه مشالة عراه الفناء في الفناء في التوحيد الى أن غشيتهم تلك الليوث واندفقت عليهم بصواعق الغضب من سماء النجدة سيول الغيوث فتشبثت أسود المنايا بتلابيبهم وخلصوا بير محمد من مخاليبهم ثم قبضوا على النصارى وأخرجوا اماطهم فأوسعوهم سبايا وأولادهم أسارى وحملوا الى تيمور بير محمد واخبروه بما قصده في ذلك وجهد وتفقدوا ما به من جراح أدمى فاذا هي ثمانية عشر جرحا كل منها لفنى فشكر له فعله ووعده مواعيد جزله وأرسله المحل العزيز وجهزه الى تبريز وأمر بعد الوصية به الامراء من النواب والرؤساء أن يجمعوا عليه كل نطيس من الاطباء وخريت من الاساة بحيث أن يبذلوا في معالجته جهدهم ويستوعبوا في أساة مسكدهم ويستوفوا في المعالجة قسمي العلم والعمل فامتثلوا مراسيمه وعالجوه بامكنهم وأزاحوا العلل فاندملت جروحه وبرئت أحسن برءا

وكانت

كانت قروحه فلما اتصل والى تيمور وصل جعله أحد قواده ورئيس طائفة من أجناده وقدمه على كثير بعد ان كان خاف وصيره أمير مائة فقدم ألف

﴿ذكر ما جرى للكرج مع تيمور شيخ العرج﴾

وهذه القلعة والمغارة كانتا من قلاع الكرج ودارا أعلامهم والبواقي من جحين قلعت من وجوههم عيناهم تيقنوا أن قد نزل بهم عناهم وأحاط بهم عزاهم فانحلت قواهم وانخرمت عراهم وقعدت بهم الحيلة وقامت عليهم القيامة وتجهمت بهم الى جهنم الزبانية وأسلمتهم السلامة وتفاءل تيمور بحصول الفلج وانثنى عزمه الى استخلاص ممالك الكرج وانبثت شياطينه بها فأزتهم أزا وقدت ثوب حياتهم قدا وجزتهم جزا وخاطت لهم أكمام المنايا بالسلاح فارسقتهم شكا وكما ودرزا وتلا عليهم لسان الانتقام ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تازهم أزا

﴿ذكر طلب الكرج الامان واستشفاعهم الى ذلك الجاني بجارهم الشيخ ابراهيم حاكم شروان﴾

فاستدركوا تقصيرهم واستنهضوا تدبيرهم ورقعوا خرقهم قبل الاتساع ووصلوا حبل حياتهم قبل الانقطاع واستغاثوا الامان الامان واستعانوا في خلاصهم بالشيخ ابراهيم حاكم شروان وألقوا الى أيادي تدبيره الزمام ورضوا أن يكون لجامهم وان كان على غير ملتهم الامام وجعلوه خطيب ذلك الخطب واستحلوا ما ثمر لهم سعايته من يابس ورطب وكان اذ ذاك حوش المصيف لجمع الكرج قد راب وجنود الخريف والشتاء كجيش تيمور قد أظلت وسلطان الابرد قد صقل فرند المياه وجرد ورفع من الاغصان الاعلام السلطانية ونصب على تلك الجبال الصيوانات البلارية وألبس متن الغدير من نسيج نسيم الاصيل الدروع الداودية فكان ما في الكون من جوامد ونوام من جملة عساكر تيمور وحامله او خدام قلت شعر

واذا أراد الله نصرة عبده * كانت له أعداؤه أنصارا
واذا أراد خلاصه من هلكة * أجرى له من نارها الانهارا

فترى العقول تقاصرت عن كنهه * وترى له في شوكه أزهارا

فدخل الشيخ ابراهيم عليه وقبل الارض بين يديه وحياه بتحية الاكاسرة من الملوك ووقف في مقام أصغر مملوك ثم استأذن في الخطاب واستلطف في رد الجواب فاذن له فقال ان عموم شفقة مولانا الامير وحسن حنوه على المسكين والفقير وشمول عاطفته الكريمة ورحمته المنيفة حملت المملوك على عرض ما عن له على الآراء الشريفة وهو أنه بحمد الله المرام حاصل والمراد على وفق الاختيار متواصل وهيبة مولانا الامير في الشرق والغرب أغنته عن الاستعداد للضرب والحرب ثم ان العساكر المنصورة أكثر من أن تحصى وفيهم من الاسرى والمرق الحال ما فات عن الاحصا خصوصا جماعات التتار الذين ولى سعدهم الادبار وأحلوا قومهم دار البوار قد أضر بهم البرد وتردد نفس حظهم بين العكس والطرد فان استمرت الامور على هذا الدستور رق الجليل وهلك الرقيق ودق العظيم وانطحن الدقيق وهذه البلاد بل وسائر الاقاليم محال الا بأمرك أن تستقيم وان رؤساها من الفجرة والفسقة علموا ما لمولانا الامير على مملوكه من الحنو والشفقة فتراموا العلة المجاورة على المملوك ورجوا من الصدقات الشريفة ما يرجوه من الغنى الكريم المحتاج الصعلوك ومهما برز به المراسيم المطاعة تلقاه بالقبول كل من المملوك وهؤلاء الجماعة وقابلوا الاوامر الشريفة بالسمع والطاعة وان كان المقصود جمع مال فالمملوك يقوم به على كل حال وأنى للمملوك مال الا من صدقات مولانا الامير وما قصد المملوك بذلك الا رفع الكلفة من الجانبين وتيسير الامر العسير ورعاية لحق الجوار عملا بقوله صلى الله عليه وسلم مازال جبريل يوصيني بالجار والرأى الشريف أعلى وأحرى أن لا يخيب رجاء المملوك وأولى فأجابه الى سؤاله وطلب منه ما لا مر بضاسوا كان من مالهم أو من ماله فقال الشيخ ابراهيم أنا به زعيم وأبلغ ذلك الى خزانته أتم ابلاغ ثم رحل وأكمل شتويته في قراباغ وذلك في سنة ست وثمانمائة

(ذكر ثنى عنانه الى أوطانه وقصده بلاده بعد استكماله فساده)

ولما زينت ماشطة الكون عروس المكان واقام مزين الجمادات قوام الزمان

وتهيجت القوى النامية وتبرجت مخدرات الذرى السامية وشبت الجمرات ودبت الحشرات تحركت لترحيل ذلك الافق ونفث على هوام أموات الزمهرير من أحيائها كرة فاذا هي حية تسعى فدق الكوس تجاوب صداه الرعد القاصف ولمعت مرايا اللبوس فانعكس منها ايماض البرق الخاطف وعرض قبوله في الترس فاحاط بالاطواد قوس قزح وسير خيوله في اللبوس فتجلت كتائب الكثبان بشقوق الورد والريحان خائلة في ذلك البر المنتزح وسارت الجمال فمرت الجبال مر السحاب وسارت الرجال فصعد العنان من النقع الضباب وشرعت الذوابل فاذا رطب الاغصان مقاتل وهزهزت القواصل فانساب في الفضل من جهة الجداول وانتضت ألسنة الخناجر والنيازك فبرزت عذبات العذبات ونشرت أعلام الكتائب فانبثت أشاهير الازاهير على عقبات العقبات وعلى الجملة فان الربيع حاكى ببروقه بوارقه وبرعوده صواعقه وبخمائله ورواتبه زرابيه وغارقه وبركامه قتامه وبشقائقه أعلامه وبأشجاره المزهرة خيامه وبأغصانه رماحه وبعواصف أمره ونسيم رياحه وبكتائبه السود كتيبه الخضر وبأزهاره الزرق مزارقه الزهر وبسيوله الجارفة سير جحافله وباضطراب بحره قبالة تموج خمائله عند هبوب أصائله واستقر بين ذلك المرار والرند فافلا بالباب المارغ الى سمرقند فسار والسرور نديمه والحبور حريمه والاقبال مرافقه والنشاط مسامره وبين التفريط والافراط موارده ومصادره حتى قطع ولايات اذربيجان وحل ركابه بممالك خراسان وفي خدمته ملوك الاقاليم وأرباب التيجان

(ذكر نهوض ملوك الاطراف لاستقباله ووفودها عليه مهنية له بحسن مآله)

ولما تسامعت أقطار البلدان أنه قفل قاصدا الاوطان أقبلت اليه الملوك من اطرافها والمرازبة من أكنافها وسارع الى استقباله المداره والجحاجح وتبادرت ما وراء النهر وغيرها السراة والمراجيح وتطاير اليه من الاقاليم أساطينها من الولايات والثغور ملوكها وسلاطينها ومن كان مرابطا في ثغر ومواظبا على أكيد أمر أرسل نائبه أو قاصده أو حاجبه أو رائده يتباشرون بقدوم أقدامه ويهنونه بما فتح عليه من هنده وعراقه وروميه وكرجه وشامه ويقدمون التقادم والحمولات ويمدون الضيافات والاقامات ثم أردفهم السادات والعلماء والمشايخ والكبراء

ورؤساء الالوف ومائة الرؤساء فجعل يبعث لكل واحد منهم سرا ويأمره
فيخضع بالسمع والطاعة اجلالا وسرا ويعهد له فيما ولاه قواعد ومبانى فلا ترى
فيها عوجا ولا أمتا ثم جهز كلا منهم بما اقتضاه رأيه وأجازه ووصل الى جيحون وقد
أعدت له السفن والمراكب فجازه فخرج أهل المدينة للاستقبال وكل منهم منشرح
البال ملتئم الحال فدخل سمرقند أوائل سنة سبع وثمانمائة ومعه من طوائف
الامم الاثنان والسبعون فرقة وأكثرهم قدرية ومرجئة ثم أذن لمن اختاره من
العساكر فتفرقت والطوائف حيث ما وراء النهر فتمزقت

(ذكر توزيعه التتار ارسالا شرقا وغربا يمينا وشمالا)

فلما استقرت به الدار أخذ فى توزيع التتار فكانوا ذوى عدة وعدد ونجدة
وشدة فخشى سلبهم عدته كسر شوكتهم وشدتهم ولكن أتى الله عدتهم نفاق
لذلك جدتهم فشتت جمعهم وأقوى من اجتماعهم ربعهم فبذرهم فى فيافى
وبطاح ووزعهم فى قفار وضواح وبددهم فى أقطار عناء وبراح ونددهم فى أقطار
بكاء ونواح فسد بروقهم أفواه الثغور وأوصد بظهورهم أبواب النحور فجهز
طائفة الى كاشغر وهو بين حدى الخطا والهند أحد الثغور ووجه فرقة الى دويرة فى
وسط بحيرة تدعى ايسى كول وهو ثغر بين ممالك تيمور والمغول فصادفهم بعض
السعد فانقطعوا عمن أضيفوا اليه كما ينقطع عما يضاف اليه بعد فاتفقوا متخزمين
ولم يلووا وأخذوا من صوب الشمال وخرجوا على الدشت الى ايدكو ثم أضاف
سائرهم وقبائلهم وعشائرهم من كل حزب أواه الى أرغون شاه وجهزه بعزم
وحزم الى ثغور الدشت وحدود خوارزم وهذا كان جبيره وما بنى عليه أوامره
وأموره فانه كان من الشياطين النقاله وفى المكر واللعب بالناس كدلة المحتاله
كلما بغى فى قطر قلعه أو استولى فى ثغر من ثغور المخالفين على بقعه أنزل بها من
العساكر من هو فى أقصى جهات تقابلها من الحصون والدساكر ونقل اليها من
لها من الرجال ان كان فى الشمال الى اليمين وان كان فى الجنوب الى الشمال فانه
لما استولى على ممالك تبريز وما والاه استناب فيه ولده لصلبه أميرانشاه وأمده من
الجغتاى بطائفة غلاظ شداد منهم خدايداد أخو الله داد ونقل الى أطراف

الخطا وتركستان طوائف من عسكر العراقين والهند وخراسان وولى شاه ملك بن التكريتي الذى أخذه من الشام نيابة مدينة سيرام وهى من سمرقند الى جهة الشرق نحو من عشرة أيام وولى يلبغا المجنون نيابة ينكى بلاس وراء سيرام بنحو أربعة أيام وهما كورتان مختصرتان وراء سيحون من معاملات تركستان وهما كانا أقل من أن يذكرا أن يصيرا حكاما وأمرا وانما فعل ذلك لينتشر فى أطراف الممالك ان عنده من رؤساء الشام جماعة من أعيان الاعلام وان فى ممالكه من الخدم رؤساء الأمم حكام العرب والعجم وان ذلك الطرف جال وسطا وملك ما بين الشام والخطا

﴿فصل﴾ ثم أخذ يتفقد ما حدث فى غيبته من أمور بلاده ورعيته ويتفحص عن قضايا الممالك ويسلك مسالك الملوك المسالك ويدبر مصالح الاطراف والثغور والاكناف والجسور ويراعى أحوال الكبير والصغير ويتعاطى مصلحة الغنى والفقير ويضع الاشياء فى محلها وزمام الوظائف والمناصب فى يد أهلها ويبادر عما قال الشاعر

لله در أنوشروان من رجل * ما كان أعرفه بالوغد والسفل
نهاهم أن يمسوا عنده قلما * وأن يذل بنو الاحرار بالعمل

وأخذ يربى السادات ويكرم الأولياء ذوى الكرامات ويبجل العلم وأهله ويعلى الفضل ويعز محله ويقلع المفسد ويقمع المارق ويخنق الزانى ويصلب السارق حتى استقامت فى زعمه أمور السياسه وتمت على تورة جنكيزخان قواعد الرياسه

﴿ذكر ما ابتدعه من منكراته وطبع به خواتيم سيآته ووافى باستيفائه رائد وفاته﴾

ثم شرع فى تزويج حفيده اى ولد الولد أولوغ بيك ابن شاه رخ النبيه الذى هو فى يومنا هذا أعنى سنة اربعين وثمانمائه حاكم سمرقند من قبل أبيه وأمر أهل المدينة أن يشرعوا فى الزينه وأن يرفع عنهم الكلف والمظالم ويعفى عن الطرح والمغارم ويبسط لهم بساط الامان ويعامل الكبير والصغير والرفيع

والوصية منهم بالفضل والاحسان وأن لا يشهر في ممالكه سيف ولا يجري فيها ظلم ولا حيف وأن يخرجوا زينتهم الى مكان نحو ميل من ضواحي سمرقند يدعى كان كل هواؤه أذكى من المسك وماؤه أحلى من القند كأنه قطعة من روض الجنان غفل عنها خازنها رضوان قلت شعر

رعى فيه غزال الترك شيحا * فصار المسك بعض دم الغزال

روايح هوائه ألطف من نسيم السحر ورواشح مائه أعذب من ماء الحياة صفاء بلا بلا كدر وتغار يد طيوره ألذ في الاسماع من نغمات الناي على الوتر قلت

بساط زمرذ نثرت عليه * من الياقوت ألوان الفصوص

وقيل شعر

كأن مدور الازهار فيه * ورادفي محاسنه تنضد

صحاف من لجين أو عقيق * ومرجان وياقوت وعسجد

فهذى حشوها مسك فتيت * وهذى ضمنها تبر مبدد

أراد الروض يجلوها علينا * فصاغ لها أكماما من زبرجد

صباغ القوة الخيالية يتمثل خلال أصباغ النقوش من تشاهير أزاهيره ومواشط عرائس الجمال تزين عواتق الكمال من نضار يرتصاويره قلت

كأن رباه سماوات هبة * ضخم بأنواع الحلى مرصع

أفسح من أمل حريص طامع في جانب كريم نادم وأنزه الابصار والبصائر من غض شباب زاهر ساعده الدهر بوجه بسيط وأدب كامل وعمر طويل ومال وافر وهو أحد الاماكن المذكوره والمتنزهات التي هي بالنزاهة والرفاهة في الدنيا مشهوره ومبدأ السعد الذي سهاته بالنعم موفرة موفوره قلت

شقائقه خدود ناضرات * تحشت من سواد المقلتين

فسار تيمور مع أمم البحر المتلاطم فيه تضاهي بني اسرائيل في قطر من أقطار التيه ثم أمر الملوك والسلاطين وأرباب التيجان من الأساطين أن يخرجوا اليه وينجفلوا عليه وفرز لكل منهم في ذلك المرج مقاما ورتبهم ميمنة وميسرة ووراء وأماما وأمر أن يظهر ما أمكنه من تجمل وتحسين ويضرب ماله من خيام وقباب متكاملة بأنواع النقوش والتزيين ثم رتب من دونهم من الكبراء والاعيان

ورؤساء

ورؤساء الامراء والاعوان في ذلك الروض الاريض والمرج الطويل العريض
فأخرج كل منهم ما حواه وكثر نظراؤه لينظروا ما قدمت يداه وفاخروا وافتخار
منهم وباهى واستقصى في المباهات والمفاخرة وتناهى فنشروا ما طوت صحائف
أيامهم على جمعهم اياه مجلات آثامهم من طرف أطراف الأقاليم والامصار
وتحف جواهر المعادن والبحار ونفائس ذخائر موا عليها النفوس وأنفدوا الانفاس
وعرائس أنفائسة واعليها الكؤوس وعرقوا الأكياس ما أزرى على زهر تلك
الروضة الخضراء بالانجم الزواهر وأسرى منظره البهيج سرايات المسرات الى
سر السرائر فزاد حسن حديث ذلك المكان وغنا وعلا قدره بهجة على كل أرض
وسما ثم أمر بسرادقاته فجعلت مركز تلك الداره ونقطة دائرة تلك الافلاك المداره
وهي سور محيط مضروب على ماله من خيام وقباب منصوب له باب واسع يدخل
فيه من دهليز شاسع على ماله من معان ومغان وله قرنان شامخان تنكسر لهما
الرؤس وتذهل عند مشاهدتهما النفوس ولاجل هذين كان يلقب ذا القرنين
ونصبوا له داخل هذا الجناب عدة من الخيام والأخبية والقباب ومن جملتها قبة
أعلاها وأسفلها بالذهب مزركش وظاهرها وباطنها بالريش مريش وأخرى
كلها بالحرير محبوكة وبأنواع النقوش وألوان الاصباغ مبنية مشبوكة وأخرى
من فرقها الى قدمها مكللة باللآلئ الكبار التي لا يعلم قيمة احدها الا عالم الأسرار
وأخرى مرصعة بأنواع الجواهر على صفائح الذهب مدهشة للابصار والبصائر
وجعلوا ما بين ذلك سقفها من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم أبوابا وسررا
عليها يتكئون وبين ذلك الاوراق المنقشه ورواقات الاخبية المزركشه
والمساطيط والأبنية المدهشه وفيها من أنواع الخيش الجالبات لبرد العيش
والمنافع والمرافق والملاحم والمعالق وأطهر والذخائر الغريبه وأرخوا على ذلك
الستائر العجيبه ومن جملتها ستارة جوخ كان أخذها من خزانة السلطان بايزيد
قطعة واحدة عرضها نحو من عشرة أذرع بالذراع الحديد منقشة بأنواع النقوش من
صور النباتات والبنيان والعروش واشكال الهوام والطيور والوحوش وأشخاص
الشيوخ والشبان والنساء والصبيان ونقوش الكتابة وعجائب البلدان
والعروق اللامعة وغرائب الحيوان بألوان الاصباغ المبالغ في أحكامها وإجادتها

أحسن بلاغ كأن صورها تحركه نسائمه وثمارها الدانية لا قتطافها تناديك
وهذه الستارة أحد عجائب الدنيا وليس المستمع كالرائي ونصبوا أمامه سرادقاته
بمقدار شوط فرس الصيوان الذي يجتمع المباشرون فيه وأرباب الديوان وهو ستر
عالي الذرى شامخ في الهوى له نحو من أربعين أسطوانه وعواميد وأسوار شيدوا
عليها أركانه وسددوا بنيانه يتسلق الفراشون الى أعلاه كالقرده كأنهم مسترقو
السمع من الشياطين والمرده ويتعادون على سطحه حين يرفعونه بعد بطحه
❊فصل❊ وأخرج أهل المدينة ما عندهم من تجمل وزينة ونصبوه تجاه تلك
السرادقات على مد البصر وتأنق كل واحد من أهل البلد بما وصلت اليه القوى
والقدر واجتهد كل ذي حرفة بما يتعلق بحرفته وبالغ كل من أرباب الصنائع فيما
يليق بصنعته حتى أن ناسج القصب أخرج فارساً كامل الاهبه واستقصى في
اكمال هيئته حتى أظافيره وهدبه واستوفى دقائق ما يتعلق من الآلات كقوسه
وسيفه وسائر الاستعدادات كل ذلك من القصب ورفع ذلك في مكانه من غير
تعب ونصب وصنع القطانون من القطن ميدنة رفيعه محكمة بديعه ذات قدر
رشيق وصنع وثيق ومنظر أنيق ببياض جسم يعلو على الحور وكمال قوام يعلو
على القصور ونصبوها فصارت بحسنها تستوقف النظاره وبعلو قامتها ترشد في ذلك
المهمة الحاره حتى غدت علماً للسياره وعلى جوامع تلك الابنية مناره وكذلك أهل
الحرف من الصواغين والحدادين والخفافين والقواسين وسائر الطوائف
وأرباب الملاعب واللطائف ولقد كانت مرقعة جميع الافاضل ومحط رحال أهل
الفضائل فرتبت كل طائفة ما أخرجته على حدة في مكانه امام سرادقاته وصيوان
ديوانه ونصبت وراء ذلك كله الاسواق وضربت بين الناس بوقات الابواق
وزينت الفيول وجياد الخيول بأفخر لباس وأطلق عنان الرخص والتمتع بأنواع
الملاهي والملاذ للناس فسارع كل طالب الى مطلوبه واجتمع كل محب منهم مع
محبوبه من غير أن يتعدى أحد على أحد أو يستطيل أعلى من يكون على أدنى من
يكون من الجند وأهل البلد أو يجري تعدّ ما من شريف ما على وضيع ما
❊فصل❊ ولما استتبت الامور على مراد تسويل قرينته وأخذت الارض
زخرفها وازينت من جنده وأهل مدينته وتوجه الى ذلك المرج على وقار وسكينته

وخرج على قومه في زينته ثم أمر أن تجري يواقيت الصهباء على زبرجد ذلك المرج الاحوى وسقاها الكل ناظر وهام فسبح في تيارها كل غائص وعام فدارت في سماء تلك الارض للسرور أفلاك وهبطت في أفقها روح اللذات من أفلاك الملاحة أملاك فأصبحت تلك الأسود الحواذر وهي ظباء جوادر وتنزلوا من جحيم المنازلة الى نعيم المغازله وتبدلت تلك الغلاظة والكثافة باللطافة والظرافه وأصبحوا بعد سورهم يتحاورون وبعد ما قاتلوا يتحاورون شعر

محا الظلم ما بين الورى سيف عدلنا * فلم يتشبث مستغيث بمعتدى
سوى قلب صب صاده طرف أحور * وخصر نحيل آده ردف أغيد

فما صار يصول سيف الا ان كان صارم لحظ وهو مع ذلك مكسور ولا يجول ذابل الا ان كان رمح قد وهو مع ذلك بالعشاق مهصور وصرت لا ترى الا عودا يحرك أو يحرق أو قدحا يروق أو بريق أو شاديا يغرد أو شاربا يعربد أو جارية تسقي أو ساقية تجري أو خد ورد يعشق أو ورد خد ينشق أو كاس ثغر يرشف أو غصن خصر للعناق يقصف أو فرص عيش تغتنم أو لسان حال ينشد ويترنم شعر

في ربيع الوصل لما * أن وفى الظبي الشرود
وهبت نشرى الصبا * للروض تنبي بالورود
خرت الأنهار والأ * غصان مالت للسجود
واجتمعنا في رياض * حسنها يسبي الوجود
والسحاب الصب فيها * بالمنى أمسى يجود
نثر الدر علينا * منه بلور الغمام
فوق صحن سندسي * فيه للياقوت جام
وثغور من عقيق * زانها حسن ابتسام
وعيون من لجين * ناظرات لا تنام
وغصون الدوح حفتنا بأنواع العقود
طيرها غنى عليها * ادعى الاعوادا وطار
وشذاها ضاع فيها الـ * ـمسك لما منه فار
والصبا أمسى عليلا * في رباها حين سار

جنـــة الفردوس فيها * وجـه بدري حين نار
أصبحت جنات عدن * تشتهي فيها الخلود
يالها مـــن عشرة * جاءت بأنواع الهنا
ليس فيها غير إثم * وارتشاف واعتنا
وكؤوس دائرات * وغناء وغـــنى
لو رآها زاهـــد من * زهده ما كان انثـنى
لم يسعه عندها من * زهـــده الا التجرد
قم نديمي هاتـــني * فالدهر لا يسوى الحزن
كأس عيش ينمحي * في مزجها صرف الزمن
الطـلا والماء والخضـ*ـرة والوجـه الحسن
لاتطع في ذاعـذ ولا * انه خب حكمن
في حشـــاه غليان * لا تقـــل خل ودود

فحصل الامن والدعه والفراغة والسعه ورخص الاسعار وقضاء الاوطار واعتدال الزمان وعدل السلطان وصحة الابدان وصفاء الوقت وذهاب المقت وحصول المطلوب ووصال المحبوب مصراع وعند التناهي بقصر المتطاول واتفق له في ذلك العرس من الابهة والعظموت والسطوة والجبروت شيء لم أظنه حصل لاحد من الخلفاء المتقدمين ولا يقع فيما بعد لاحد من المتأخرين وان كان المأمون فرش تحته ليلة عرسه حصيرا من الذهب ونثر على رأسها اللؤلؤ المنتخب ولم يلتفت اليه ولم يلتقط من ورائه ولا من بين يديه حتى قال قاتل الله أبانواس كأنه كان حاضرا حيث قال

كأن صغرى وكبرى من فواقعها * حصباء در على أرض من الذهب

لكن تيمور كان في عرسه ذلك بنات الملوك وصاحب ونبوها عبيدا كل منهم في مقام العبودية واقف واجتمع عنده قصاد الملك الناصر فرج من مصر والشام ومعهم الحمولات والتقادم ومن جملته الزرافة والنعام ورسل الخطا والهند والعراق والدشت والسند وبريدي الفرنج ومن سواهم وقصاد كل الاقاليم أقصاهم وأدناهم ومن كل مخالف وموافق ومعاد ومصادق فأخرا الجميع حتى شاهدوا

عظمته وما ينواحبرونه فى ذلك العرس وأبهته فباشر ذلك على تلك الحال لايخاف النكال ولايخشى الوبال قلت شعر

قرير العين لايرجو الها * خلى البال لايخشى معادا

يتناول المحرمات ويبيحها ويروج عنده مستهجنها وقبيحها منهما أمر به جماعته فى ذلك امتثلوه يتباهون فى كل قبيح عملوه ولايتناهون عن منكر فعلوه قلت شعر

تبدل من سفك وهتك حرمة * أحل بها ماحرمته الشرائع

وجعل يدعو الملوك والامراء وسلاطين الآفاق والكبراء وقواد التوامين وزعماء الجيوش والمقدمين ويسقيهم الكاسات بيده وجعل كلا منهم محل أخيه وولده ويخلع عليهم الخلع السنيه ويجزل لهم المواهب والعطيه ويجلس كلا منهم بجنبه ذات اليمين وأما ذات الشمال فانها للنساء والخواتين فان النساء لايستترن من الرجال خصوصا فى مجالس الاجتماع والاحتفال واستمر فى ذلك بين جنك وقانون وعود وأرغون وناى مرقص مطرب وشاد عجب مغرب وساق فاتن ودهر مواتٍ وهوى متبع وأمر مستمع وشمس تدور على نجوم وبدور وكأس ملاو كيس يفرغ وأمر يمضى وأمل يبلغ حتى استخفه الطرب والبطر واستفزه النشاط والاشر فضبع الى من استعضده ومد للنهوض اليه يده فتعاضدوا لمعاونته وتعاونوا على معاضدته وحين استوى قائما تهدى بينهم بشيبته وهرمته راقصا قلت

ومن عجب الدنيا أشل مصفق * وأبكم قوال وأعرج راقص

فنثر عليه الملوك والكبراء ونساء السلاطين والامراء الجواهر واللآلى والفضة والذهب وكل نفيس غالى ولم يزل على ذلك حتى استوفى من اللهو حصته ودخل العروس منصته وانقضت تلك الامنيه وتفرقت هاتيك الجمعيه شعر

ما كان ذاك العيش الاسكرة * لاانها رحلت وحل خمارها

((فصـــل)) ولما بلغ من دنياه المرام وانتهى ليله الى الكمال والتمام وعرج فيما يرومه الى معارج وصعد فى سلم ارتقائه الى أعلى الدرج وقارب بدر عمره الافول وشمس حياته ان تزول رشقه الزمان بسهم أصماه فيما أمهله ونادى بلسان فصيح فرغ العروس يا بيت الاحماء لو سمع لكان يصيح قلت شعر

وما الدهر الا سلم فبقدر ما * يكون صعود المرء فيه هبوطه
وهيهات ما فيه نزول وانما * شروط الذي يرقى اليه سقوطه
فمن صار أعلى كان أوفى تهشما * وفاء بما قامت عليه شروطه

فأفاق من سكره وعاد الى عسكره وارعوى عما اعتدى وعلم أنه أضل قومه وما هدى ورأى أنه قد فرط في أمر الرياسه وسقط من جانب الايالة والسياسه وانه سام الملك خسفا وساس السلطنة وجد عليه ما ثقة طريق في التقصير وآفا فأخذ يتدارك ما كان فرط ويطلب التفصي عما فيه تورط

﴿ذكر بعض حوادث متفرقة لمتعلقات ذلك الباب﴾

وكان تيمور قد رأى في الهند جامعا للبصرة من آثار البصر رائقا عرشه في حسن بنائه ونقشه من الرخام الابيض كبساط فرشه فأعجبه شكله وأراد أن يبنى له في سمرقند مثله فقرر لذلك مكانا فرز ورسم أن يبنى له جامع على ذلك الطرز وأن يقطع له أحجار من الرخام الصلد وفوض أمره الى رجل يقال له محمد جلد أحد أعوانه ومباشري ديوانه فاجتهد في بنائه وتشييد اركانه واستقصى جهده في تحسينه من تأسيسه وتركيبه وترتيبه وتزيينه وأعلى له أربع مآذن وباهى فيه أئمة البنائين والاستاذين وظن أن لو كان على ذلك أحد غيره لما قدر أن يصنع صنعه ويدير سيره وان تيمور سيشكر له صنيعه ويترفع عنده بذلك منزلة رفيعه فلما آب من سفرته وتفقد ما حدث في غيبته توجه الى الجامع لينظر اليه فبمجرد ما وقع نظره عليه أمر بمحمد جلد فالقوه على وجهه وربطوا رجليه ولا زالوا يجرونه وعلى وجهه يسحبونه حتى بضعوه على تلك الحال واستولى على ماله من اهل وولد ومال وأسباب ذلك متعددة ومعظمها ان الملكة الكبرى امرأة تيمور العظمى أمرت ببناء مدرسه واتفق المعمارية وأهل الهندسه ان تكون في مواضع مقابله لبناء هذا الجامع فشيدوا أركانها وشددوا بنيانها وعلوا على الجامع طباقها وسيطانها فكانت أرسخ منه تمكينا وأشمخ منه عرنينا وتيمور كان شرى الطبع أسدى الوضع ما تكبر عليه رأس الا شدخه ولا تجبر عليه طود الا فضخه وكذلك كلما أضيف اليه أو عول في النسبة عليه فلما رأى قامة تلك المدرسة طالت وعلى قد

بجامعه الكبير ترفعت واستطالت نغل صدره غيظا واشتعل وفعل مع معماره ذلك ما فعل فلم يصادفه فيما أمل سعد وهذه الحكاية متقدمة لما ذكر وبعد نكتة كان هذا الجامع كصاحبه أحاطت أوزار الاحجار بجوانبه وتثاقلت على غواربه ومناكبه ودقت عنق طاقته عن حملها ورقت وتلا لسان سقفه اذا السماء انشقت وما أمكن تيمور الاشتغال بهدمه ثم احكامه ونقض بنائه واستيفاء ابرامه فطوى ثوب عمارته على غره واستبقى خشب أخشبه على وهنه وكسره لكن أمر خاصته وذويه أن يجتمعوا ويجمعوا فيه واستمر ذلك في حياته وبعد وفاته فكان اذا اجتمع الناس فيه للصلاة يرتقبون من تلك الحجارة ما يهبط من خشية الله وصارت تلك الجبال في تلك الحالة يتلو واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وفي بعض الاحيان وقد غص بالناس ذلك المكان وأخذ كل منهم حذره سقط من حجارته من أعلاه شذره ففر كل من كان جاثما وانفضوا الى الابواب وتركوا الامام قائما وكان من جملتهم الله داد أحد الاكفاء والانداد فلما اطلعوا على حقيقة الخبر تراجعوا وزال عنهم الحذر فلما قضوا الفرض وانتشروا في الارض قال لي الله داد وكان من الدهاة ذوي الكياد والاذكياء النقاد لعل حوالي كعبة المخازي مائة شوط وأربعة أطواف ينبغي أن يلقب هذا الجامع بمسجد الحرام والصلاة فيه بصلاة الخوف وقال لي الله داد وقد فهم معنى هذا الانشاد وينبغي أن ينشد في شأن هذا المعبد ويكون رقم طرازه ونقش صدره ومجازه قول الشاعر

بنيت مسجدا من جباية * وأنت بحمد الله غير موفق
كمطعمة الايتام من كد فرجها * لك الويل لا تزني ولا تتصدقي

﴿فصل﴾ ولما كان تيمور ببلاد الروم يصول كان استخلاص ممالك الشرق في فكره يجول وقد ذكر أنه أرسل الى الله داد يستوعبه أوضاع تلك البلاد ولما انكشفت له أحوالها وتبينت له قراها ومضافاتها وأعمالها حتى شاهدتها عين بصيرته واستقرت كيفيتها في سريرته جهز الى تلك النواحي رؤوس هاتيك الضواحي ومن جملتهم بيردي بيك وتنكري بيردي وسعادات والياس خواجه ودولة تيمور مع زيادات وأضاف اليهم طوائف من الاجناد ورسم أن يتوجهوا كلهم الى الله داد وأن يعززا الله داد أمره ويتوجهوا فيفتحوا قلعة تدعى باش خمره

وهى من أشباره نحو من عشرة أيام ومن متعلقات المغل الطغام وكانت أمورها
اضطربت وأسكونها متنازعة بين ملكين حربت فتوجهوا الى تلك الداره
بالعساكر الجراره واشتغلوا على غير عادتهم بالعماره وكان توجه هذه الفئه فى
أواخر سنة ست وأوائل سبع وثمانمائه وقصد بذلك أن تكون لهم معقلا وعند
توجههم الى الخطا وإيابهم ملجأ وموئلا فلما أحكموا أساسها وصنفوا أنواع
بيوتها وأجناسها ووضعوا من أحجار الاساسات أقدامها ورفعوا على أعلام
الاسوار أعلامها أرسل اليهم مرسوما أنهم يرجئون أمرها ويتناسون ذكرها
ويأمرهم فيه بالرجوع والاشتغال بتعليق البلاد بالزروع بحيث أن فقهاء
المدارس والديار من أهل القرى والامصار والمشتغلين بفقه المزارعة والمساقاة من
فلاحى الانجاد والاغوار وأهل الرزداقات والاكاره من حدود سمرقند الى
أشباره يتركون مسائل المعاملة والمبايعه ويكررون البحث قولا وعملا فى درس
المساقاة والمزارعه ويؤذن فى جماعتهم أن يقيم كل منهم فى الزرع صلاته وان
اضطر أحدهم أن يترك صلاته فالحذر أن يترك فلاحته ورام بذلك أن يكون لهم فى
سفرهم عتادا وان نقص لهم فى الدرب قضيم وخضيم زادا فتركوا العماره وقصد كل
من الامراء دياره واشتغلوا باستخراج البقر والبذار واجتهدوا فى احياء جميع
الموات كما رسم وأشار فما فرغوا من ذلك الا وقد طوى الصيف بساطه ونشر رائد
الخريف على العالم أعلامه وأغباطه

﴿ذكر عزمه كما كان على الخطا وتجيئه سكرة الموت بالحق وكشف عنه
الغطا ثم انتقاله من سفره الى سقره﴾

فلما أفاق أخذ فيما كان عليه من التوجه الى الآفاق وقصد الحواشى والاطراف
واستخلاص الممالك والاكناف وصرف عنان الذهاب نحو الخطا على عادته وكان
ذلك عين الصواب فأرسل الى أمم عساكره أن يستوفزوا ويأخذوا أهبة أربع
سنين أو أكثر ويتجهزوا فلبت كل أمة دعوة رسولها وشنفت بأقراط مراسيمه
آذان قبولها وحمل كل أسد جوزاء عتاده وامتطى جدى بغيه وعقد كل ثور
سنبلة زاده ودلو سقيه ودب كل عقرب منهم دبيب السرطان وانسابوا انسياب

الحوت

الموت فى بحار العدوان مجازفين مظالم العباد بلا كيل ولا ميزان فأبرد هلال القوس سهم برده بمرسومه الى كل صماخ يخبر أن جند الشتاء على عالم الكون والفساد أناخ فليستعد له الأكفاء وليحذره العراة والحفاة ولا يكفه وافى كفه بكفالته فما كل كاف له كفوا لانه فى هذه المرة آية من آيات الله فلا تتخذوا آيات الله هزوا وان قصده بقدومه تبريد الانفاس وتشبيط الانوف والآذان واسقاط الاكارع وقلع الراس وأن فصل الخريف رائد جنوده وقائد بنوده وعنوان طلعته ومرآة عين غلمته وعنوان مكاتبته ومقدمة كتيبته ثم جر بعواصف رياحه البارده وخيم على العالم بخيام غيومه الصادرة والوارده فارتعدت الفرائص من زئيره ولاذ كل من الحشرات بقعر حجره خوفا من زمهريره وخمدت النيران وجمدت الغدران وارتجفت الاوراق ساقطة من الاغصان وخرت على وجوهها الانهار جارية من الانجاد الى الاغوار وتخيست الاسود فى أخياسها وتكنست الظباء فى كناسها وتعوذ الكون من آفته واصفر وجه المكان من مخافته واغبرت خدود الرياض وذبلت قدود الغياض وراح ما كان بها من النضرة والارتياح وأصبح نبات الارض هشيما تذروه الرياح فاستشعر تيمور لفحات هذه النسمات واستبرد نفثات هذه النفحات وأمر باعداد لبوس القباب واستعداد بركستوانات الجباب واتخذ لصفاح الجليد وسهام البرد من المبطنات الدرق ومن الفراء الزرد ثم ضاعف لملاقاة الشتاء مضاعفات اللباس وأفرغها على قامة عزمه الثاقب وأمدها من كافات كفايته بأتراس ولم يلتفت الى كلام وملام واستكفى من الشتاء ما ليس وأعده من كل كاف ولام وقال لعسكره لا تكترثوا بأمر الشتاء فانما هو برد وسلام وحين اجتمعت عساكره والتأمت أموره وأوامره امر أن يصنع له خمسمائة عجلة وتضبب بالحديد ليحمل عليها أثقاله فبادر الشتاء خروجه بالدخول وأورد بانقطاع حوايه عمره من ديوان الفناء الوصول فبرز فى شهر رجب وقد أصبح البرد عجبا وأى عجب وسار لا يرق لمرق ولا يرثى لجسد من البرد محترق فوصل فى سياحته الى سيحون وقد تجمد وبنى عليه رائق النسيم الصرح الممرد قلت قديما شعر

على البحر قد بانت جسرا ممددا * بناه اله العرش صرحا ممردا
بكيت مقلات الدمع فى جنباته * رقيق رحيق فى زجاج تجمدا

فغيره ومن مضى على ذلك واستمر وتمادى على لجاجه وأصر فدمر الشتاء عليهم من
الجوانب بكل اعصار فيه نار وحطم جيشه بكل نكباء صرصر وضرب ثياب عسكره
بصره طول فيها وما قصر وهو بذلك الجمع الكثير يسير لا يحن لأسير ولا يجبر وهن
كسير يسابق البرد ببرده ويجاري الجرد بجرده ومرده فقال فيهم الشتاء بجراحف
عواصفه وبث فيهم حواصب قواصفه وأقام عليهم نافخات صراصره وحكم فيهم
زعازع صنابره ونزل بناديه وطفق يناديه مهلا يا مشوم ورويدا أيها الظلوم
الغشوم فإلى متى تحرق القلوب بنارك وتلهب الاكباد بأوار حرارك فإن كنت
أحد نفسي جهنم فإني ثاني النفسين ونحن شيخان اقترنا في استئصال البلاد
والعباد فنحس بقران النحسين وإن كنت بردت النفوس وبردت الانفاس فنفحات
زمهريري منك أبرد أو كان في جرائدك من جرد المسلمين بالعذاب فأصمهم وأصمهم
ففي أيامي بعون الله ما هو أصم وأجرد فوالله لا حابيتك فخذ ما آتيتك ووالله
لا يحميك يا شيخ من برد ريب المنون لواعج سجمرة ولا وهج لهيب في كانون ثم
كال عليهم من حواصل الثلوج ما يقطع الحديد ويفك الزرد وأنزل عليه وعلى
عساكره من سماء الزمهرير من جبال فيها من برد وأرسل عقيبها زوابع سوافيه
فشنها إلى آذانهم وآماقهم ودسها إلى خياشيمهم فاستقبلت بها نزع أرواحهم إلى
تراقيهم وجعلت تلك الريح العقيم ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم
أصبحت مشارق الارض ومغاربها من الثلوج المنقضة كأنها عرصات القيامة أو
بحر ساقه الله من فضة فكانت اذا ارتفعت الصفعاء وأم الصقيع ترا آي شيء عجيب
سماء من فيروزج وأرض من بلور ملأ ما بينهما شذور الذهب فإذا هبت فيما بين ذلك
والعياذ بالله نسمة ريح على نسمة ذي روح أخمدت نفسه وجمدته وفرسه وكذلك
الجمل والجمال حتى أتت على كل مرة في الحال وانتهى الشأن الى أن طامت النار
وردا وصارت لواردها سلاما وبردا وأما الشمس فإنها ارتجفت وجمدت عينها
من البرد ونشفت وصارت كما قيل

يوما تودّ الشمس من برده * لو جرت النار الى قرصها

وكان الرجل اذا تنفس جمدت أنفاسه على سباله ولحيته فيصير كأنه قرعون
وقد رصع لحيته بجليته وإن لفظ من فيه نخامة عاقده لا تصل الى الارض مع ما فيها

من الحرارة الاوهى بسدفة جامده فانكشف ستر الحياة عنهم وأنشد لسان حال كل منهم شعر

فيارب ان البرد أصبح كالحا * وأنت بحالى عالم لا تعلم
فان كنت يوما مدخلى فى جهنم * ففى مثل هذا اليوم طابت جهنم

فهلك من عسكره الجم الغفير وأتى الشتاء على كثير من كبيرهم وصغير وشاط منهم أنوف وآذان وسقط وانحل عقد نظامهم وانفرط ولازال الشتاء يهب ويصب عليهم رياحا وبحارا حتى أغرقهم فى بحارهم ما عجزون حبارى ونودى عليهم مما خطيئاتهم اغرقوا فادخلوا نارا فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا وهو مع ذلك لا يلتفت الى من مات ولا يتأسف على مافات

﴿ذكر مرسوم أرسله الى الله داد بت منه الاكباد ووهت القلوب والاعضاد وزاد ما خامره فيه من هموم وأنكاد﴾

كان تيمور حين تحرك من سمرقند ارسل الى الله داد بالشباره مرسوما أذهب فيه قراره ونفر طائر نومه عن وكر أجفانه وأطاره وفهم من فحواه بالاشاره أنه طالب دماره ومتهم أولاده ومخرب دياره فضاقت عليه فيه المضائق وسدت فى وجهه الطرق والطرائق واقترح عليه فيه بأمور يسهل عنده قطع الجبال ونقل الصخور ويعذب عنده أدناها شرب البحور من أقلها أن يهيئ له بمفرده اقامة اليوم قدومه دون غده خضيما بأكاله وقضيما لطعمة خيله ومن عرض ذلك مائة ألف حمل طحينا فاخصه وهو مخصوص به لليلة واحدة خاصه وانه مع عساكره الجراره لا يبيت سوى ليلة واحدة باشاره الى غير ذلك فلما اطلع الله داد على هذا الكتاب وفهم ما تضمنه فحوى هذا الخطاب علم أنه قد حل به العذاب فسلب وعيه وبذل سعيه وأخذ فى اعداد الطحين واجتهد فى ادارة الطواحين وكانت الطواحين أوقف من حال أديب فى هذا الزمن العجيب ومجارى مياهها أيبس من كف شحيح كان زمن القحط يذريه الدقيق فى الريح ودماء الانهار فى مجارى عروق الجبال ناضبه ودموع العيون فى آماق الغروب غاربه فبذل ما كان أعده لكل نائبة وشده وأهان نفائس الاموال واستعان على اجراء المياه بالمال

واستغاث بأولي النجدة من الرجال واستمد المدد من كل مقتدر واستنهض آراء المتفقين من الأصحاب واستدفع بهم ما نزل به من مخالب البليات وناب وقرع لفتح ما ارتج عليه مما لا طاقة له به كل باب فاستجابوا دعاءه وأجابوا صداه ونداءه وتأهبوا لمضيه واستطبوا لمرضه وجمعوا من العملة والفعلة الأسود والسراحين فعملوا في سوق الأنهار من الأعمال ما يدير الطواحين وجعلوا يعانون البرد ويقطعون في طريق الماء الجمد فكانوا كالضارب في حديد بارد والمكابد بتزويق وعظه تليين قلب الجاحد حتى سهلت حزونه ورق لمكابدتهم فدمعت عيونه وصاروا لا يقطعون من الجليد مقدار ذراع بالحديد الا وتهب نسمة يابسة على تلك الوجوه العابسة فاذا هب بارد النسيم قابله الماء بوجه بسيم فيبرد قلبه عن نارهم ويبرد اليه من أوارهم فيجمد ما فوق ذلك فتضيق عليهم المسالك فيرجعون القهقرى ويمشون كالحبالى الى ورا والله داد مع ذلك يبذل الأموال وينادي مستغيثا يا للماء يا للرجال قلت

فكان كل منهم كالحمار * يخرج ما أمكنه بالمدار
يوقفه الماء لا جراته * وكلما أوقفه البرد دار

الى أن وقع الاتفاق بين الرفاق أن هذه مشقة تكليف ما لا يطاق وحين تبين له أمرهم وتعين عنده عذرهم قارنه الحظ الحالك وتيقن أنه لا محالة هالك وأنه قد وقع في البلاء العريض الطويل وأن مخدومه ما طلب منه في ذلك العجز الدقيق الا لأمر جليل وكان بلغه ما رشاه به أضداده ونقل الى تيمور عنه أعداؤه وحساده وعلم أن خاطره تغير عليه وفعله مع محمد سلطان مشيد جاهه وقد نقل اليه وكيف قتله ثم قتله ونهب أمواله وأسر أولاده وأهله وكان متوقعا من تيمور أضعاف هذه الشرور لا يقر له قرار ولا يسكن له ليل ولا نهار وقد غسل من الحياة يده وودع حياته وأهله وماله وولده وقد قرب شهر الصيام وصار بينه وبين تيمور نحو من عشرة أيام وقد انقطعت الدروب وضعف الطالب والمطلوب مفرد

اذا تضايق أمر فانتظر فرجا * فأضيق الأمر أدناه الى الفرج

❊ ذكر سبب انكسار ذلك الجبار وانتقاله الى دار البوار واستقراره في الدرك الأسفل من النار ❊

وجعل

وجعل تيمور يواصل التسيار حتى وصل كورة تاهي أنذار ولما كان بظاهره من البرد آمنا أراد أن يصنع له ما يرد الابردة عنه باطنا فأمر أن يستقطر له من عرق الخمر المعمول فيها الادوية الحاره والافاويه والبهارات النافعة غير الضاره وأبى الله أن تخرج تلك الروح النجسه الا على صفات ما اخترعه من الظلم وأسسه فجعل يتناول من ذلك العرق ويتفوق أفاويقه من غير فرق لا يسأل أخبار عسكره وأنباءهم ولا يعبأ بهم ولا يسمع دعاءهم حتى سقته يد المنية كاسا وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم فانه لم يزل للقضاء معاندا وللزمان مجاهدا ولنعم الله تعالى جاحدا ولا شك أنه جاء ناقصا وتحمل مظالم فراح زائدا فأثر ذلك العرق في أمعائه وكبده فتزعزع بنيان جسمه وتزعزعت أركان جسده فطلب الأطباء وعرض عليهم هذا الداء فعالجوه في ذلك البرد بأن وضعوا على بطنه وجبينه الجمد فانقطع ثلاث ليال وحكم أجال الانتقال الى دار الخزي والنكال وتفتت كبده ولم ينفعه ماله وولده وصار يتقيأ دما ويأكل يديه حسرة وندما مفرد

وإذا المنية أنشبت أظفارها * ألفيت كل تميمة لا تنفع

وجرعه ساقي المنية أمر كاس وآمن حينئذ بما كان جاحده فلم ينفعه ايمانه لما رأى الباس فاستغاث فلم يوجد له مغيث ونودي عليه أخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث أخرجي ذميمة ظالمة أثيمة وأبشري بحميم وغساق ومجاورة الفساق فلو تراه وهو يغط غطيط البكر المخنوق يحمر لونه ويزبد شدقاه كالبعير المشنوق ولو ترى ملائكة العذاب وقد اظهروا استبشارهم وأخذوا على الظالمين ليخربوا ديارهم ويطفئوا نارهم ويهدموا منارهم ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم ولو ترى نساءه وحاشيته وهم حواليه يجأرون وأعوانه وجنده وقد ضل عنهم ما كانوا يفترون ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون ثم انهم أحضروا من جهنم المسوح وسلوا سل السفود من الصوف المبلول تلك الروح فانتقل الى لعنة الله وعقابه واستقر في أليم زجره وعذابه وذلك في ليلة الاربعاء سابع عشر شعبان ذي الأنوار سنة سبع وثمانمائة بنواحي انذار ورفع الله تعالى برحمته

من العباد العذاب المهين فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين

(قلت شعر)

الدهر دولاب يدور * فيه السرور مع الشرور
بينا الفتى فوق السما * واذا به تحت الصخور
كم من شموس في سما * ملك العلاء لها بدور
لما استوت في عزها * زالت وأكسفها الفتور
وملوك دنيا أضرمت * من نار عدواها البحور
ملكوا البلاد وأهلها * ماضي الأوامر والأمور
أغراهم الدهر الذي * توغّر بالله الغرور
فضحك الزمان بثغره * لهم وقد ملكوا الثغور
فغدوا ذئابا في الأذى * وغدوا أسودا في الشرور
فنفى لهم فتراقصوا * مثل الشخوص بلا شعور
وحكوا على باباتهم * طيف الخيال اذا يدور
وتوهموا أن الزمان مطاوع غير النفور
أو أن ما نالوه من * دنيا يدور ولا يجور
فتنافسوا وتحاربوا * وتكالبوا شبه النمور
وتلاكزوا وتلاحزوا * وتناجزوا الضرب الهصور
وتفاخروا وتبارزوا * وتناقروا نقر النسور
هذا وان يتصالحوا * يتصالحوا مينا وزور
فتهافتوا في نارها * متصورين النار نور
بيناهم في عزهم * والدهر مكار غيور
انقض فيهم صرفه * كالصقر في دقل الطيور
أمسوا وكل منهم * كلحم باقي للصقور
لا ملك رد الردى * عنهم ولا ملك ودور
كلا ولا جيش ولا * ولد ولا عدد نصور
ثم انمحت آثارهم * محو المياه نقش السطور

لم

لم يبق منهم دهرهم * شيئا سوى ذكر يدور
ناهيك منهم فتنة * كالابحر الظلما تمور
الا خروج الدجال من * قصم الجماجم والظهور
داخ البلاد ودارها * ونوائب الدنيا تدور
أملى له الله الحليم * فزاد عدوا في فجور
وأمده مستدرجا * اياه في شيء يسور
اسيراه في امضائه * حكما أيعدل أم يجور
فاجتاح كل الخلق من * عرب ومن عجم القطور
ومحا الهدى وغدى الردى * بحسامه الباغي يدور
أفنى الملوك وكل ذي * شرف وذي علم وقور
وسعى على اطفاء نو * ر الله والدين الطهور
بفروع جنكزخان ذا * ك الظالم النحس الكفور
فأباح اهراق الدما * من كل صبار شكور
وأحل سبي المحصنات المؤمنات من الخدور
ورمى على النار الصغار كأنهم فيها بخور
وأضاف في هذا الى * فعل الزنا شرب الخمور
طورا يرى نكث العهو * د وتارة نقض النذور
وعدا على السادات من * أهل الصيانة والوقور
من كل ذئب صائل * منهم ومن كلب عقور
فتكوا وقد بتكوا القلو * ب وبعد ما هتكوا الستور
وشوا وجوها طالما * سجدت لدى الرب الغفور
وكووا جنوبا قد جفت * طيب المضاجع والظهور
واستخلصوا الاموال من * أيدي البرايا بالفجور
وسقوهم كاس الهموم وجرعوا كاس الحرور
واستأسروا آل النبي * المصطفى الطهر الطهور
باعوهم من مشركي الا تراك في أقصى الكفور

وكذاك واحد أمة * من كل مقلات نذور
وجروا على هذي الجرا * ثم واستقر لهم مرور
مابين ايران وتو * ران البلاد لهم عبور
وامتدّ ذاك من الخطا * أخذا الى أقصى القطور
لما انتهى افساده * وتكاملت تلك الشرور
هجم القضاء لأخذه * ولكل تكميل قصور
دفعته أيدي الموت من * تلك القصور الى القبور
وتبدّلت منه الكر * امة بالمذلة والفتور
ومضى الى دار النكا * ل بما تحمل من وقور
وتفرقت تلك الجمو * ع وهدّ ما شاد الدثور
أبقت عليه فعاله * لعنا على مر العصور
وتخلدت آثار ما * آذى على كر الدهور
فانظر أخي ثم افتكر * في ذا المساء وذا البكور
لافرق عند الموت بين * شكور فضل أو كفور
أين الذين وجوههم * كانت تلألأ كالزهور
أهل السعادة والهدى * وذوو السيادة والوقور
المطلعو بدر السما * والمخجلو فيض البحور
كانوا عظاما في الصدور * وهم صدور في البدور
طحن الردى تلك العظا م وفت هاتيك الصدور
وسفتهم ريح الفنا * سفي الرمال يد الدبور
أين البنون ومن غدا * للقلب أقمارا ونور
كانوا اذا رفع الحجا * ب وزحزحت عنهم ستور
فاق الدنا فاشرقت * كالشمس من سجف الخدور
من كل ظبي أحور * أو ظبية تزري بحور
نشر الجمال عليهم * ثوب الدلال على حبور
وفدتهم مهج الورى * من شر أحداث الدهور

كانوا اذا سكنوا مكا * نا حركوه من السرور
كانوا على وجه الدنا * حدقا وللاحداق نور
وحدائقا لرياضها * وعلى حدائقها زهور
بيناهم في سكرهم * قد مازج الذل الغرور
والعمر غض والزما * ن مسلم لهم الأمور
واذا بساقي الموت فا * جاهم بكاسات الثبور
فسقى رياض حياتهم * قحطا أباد الكل بور
تركوا فسيح قصورهم * رغما الى ضيق القبور
وسقوا كؤس فراقهم * صبرا لكل ثم غيور
من شق حزنا جيبه * ولفقدهم دق الصدور
لو كان ينفعه الرشى * او كان تجديه النذور
اهداهم ووقارهم * ورماهم ريب الدهور
سكنوا الثرى فتغيرت * تلك المحاسن والشعور
ورعاهم دود البلى * وفراهم فري الجزور
أمسوا رميما في الثرى * وثووا الى يوم النشور
يسعى المحب مخاطبا * أجداثهم يوما يزور
يبكي وينتدب نائحا * قبرا تناوشه الدثور
ويمرغ الخدين في * ترب يراها كالذرور
يدعو فليس يجيبه * الا صدى صم الصخور
بينما تراه زائرا * واذا به أمسى مزور
هذا بتقدير الاله * وحكم فعال صبور
دنياك جسر فاعتبر * واحرص على زاد العبور
واطمح الى اللب الهني * فجميع ما فيها قشور
لولم تك الدنيا وما * فيها هباء منثور
ما كان يزوي برها * عن كل صبار شكور
كلا ولا انقادت لمن * قد صار مختالا الغرور

هـذا وقد زال من غمنا * في أرضها عرج وعور
خلقوا الحق فانثنوا * عنه الى مين وزور
يارب ثبتنا على * ما ترتضيه من الأمور
واغفر لنا ماقد عملت من الخطايا ياغفور
واختم لنا بسعادة * نكفى بها شر الغرور
وامنن لنا بتجارة * من باب فضلك لن تبور
وأدم سحائب رحمة * تهمى على بدر البدور
خير الأنام محمد * الشافع الزاكي الطهور
والآل والصحب الكرام وتابعيهم ياشكور

﴿فصل في ذكر ماوقع بعد وفاة تيمور من حوادث وأمور وما ظهر من سرور وشرور﴾

وكان لالله داد أحد الخلان يدعى سعادات نائب مدينة اند كان من ذوي النباهة والشهرة وهو أحد الامراء الذين توجهوا للعمارة بأشخرة فأرسل قاصدا الى الله داد انه ارتفعت مادة الفساد وأن تيمور ترك تبعة الممالك وتوجه بتبعاته الى درك مالك فوصل القاصد بهذا السرور رابع عشر رمضان من العام المذكور شهر ففرج عن الله داد همه وأزاح عنه غمه وكأنه استأنف له الحياة أو رد راحلته التى عليها طعامه وشرابه بعد ان أضلها فى فلاه وسيأتي حكاية الله داد وأمره وما جرى له بعد ذلك الى آخر عمره

﴿ذكر من ساعده البخت واستولى بعد تيمور على التخت﴾

فلما قضى تيمور نحبه وأزال الله من العالم كربه لم يكن معه من أحفاده من اقاربه وأولاده سوى خليل سلطان بن أميرانشاه حفيده وسوى سلطان حسين ابن أخته الذي هرب الى السلطان في الشام عند وروده فأرادوا كتم هذه القضيه وأن لا يشعر بها أحد من البريه فشاعت وراعت وعلى رغمهم ذاعت فاضطربوا واضطرموا واصطدموا واصطلموا فاطلع الناس كلهم على ذلك وهموا وعلموا أنه قطع دابر القوم الذين ظلموا فجفلت العساكر وأجفلوا وحملوا عظامه والى سمرقند قفلوا وساعد خليل سلطان البخت وخلاله الجو فاستولى على التخت وكان

ابوه

أبوه أميران شاه متولى ممالك أذربيجان وما والاه وعنده ولداه عمر وأبو بكر وبينهم
وبين ما وراء النهر من الاطواد والانهار مائة سباسب وألف سكر وكان أبو بكر
هذا فى الجغتاى من الفوارس والضاربين بالبيض الهام والقوانس يذكر أنه كان
يوقف بقرة أو ينيخ بكره ويضربها بالسيف ضربة لا ضربتين فيجعلها قطعتين
مفصولتين وأميران شاه هذا قتله قرا يوسف بعد تيمور واستخلص منه ممالك
أذربيجان وولده عمر قتله أخوه أبو بكر وأبو بكر قتله ايدكو متولى كرمان
ومصافاتهم مذكوره وحكاياتهم مشهوره وشاه رخ كان فى هراة ممالك
خراسان وبير عمر كان فى ولايات فارس وتلك البلدان وتيمور كان جعل ولى
عهده محمد سلطان وهو وان كان من احفاده لكنه قدمه على أولاده لما لاح
له من فلاحه وظهور رشده وصلاحه فعاندته القضاء فيما يروم ومات كما ذكر
فى اقشهر من بلاد الروم وكان له أخ يدعى بير محمد فجعله تيمور ولى عهده من بعد
فلما هجم عليه رائد الموت وأهاب روحه الخبيثة بأزعج صوت كان مستغرقا فى بحار
غفلته مسترخيا ازمة مهلته فذبحه اعتباطا وسام عسكره اختباطا وكان
اذ ذاك من أولاده وأحفاده بعيد الدار مستقر المزار آمنا من البوار فارغا عن الدمار
وهم كتيمور رفافلون وبير محمد فى قندهار وهى بين حدى خراسان والهند وبينه
وبين ما وراء النهر سباسب وقفار فلم يكن أقرب الى دار الملك الذى أنشاه وهى
سمرقند سوى خليل سلطان بن أميران شاه مع أن أقطان الشتاء وندافه كان قد بسط
على فراش الارض لحافه وندف عليه من أقطان الثلوج ما غطى وجه العالم وأطرافه
وطرز ظهوره وأكنافه فلم يقدر أحد من أولئك الحشرات ان يخرج رأسه من اللحاف
أو يفتح لثغر زهرة أغلاف كم كم خوفا من هانى النسيم أن يبادرها باختطاف
الاقتطاف فضلا عن أنه يتمطى فى فراش أهبة الى حركة سفر فيمد يده نحو بطش
أو رجله نحو طواف فاستولى خليل سلطان على ذلك المغنم البارد من غير منازع
وهذيل واستبدل الملك ال العالم من جهنم السكوثر السلسبيل ونادى لسان
السلطنة فى رفعتها نعم البديل بذلت عن بعض حبيب وعن عدو بخليل ومكن من
العساكر والأمراء وخلاصة الجند وأساطير الزعماء واحتوى على تلك الأمم
وطوائف الرؤس من العرب والعجم وأدخل الجميع فى ربقة المتابعه ووقع لهم فى

أسواق الصداقة حوانيت الصلاة فعاملوه بعقود المبايعه ولم يمكن أحد منهم الخروج من الدخول في الطاعه والتخلف عن المبادرة الى مبايعته في ذلك اليوم ولا ساعه فأطلق لهم البشره وأحسن معهم العشره وكان يوسفي الخلق محمدي الخلق خليلي الرفق اسماعيلي الصدق بجمع حروف الملاحه وحاز صنوف الصباحه نقش محاسنه كاتب الصنع بقلم الكاف والنون على أحسن ما يكون من الحركات والسكون فأول ما شق على لوح الجمال ألف قده القويم فباهله كل من فاء عن لام عذاره مقوسا في خدمته كالدال والجيم وحسن لكل راء ما فيه من زين وما شين سين ثغره وميم فمه فاها بخلاف ولا مين فاستقى بوابله كل قاف واستكفى بنائله كل كاف وأمطر من عين كمه العين فصاد من الجند كل ذي لام وباء ودال بذلك على كل من باء من وعده ورجع عن عهده وفاه فعدت الواقيات مهجته ورقت من عين الحوادث بمحبته وعوذت منه الارداف بالطور والاحقاف وحفت نون حاجبه وقاه وطرفه وطرته وردفه بحم عسق وفتحت له الملوك بالثناء فاها وخفضت لارتفاعه خدودها معوذة له قالت ياسين وطاها

﴿ذكر خلاص العساكر من البلد وقفولهم مع عظامه الى سمرقند﴾

ولما ذبح قصاب الفناء تيمور ونحره بجزره كالجزور وجعل بخور كالثور وبقره ثم أراد أن يصليه من نار الجحيم حفره فاستغاث بخليله فأجاره وأخره وقال لا تعجل عليه وحمله في محفة بعد الحمل وصبره وألوى راجعا الى سمرقند وكان قد انحل نهر خجند وطالب الشتاء قد أدرك ثاره وبرد قلبه وسكنت الحراره قالت

ورق للعالم قلب النسيم * وأقبل الدهر بوجه بسيم

ثم هجم جيش الربيع المنصور فانهزم جند البرد فولى وهو مكسور

﴿ذكر ما أضمره وزراء تيمور وأخفاه كل منهم في التامور﴾

وكان في أفلاك ذلك العسكر سيارات نجوم بهم سماؤه تزهر وبآرائهم يقتدى وبرؤيتهم يستضا قالت

من كل منتخب للامر منتصب * كالشمس رأيا وكالضرغام اقداما

قد هذبتهم الامور وشذبتهم بلايا تيمور واستفتح بهم المغالق واستوسع

بعد ما تهم المضائق وتخلص بحملاتهم من شدة كل مارق وتوصل بعزمهم الى نيل المآرب وتوسل بعزيمتهم الى كنوز المطالب وكان هو اليد وهم الآلة وهو الفاعل وهم الآلة وهو الروح وهم الحواس وهم الأعضاء وهو الراس فلما كوّرت شمس مراكبهم وانتثرت كنس كواكبهم ورحل زحلهم وغاب أملهم قلت

وعرض الكون الدجا بالضحى * وبدل المريخ بالمشترى

أجال كل منهم قداح فكره وتدبر في ذلك الحادث وعاقبة أمره واستصغر خليل سلطان وعلم أن موج المنازعة سيأتيه من كل مكان وأنه لا يصفو له ورد الملك من مكدّر ولا هواه من مغير وأقل الاشياء أن يقول له رسول أكابر أقاربه كبر كبر فاعدّ لكل شدة شده ولكل عدة عده ولكل خرزة فرزه ولكل حزة حزه ولكل بوس البوسا ولكل سهم ترسا ولكل نائبة نابا ولكل بائقة بابا ولكل خطبة خطابا ولكل خطاب جوابا ولكل حرب حرابا ولكل أمر أمرا ولكل غدر غدرا ولكل أزمة حزما ولكل نصب نصبه ولكل كسرة جبره ولكن شكيمة البرد ردّت جماح كل جموح وصفيحة الجد قدت جناح كل صبوح فأوسع كلا منهم الا الاطاعة والانقياد لامر خليل سلطان بالسمع والطاعة واستمروا على القفول مضمرين لخليل ما أضمره للحبيب عبد الله بن أبي بن سلول وكان أحدهم يدعى برندق فرام الى الحصر بقلعة المخالفة التسلق فقال لخليل سلطان ان اقتضت الآراء أن تقدم وأمهد لك الأمور الى حين تقدم وأكون رائد دولتك ووفاد سلطنتك فأشيد القواعد وأبشر الصادر والوارد فيكون كل مستعد للملاقاة ومهيأ أسباب الموافاة فأذن له وأمامه أرسله فوصل الى سيحون وقد عقد عليه جسر بالمراكب وهيأت أسباب عبوره لكل راجل وراكب فعبره برندق بجماعته ثم أمر بقطعه من ساعته وأعلن العصيان وقصد سمرقند مجاهرا بالطغيان نظم اتفاق

فكشرت أسوارها * في وجهه أنيابها
وأسبلت عصمتها * ببابها حجابها
واستدلت على جبين منعة نقابها

فاستدرك فارطه وسلك في مسألة منطقة المغالطه ووصل خليل سلطان الى

الجسر فوجد عقده قد انحل ونظامه قد اختل فلم يكترث بزندق وما فعل بل عقده
مرة ثانية ودخل وولى ماوراء سيحون من البلاد متوليها أولا وكان يدعى
خدايداد وهو من أكبر أمرائه ومن رفقاء تيمور ونظرائه ومنسوبا الى السلطان
حسين وهو في تلك البلاد بمنزلة الرأس والعين فلم يسع خليل سلطان الا استمالته
واقراره في بلاده ومهادنته اذ أموره كانت في أوائلها ففوض اليه أمرها والقلوب
في غوائلها

﴿ذكر وصول خليل سلطان بما ناله من سلطان الى الاوطار﴾

ثم توجه الى سمرقند فاستقبله كبراؤها وخرج اليه أعيانها وزعماؤها ووفد عليه
نواب البلاد منغمسين في السواد لابسين ثياب الحداد وجاء الاكابر والعظام
معظمين هاتيك العظام ومهنين خليل سلطان بالسلامة ونيل سرير الزعامة
قلت

ووجه كل قد غدا * مثل الربيع القادم
بعين سحب قد بكت * وثغر زهر باسم

وجعلوا يقدمون التقادم السنيه والحمولات البهيه وهو يقابل كلا منهم بما يليق
بحشمته وينزله في منزلته وقال لابن زندق لا تثريب وقابله مقابلة الخليل الحبيب
ومهد لهم بساط المباسطة وسلك اليه مسالك المغالطة وحين ثبتت أوتاده اقتلعه
وألقاه على غفلة في فم أسد المنية فابتلعه ثم أشلى على دياره كلاب النهاب وشهاب
الالتهاب فمزق أديمها وهتك حريمها وتحامل بها رقاعها

﴿ذكر مواراة ذلك الجثث والقائه في قعر الجدث﴾

ثم انه أول ما اشتغل بمواراة جده وتجهيز أمره والقائه في حفرة لحده فوضعه في تابوت
من أبنوس وحمله الرؤوس على الرؤوس ومشى في تشييع جنازته الملوك والجنود
حاسري الرؤوس لابسي الثياب السود ومعهم طوائف الأمراء والأعيان وأنزلوه
على حفيده محمد سلطان في مدرسة حفيده المذكور بالقرب من مكان يسمى روح
آباد وهو موضع مشهور فكان هناك على أثاث في سرداب معلوم غير خاف
وأقام عليه شرائط العزاء من اقراء الختمات والربعات والدعاء وتفريق الصدقات
واطعام الاطعمة والحلاوات وسنم قبره وتجز أمره ونشر على قبره أقمشته وعلق

على

على الجدران أسطحته وأمتعته كل ذلك ما بين مكلل ومرصع ومزركش ومصنع أدنى شيء من ذلك يقوم بخراج الاقاليم وجعله من كدس تلك الجواهر تموت التقويم وعلق نجوم قناديل الذهب والفضة في سماء غواشيها وبسط على مهادها فروش الحرير والديباج الى أطرافها وحواشيها ومن جملة هذه القناديل قنديل من ذهب زنته أربعة آلاف مثقال رطل واحد بالسمرقندي وبالدمشقي عشرة أرطال ثم رتب على حضرته القراء والخدمه وارصد على المدرسة البوابين والقومه وقدر لهم الادرارات من المسانهات والمياومات والمشاهرات ثم نقله بعد ذلك بمدة الى تابوت من فولاذ صنعه رجل من شيراز ماهر في صنعته أستاذ وقبره في مكانه المشهور تنقل اليه النذور وتطلب عنده الحاجات وتبتهل عنده الدعوات وتخضع الملوك اذا مرت به اعظاما وربما تنزل عن مراكبها اجلالا له واكراما

﴿فصل في اعتدال الزمان واخبار خليل سلطان﴾ ولما أخذت تيمور الصيحة بالحق فصار غثا وقعد خليل سلطان على التخت وقام الشتاء بعد ان كان حثا عقد الشعراء ألسنتهم للزمان بالمدح ولخليل سلطان بالتهنئة ولتيمور بالرثا فسمع الشتاء وعني صوته وأجاز ورفع عن العالم في تموصه السكلاكل والاعجاز فابتهج الكون بورود الربيع وشكر الروض للسحاب ما أسداه اليه من حسن الصنيع ورفع على الروابي من الشقائق أعلامه ونصب مما أظهره خيام الصنع من أزهار الاشجار خيامه ونور الحدق بأنوار الحدائق واستنطق بتسبيح الخالق من خطباء الاطيار على منابر الأغصان في جوامع الرياض ما استنصت لمغانه كل ناطق من كل معرب في ديوان الفصاحة رائق ومعجب بأسرار البلاغة فائق فرقصت الاشجار لغناء الاطيار وصفقت الانهار واعتدل الليل والنهار واكتسى البسيط الاغبر خلع السندس المزهر وتبدلت الاغصان من قطني الثلوج كل ثوب بأصباغ القدرة مزهر وبمنقش الأزهار منسوج وكل قباء صار مزهرا في كل دف أعين لكل طائر وفروج وبسط الكون على المكان لاقدام خليل سلطان شقق الورد والريحان

﴿فصل﴾ ولما فرغ خليل سلطان من ذلك شرع في تمهيد الممالك وتسليك المسالك وعلم أنه لا يتقيد به انسان الا بقيد الاحسان ولا يجتمع له البال الا بتفريق

الآمال فعقد القلب على فك طلسمات المختوم وحل الرموز وصرف الموانع والتوابع
عن تلك المطالب والكنوز وقوى العزيمة على فتح الخبايا وصيد عصافير القلوب
بمقرصنات الهبات تحت شباك العطايا ففرق ما كان شتت جده في جمعه شمل
البرايا وثقل الكواهل بتخفيف ما أثقل ظهره بالمآثم والخطايا وأوسق أحمال
الآمال وربوع الاطماع بالاموال وأمطر أيادي عينه بالنوال ففاض النهر
من صوب الشمال وملأ الافواه والمسامع والمقل من الناس بما أفرغ من حواصل
الكنوز والصناديق على أفتام الجند والاكياس فنثر أغصان الدوح عند ورود
الربيع أصناف أزهاره فكأنه أنامل كفه المنتظمة في نثار درهمه وديناره وجاد
السحاب بدرره وأمطاره فضاهى جود جوده الهامي على العالم وأقطاره فقيد
الناس كلهم بهذا القيد ونحوا صراف بذله معربين له بالاطاعة فترك عمرو وزيد

﴿ذكر من أظهر العناد والمراء وتشبث بذيل المخالفة والعصيان من الامراء والوزراء﴾

غير ان بعض تلك القواد وزعماء الوزراء والاجناد أملى ما كان أضمر ووضع
المضمر من العصيان موضع المظهر فأول من شهر سيف العصيان وفوق سهام
العدوان وشرع بمخالفة الرديني خدايداد الحسيني متولي ماوراء نهر سيحان
وأطراف تركستان فوجد من كان عزم على نقض يده من عقد الطاعة اماما
يقتدي به في البغي ومفارقة الجماعة لاسيما وقد كان صواغ الربيع قد أذاب بجمراته
سبائك الجمد والثلوج وصنع بأفراحه من ذلك ديباجة الارض وروضات الجنات
وأرباض المروج واسمعت أصوات الحشرات صيحة الرعود بالحق فقالت ذلك يوم
الخروج فاقتفى خدايداد في العصيان والعناد شيخ نور الدين وكان عند تيمور
من المتقدمين وذوي الآراء والمتمكنين فتخزل نهارا وسار ليلا ونهارا فوصل الى
خدايداد وقوي منه الظهر والاعضاد وشاركه في التمرد والفساد ثم بعد فرط
نظام الطاعة شاه ملك وأخذ في طريق المخالفة وسلك وخرج من سمرقند
وهو يصرخ وقطع جيحون ووصل الى شاهرخ وكان نظير شيخ نور الدين اذا رأى
مكين وفكر رصين فلم يكترث خليل سلطان بالعاصي وأكرم من لم يعص وعم
بنتائج انعامه كل راس وما خص

(ذكر أخبار الله داد صاحب أشباره واخلائه اياها وقصده دياره وما صنعه في تدبير الملك وأثاره قولا وفعلا واشارة الى ان أدرك في ذلك دماره وبواره)

ثم ان الله داد جمع أخصاءه ليلة ورود الخبر اليه وشاورهم فيما يصنع وما يبني أموره عليه فاتفقت كلمتهم واجتمعت مشورتهم على قصده دياره واخلائه أشباره فانهم كانوا في ذلك المكان كالفستق في شهر رمضان والزنديق بين قراء القرآن فلما طوى الجو ملاءته المسكيه ونشر على المكان مروطه الكافوريه وأتى ثعبان الفجر من فيه على هذا السقف المرفوع خرزته الفضيه حضر الى خدمة الله داد أمراء الجيش على عادتهم ورؤس الاجناد من الترك والخراسانيين والهنود والعراقيين فاختلى بافاضلهم وصدور مقاولهم ونشر لهم من هذه القضية طيها وطلب من آرائهم فيها رشدها وغيها واستكتمهم أمرها لئلا يستفشي المغول نشرها واني امن الشمس في الصحو الاستتار وكيف يخفى على ذي عينين النهار فكل منهم فوض الامر الى مرسومه وطرح قصة هذه القضية في جيب مكتومه فاستدعى من أولئك الرفاق ان يكونوا معه فيما يراه على طبق الوفاق فاجابوه الى سؤاله وربطوا افعالهم باقواله فاكد ذلك بطلب ايمانهم وان أسرارهم في ذلك كاعلانهم فشرع كل في المخالفه انه ليس في موافقته مخالفه وانه مهما رآه الله داد امتثله وما أمر به فعله وحين أمن مخالفتهم وعصيانهم وحصل له اليسار بربط أعناقهم بايمانهم قال أي جماعة الخير وقيتم الشر وكفيتم الضير اري ان أكون في صلاة هذا الامر امامكم فأتقدم بجماعتي الى سمرقند امامكم فامهد الامور لكم وأرسل الى بلدكم هدايا لكم وايم الله لا أخاف قرارا ولا عدوا ولا اتركم مضغة لضاغم ثغر العدو فان رأيتم ان تضبطوا بحسن الاتفاق أموركم وتحموا قريحة ورد فلتتمكم من سورة شارب العدو وسورتكم فلن امهلكم الا بقدر ما اقطع نهر خجند واصل الى سمرقند فامهلوني ريثما أصل وبخليل سلطان اتصل فتبعوا مراده واتفقوا ما أراده وعاهدوه أن لا يتخلفوا من بعده ولا يحلوا بعد ارتحاله من رقابهم حبل عهده فأمر عليهم رأس جنود العراق وكان هو أكبر الرفاق بالاتفاق وقرر لكل مسلحة في أسوارها من كل سائح جزأ مقسوما

وصار زعيم أولئك الصالحين كالنبي في أمته مع أنه كان يدعي معصوما
﴿فصل﴾ ثم أمر الله داد بتجهيز الأمور وخرج سابع عشر شهر رمضان المذكور ولم يلتفت الى بردوحر وكان قد استوطن اشبارة واستقر ونقل اليها حريمه وأولاده وبذلك أمر حاشيته وأجناده فاقتلع الكل معه كبيرا وصغيرا ولم يدع بها ما يتعلق به فتيلا ولا نقيرا فساروا تارة دبيبا وحينا زحفا وطورا تسوخ بهم الارض من تحتها خسفا وآونة تسقط السماء عليهم كسفا فادركهم العيد الموموق في مكان يدعى قولاجوق من أبرد البلاد كأنه ينبوع ريح عاد قلت شعر

اذا استلهبت جهنم زمهريرا * تنشق منه أنفاس الهجير

﴿ذكر ورود مكتوب الى الله داد من خليل سلطان وخدايداد
تخالفت معانيهما وتصارمت فحاويهما﴾

فورد عليه مرسوم من خليل سلطان يذكر فيه ما حصل له من حادث الزمان وانه استولى على سريره وأطاعه من الملوك كل كبير القدر وصغيره وان الامور بحمد الله مستقيمة وقواعد الاكابر على عاداتها القديمة مقيمة فلا يحدث أمرا ولا يخرج من حيز مدينته شبرا وليسد كل مكانه وليتثبت باشبارة مع طوائف جنده وأعوانه وليطب خاطرا الجزء والكل فانه عقيب ذلك يرسل اليهم بدل الكل من الكل فتحير الله داد وتفكر وحاسب نفسه هل يرجع في سيره ذلك أو يعبر ففكر وقدر فقتل كيف قدر فبينا هو في أمر يعيد ويبدي ويلحم في شقة أفكاره ويسدي واذا بقاصد خدايداد ورد عليه يستحثه على الخروج من أشبارة والوصول سريعا اليه فوجد الخروج من أشبارة عند خليل سلطان مندوحه وعاش فنام وهو مغمض العينين بعد أن مات وعيناه مفتوحه فطوى بساط تردده وتوجه ببسط أمله نحو مقصده ولكن كان بينه وبين المراد خرط القتاد والموانع التي ذكرها صاحب الوصول الى سعاد مع زيادة نهر سيحون وخدايداد فواصل التأويب والاسآد حتى وصل الى خدايداد فابتهج برؤيته واستنجح مقصوده بطلعته ثم قطعا نهر سيحون وقصدا ضواحي سمرقند ووصلا على حين غفلة وفترة الى مكان يسمى تيزك وقد شهرا لاعدوان الحسام وشرطا لامتلاك النيزك فاستطالا على حشار تيمور قنباه وتغلبا على

ما وصل اليه من نقد وجنس سلباه وأكثر فيها الاشرار فسادا واشبهوا فى ذلك تسعة رهط ثمود او عادا وكانت هذه أول شرارة شرر وبدعة سقطت من سقط الزند وبسطت يدها بالفتن بعد قبض تيمور فى ممالك سمرقند لان أهلها كانوا قد أمنوا الشرور ووقوع الفتن فى حياة تيمور فحين دهمهم أولئك المفترون أتاهم العذاب من حيث لا يشعرون وذلك فى شوال سنة سبع وهو العام الذى خلا فيه من تيمور الربع وما امكن السلطان خليل تدارك هذا الخطب الجليل

﴿ذكر من خلفه الله داد بأشبارة من الطوائف وما وقع بعده بينهم من التناكر والتخالف﴾

وأما أمر من خلفه الله داد فى أشبارة من طوائف الاجناد فانهم تناهوا من الغول حلول حينهم فتحزبوا واختلف الاحزاب من بينهم فمنهم فرقة تقالد قائلهم أنا على عهدى قوى فلا أخون وأمين وقد استمسكت يدى بعروة عهد مكين وارتبطت بحبل حلف فلا أصير من اهل الشمال باليمين وأدنى ذلك ان نصبر حتى يصل من الله داد رسول أو كتاب وننظر ما يبين فيه من سلوك سنة فنميز بصائب نظرنا الخطا فى ذلك من الصواب فان وافق ذلك مرادنا امتثلنا ما يقول واتبعنا فى ذلك الكتاب والرسول وتوجهنا فى تلك الساعة سالكين السنة مع الجماعة وان جا الخناق كلامه بخطاب أجلح عدلنا الى الاعتزال ومال كل منا بصفحة نفسه الى القول بوجوب رعاية الاصلح ومنهم شرذمة مالت الى رفض تلك الدارة والمبادرة الى الخروج من أشبارة وانتقلوا من تكرار هذه المجادلة الى القتال وقطع رأس أحد رؤس الخراسانيين فى مصاف النزال ومنهم طائفة أهمتهم أنفسهم فلم يلبثوا الا عشية او ضحاها ثم تحملوا ونحو جوامع المدينة وتركوا الدار تبكى على من بناها فلم يسع الباقين الا اتباعهم فى الخروج لان مقامهم من أول الزمان هنالك كانت كبنيان القصور على الثلوج فتحملوا بقضهم وقضيضهم وتجهزوا صغيرهم ومريضهم وتركوا البلد بما فيه من غلات ومستغلات ونعم وخيرات وأموال وأمتعة ونفائس مدهشة ولم يبق فيه من تلك الامم المسجونة سوى ما عجزوا عن حمله من أموال مشحونة وسوى امرأة واحدة مجنونة ولحقوا بالله داد وهو عند خدايداد

فلم يعنف واحدا منهم عما فعل واعتذر اليهم بأن خدايداد منعه أن يتوجه الى سمرقند ويجهز لهم البدل وأمرهم بالاقامة معه مستوفزين وأن يكونوا الفرصة التوجه الى سمرقند اذا لاحت منتهزين

﴿ذكر ما تم لالله داد مع خدايداد وكيف ختله وخبله واسترق عقله وسلبه﴾

ثم ان خدايداد تحقق بوقوع هذا الفساد تأكد العداوة بين خليل سلطان والله داد فركن اليه بعض الركون وجعل يستشيره فيما يصيبه من أمره وما يكون وكان عند خدايداد طائفة من مماليك الله داد قد خلعوا من العساكر في تلك البلاد وقد ضيق عليهم المسالك واراد أن ينقلهم من مالك الى مالك فلم يدعه الله داد بذلك وقال ان عادة الاكياس استجلاب خواطر الناس خصوصا في مبادي الامور وحدوث أوائل الشرور فلا تنفر عنك الخلق وعاملهم أولا بالاحسان والملق وأي فائدة في قتل هؤلاء وتعريق أديمهم سوى نفي الصداقة وتأكد العداوة بيننا وبين مخاديمهم وربما يكون في خاطر أحد من مخاديمهم نفرة من خليل سلطان ويروم لذلك ظهيرا وملجأ يلوذ به من رفيق ومكان فتلجئه الضرورة الى أن يقصد ممالك تركستان فاذا آذيته في متعلقيه أنى يبقى له اليك ركون واطمئنان وأقل ما تعمل مع هؤلاء بالانسان امساك بمعروف او تسريح باحسان ومخاديم هؤلاء اذا رافقناه وخليل سلطان أصدقاه فان زرعت معهم الجميل ملكت كل رفيق وخليل وألقيت العداوة بين من عاداك من صديق وخليل فلما سمع كلامه ألقى الى يده من ذلك الامر زمامه فأشار عليه بسراحهم واحسان اليهم في غدوهم ورواحهم فزاد في نجاحهم وراش مقصوص جناحهم وصرفهم بالعز في طريق مراحهم فدارت بالسعد أفلاكهم واجتمعت بهم أملاكهم وملاكهم

﴿ذكر ورود كتاب من خليل فيه لفظ رقيق لحل أمر جليل﴾

ثم ان وافد خليل سلطان وفد الى الله داد يطلب منه السعي في لم الشعث فيما وقع بينه وبين خدايداد وأن يستعطف خاطره الى الرضا ويستقبل المودة في الحال ويعفو عما مضى ومهما طلبه يتكفل به ويعد قربه من أفضل قربه ويكون هو السفير بينهما ويقرب الصلح عنهما فتوجه الله داد الى خدايداد وأبلغه هذه الرسالة وبين له

ما في هذا القول من رقيقه وجزاله وسبب العداوة التي كانت بين خليل سلطان
وخدايداد على ما ذكر أن خليل سلطان كان في أوائل الزمان مجاورا لخدايداد في
تلك البلاد وكان جده جعله ناظرا عليه وفوض أمور تربيته اليه وكان كزا جافيا
وجلفا جاسيا فكان يعامله بالفظاظه ويقابله بالكثافة والغلاظه وكان خليل
سلطان لطيف الذات ظريف الصفات نسيم أخلاقه لا يحمل من خدايداد
زعازعه ويردمن اسمه اللطيف رقة حاشيته لا يثبت لمجادبة المشاقة والمنازعه فتولد
من تلك القساوه بينهما العداوه وسعت بينهما الوشاه الى ان دمر له مهالكا فسقاه
فكانه أسمه فتدارك نفسه وتعاطى علاجه وما يصلح مزاجه فقضى الزمان ان
نصل من تلك الداهيه فجاء منها وليتها كانت القاضيه وابقى فيه من ذلك أرج
وأورثه العرج فصارت العداوة خاصه عامه وغدت هذه الفعلة لهذا المملول علة تامه
﴿فصل﴾ ثم ان الله داد حلف لخدايداد الايمان الغلاظ الشداد واكد هذه
الايمان بأن استصحب معه القرآن واشار اليه ووضع يده عليه وزادتأكيدا
بأيمان الطلاق وبالالتزامات والنذور والعتاق انه لا ينقض عن طاعته يدا
ولا يستحيل عليه أبدا وانه ان توجه الى سمرقند يجهد في رأب ما انصدع ورد
ما انقطع ورتق ما بين الجانبين انفتق ورقع ما في خواطرهما من الشحناء والعداوة
انخرق وأن يجهز له تومان احدى نساء تيمور وحاصل الامر انه تكفل بحسم مواد
الشرور واصلاح الامور وان عجز عن رفع الشنآن ومحو سطور العدوان فانه
لا يستحيل عن مصادقة خدايداد في السر والاعلان وصار يتملق ويترفق ويتوصل
بتمويهات زخارفه الى مجاري فكره ويتملق ويشدد ايمانا ترجف القلوب
وتصدع بالله الواحد وينذر بالطلاق الثلاث من زوجاته الاربع وكان مخيمهم
على ساحل سيحون عدا وهو من شاهرخية نحو من بريدين بعدا فعبر سهم ختله
الى سويداء قلبه بمكر ودخل وغرّبه اذ ظعن معه ناهما بما زوّره بيمينه في ساحله
وتخيل الى أن سمع باطلاقه بعد تأكيد عهده وميثاقه فرجع الله داد الى
وثاقه واجتمع بحاشيته ورفاقه وكانوا في شاهرخيه واخبرهم بهذه القضيه وكان
قد هيأ قبل ذلك أمره وأخذ من كل جهة أهبته وحذره ثم انه شمر الذيل وقطع
سيحون بالمراكب تحت جنح الليل

﴿ذكر لحوق الله داد بخليل سلطان وحلوله مكرماً مع زاقي الأوطان﴾

وحين حصل على هذا الجانب ولم يبق له في ذلك الجانب حاضر ولا غائب أسرع الحال بحكم الإعجال وشد الأثقال وأخذ الأهبة قبل النهبة فأفرغوا عليهم سوابغ السلاح وأذن بصلاة الرحيل قبل الصباح وقدم ضعفة أهله والأثقال أمامه وتقضى بهذا الأذان شروط الإقامة وطير إلى خليل سلطان مخبراً بجلية الأخبار وما جرى بينه وبين خدايداد وكان وصار ويستمده باستقبال المدد وإرسال العدد لاحتمال أن خدايداد إذا انتبه يتفطن لغاية هذه الفعلة فيخطر بباله ردهم ويرسل وراءهم من يصدهم ثم ساروا كالسهم الصائب وصاروا كالنجم الثاقب فما أصبح لهم الصباح إلا وقد ظهر لهم من السعد فلاح وجازوا كل قاتم الأعماق خاوي المخترق وقطعوا على أنوال السير بأسدته مطاياهم من مزهر الرياض ألوان الشفق فواصلوا بالسير سراهم فساروا نهارهم أجمع حتى غشيهم مساهم وحين أخذ منهم اللغوب وكل الراكب والمركوب وسدلت عليهم عنقاء الظلام الجناح عدل بهم إلى بعض البطاح وحط عنهم واستراح ورسم أن لا توقد نار ولا يطمع أحد في طعم النوم بقرار ولا يشام في جفن طرف سيف ولا سيف طرف ثم التهموا ما يسد الرمق فصلوا صلاة الخوف فعبدوا الله على حرف وأمهلوا ريثما قضمت الدواب العليق ثم أمر فحملوا وركبوا متن الطريق

﴿ذكر تنبه خدايداد بأن الله داد خلب عقله بأنكال وأنكاد﴾

ثم إن خدايداد تنبه من رقدته وارعوى من ليلته وعلم أن الله داد خلبه نهاره ذلك وسحره وكشف شمس عقله ولعب به في دست خلافه وقمره فعض كما يعض الظالم على يديه وعين في الحال عسكراً جراراً وأنفذه إليه فأسرعوا وراءه والتمسوا لقاءه فلم يروا له عيناً ولا أثراً ولا رووا عنه من أحد حديثاً ولا خبراً فلم يزالوا في طلبه حائرين دائرين ثم قفلوا هنالك وانقلبوا صاغرين ووصل الله داد إلى مقصده فوجد وظيفة الوزارة شاغرة فاستولى عليها بمفرده إذ قبل دخوله كان شيخ نور الدين قد خرج وشاه ملك وكل من رام العصيان كان قد دب ودرج فابتهج بقدومه خليل سلطان وقدمه كما كان على سائر الوزراء والأركان فتمكن الله داد

كيف شاء وتصرف في ممالك الملك ببديع بيانه اخبارا وانشاء وتعاطى في الحال تمهيد الامور وتجهيز السرايا وحفظ الثغور فتراجع أمر الناس وانضبط وانتظم عقد الملك بعد ما انفرط واستقر حال الناس وتمكنت القواعد على الاساس وكان هو وبرندق وأرغون شاه وآخرون يجول يدبرون مصالح الممالكه ويسلكون بكل أحد مسالكه ولكن الله داد هو الدستور الأعظم والمشار اليه الافخم وعليه مدار القبض والبسط ونظام عقود الحل والربط واستمر شيخ نور الدين وخدايداد يغيران على البلاد ويزيدان في الشرور والفساد واستوليا على أطراف تركستان وعلى تلك البلدان منها سبرام وتاشكند واندكان وخجند وشاهرخية واندار وسغناق وغير ذلك مما في تلك الاكناف والآفاق فكانوا يقطعون سيحون ويتوجهون الى ممالك ما وراء النهر ويغيرون فتارة يتوجه اليهم خليل سلطان وتارة يجهز لهم طوائف من الجند والأعوان وعلى كل تقدير فانهما كانا لا يثبتان وينهزمان وسيأتي ذكر ذلك كما كان

﴿ذكر ما وقع في توران بعد موته من حوادث الزمان﴾

وأما المغول فانه لما اتصل بهم خبر وفاة ذلك المخذول وكان بلغهم أنه قد صوب أحجار كيده الى هشم تلك الثغور وفوق نبال قصده الى خرق تلك البطون والنحور ولم يشكوا في أن ذلك شرك مكيده وأحبولة مصيده فلم يقر لهم قرار وتنادوا الفرار الفرار وتشتتوا في البلاد وتشبثوا بأذيال القلاع ورؤس الاطواد ولجأوا الى الحصون والجروف وتمنوا توالي قعر المغارات والكهوف وكذلك كل ذي عين من أهل الدشت والشمال وتوزعوا في الاحقاف والرمال وصار أهل الشرق والخطا الى حدود الصين ومن في ذلك الوجه يسرحون لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون والحق أنه كان في هيبته وعتوه قد هرج الى أن أهلك العالم شرقا وغربا بالارج وصار كما قيل

تكاد قسيه من غير رام * تمكن في قلوبهم النبالا
تكاد سيوفه من غير سل * تجد الى رقابهم استلالا
تكاد سوابق حملته تغني * عن الاقدار صونا وابتذالا

فلما ترادف هذا الخبر وتكرر بسمرقند هذا السكر واشتهر اسناده حتى ترقى من الآحاد الى التواتر وتقرر هذا الحق عند كل أحد فلم يسع فيه بجحود ولا تناكر تراجع فؤاد كل الى جوفه وتبدل أمنا من بعد خوفه وتنادوا بالثارات وشرعوا فى شن الغارات وقصد كل مستحق استرجاع حقه وكل مسترق استرق استفكاك رقه فأول من نهض من الشرق المغرل وقصدوا اشبارة وآمى كول وامتدوا فى تلك البلاد حتى جاوروا خدايداد فهادنهم وصافاهم وشرط لهم ردما أخذه تيمور من مأواهم وأن يكونوا يدا واحدة على من ناواهم وأحسن كل منهم مع الآخر الجوار واطمأنت بواسطة هذا الصلح تلك الديار

﴿ذكر نهوض ايدكو بالتتار وقصده ماوراء النهر وتلك الديار﴾

ثم نهض من جهة الشمال ايدكو بعساكر كالرمال وتوجه بحزم وعزم الى ممالك خوارزم وكان نائبها ايدعي موسيكا فأحس بالتتار وخاف على نفسه البوار أخذ أهله ومتعلقيه وسار وذلك بعد أن هجمت التتار رومية المضافة الى ارغون شاه وعبروا جيحون وهو جمد ورجع ارغون شاه الى مأواه فوصل ايدكو الى خوارزم واستولى عليها واستطرد بخيله الى بخارى فنهب ما حولها ثم رجع الى خوارزم وقد أذكى فى الجغتاى اللهيب وأنكى وولى من جهته فى خوارزم وولاياتها شخصا ايدعى انكا فمهدت أيضا تلك الاماكن واطمأنت الظواعن والسواكن بواسطة أن خليل سلطان قابل كل من أساء اليه بالاحسان وصار يسترضى كل ساخط ويستدنى بمكارمه كل شاحط ويصطاد النفوس بالنفائس ويقتنص الأسود بالفرائس فأحبه الاجانب والأباعد ورغب فيه كل صادر ووارد غير أن شيخ نور الدين وخدايداد تماديا فى الفساد ولجا فى العناد فحرب ما تجرد بين الطرفين من البلاد

﴿ذكر بير محمد حفيد تيمور ووصيه وما جرى بينه وبين خليل وولده﴾

ثم ان بير محمد ابن عم خليل سلطان وهو الذى عهد اليه تيمور وكان بعد موت أخيه محمد سلطان خرج من قندهار وقصد سمرقند بعسكر جرار وأرسل الى خليل سلطان وسائر الأكابر من الوزراء والاعيان بأنه هو ولى عهده وخليفة جده تيمور من

بعده فالسرير حقه فأنى يغصبه والممالك ملكه فكيف يسلبه فكل منهم جاوبه بما يليق وخاطبه وأما خليل سلطان فتصدى للمعارضه وقابل كل مسألة من الخطاب بما ينافيها من المعاكسة والمناقضه وقال لا تخلو مسألتنا يا فلان من أن الملك في هذا الزمان اما أن يكون بالانتساب أو يظفر به بطريق الاكتساب فان كانت الأولى فثم من هو أحق به مني ومنك وأولى وذلك أبي أميرانشاه وعمي شاهرخ أعني أخاه فيكون بينهما بالسوية نصفين فذلك كلام مع وجود هذين وأنا أولى أن أكون صاحبه فأرعى جوانبه وأسلك مذاهبه اما أن يقطع كل منهما المشاغبه ويترك لي ما أنا فيه من ولاية المطالبه ويقنع بما هو فيه من مملكته ويحفظ جانبه وأما بأن يجعلني خليفته في سلطانه فأكون نصيبه ونائبه وان كانت الثانية فكلامك لا يستقيم لأن الملك كان لعمرو واقيم ومن قبلي وقبلك قيل في الأقاويل

شعر صونوا جيادكم واجلوا سلاحكم * وشمروا انها الأيام من غلبا

وان زعمت أن جدك عهد اليك أو عول في وصيته للملك عليك فهو من أين استولى الا بطريق التغلب وأنى حصل له الملك والممالك الا بالاغتصاب والتألب وعلى تقدير التسليم وان أمر وصيته مستقيم فانه كان في حياته قسم بلاده ووزع عليها أولاده وأحفاده فولى والدي ممالك اذربيجان وقرر عمي في ولايات خراسان وابن عمي بير عمر في عراق العجم وتلك الديار وولاك أنت من جملة ذلك قندهار وجعلك وصيه كما رسم وأشار وتحمل هو المظالم والأثقال فأين نصيبي أنا من هذا الثقل فاجعلوا حصتي من ذلك ما استوليت عليه وليقنع كل منكم بما تقرر فيه وفوض اليه ومع هذا ان تابعك أبي وعمي تابعتك أو صادقاك على الوصية وبايعاك بايعتك وان سلكا في ذلك طريق الحق فالملك صيد والأولى به من حاز فيه قصب السبق وان الله أزاح علله اذ ثبتني بأسبابه وأباحه لي مباحا ومن سبقت يده الى مباح فهو أولى به هذا وان كان من مدرسي فقه الملك تابعني ومن له في عقود السلطنة شركة ترك المضاربة وطاوعني وعقد توليتي مرابحة ولما وقف على سريري أتى الى السلم وبايعني وأما الوزراء والأعيان فأجابوه بما لا طائل فيه سوى ما تجده أذن مستمعيه غير أن الخواجا عبد الأول وهو صدر صدور العلماء والمتصرف في رؤساء ما وراء النهر من السادات والكبراء المنفذ

سهام أحكامه في جميع الامراء والزعماء أجاب فأجاد وأصاب وأفاد واختصر واقتصر وحصر من بير محمد والخليل سلطان التصر فقال في جوابه مجاريه في خطابه ثم أنت ولي العهد وخليفة الامور تيمور من بعده ولكن ما صادف طالعك سعد ولو ساعدك البخت كنت قريباً من التخت والاولى بحالك أن تقنع بحالك ومالك وتبقي على خيلك ورجالك وتضبط ما في يدك من عمالك وان أبيت الا طلب العلا ولم تقنع بما قسم الله لك وقضى وخرجت من مملكتك الى هذا الفضاء فانك تقع في العناء وتخرج ولا يبقى من يدك فتصير مذبذباً لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء

﴿ذكر تجهيز خليل سلطان سلطان حسين المناصرة وخروجه عن خليل سلطان وقبضه على أمرائه ومخالفته﴾

ثم ان خليل سلطان لم يقنع بدقائق هذه الاقوال واردفها بحقائق الافعال وأمر بتجهيز جند مجند الى استقبال بير محمد وأضافهم الى ابن عمه والد السلطان حسين وعين فيهم من أمراء الجغتاي كل رأس وعين وضم اليه الظهور والاعضاد ومنهم بجول وارغون شاه والله داد فساروا ابتغي العدو كاملي العدد وذلك في سنة سبع ومنتصف ذي القعدة فعبروا جيحون الى بلخ وخيموا في ضواحيها وانبثوا في اقطارها ونواحيها وبينما هم مرفهو الحال فارغو البال قريرو العين عارض السلطان حسين ثم انه دعا الامراء ليقرر معهم فيما هو بصدده الاراء وقد كمن لهم كمينا وارصد لهم الرجال شمالا ويمينا وعين لجواخيسه ودخلوا كبسه وثب عليهم وثوب الليث على الفريسه واغرى بهم أسوده فوقعوا فيهم وقوع الجياع على الهريسه ثم نادى من معه من الرفاق ضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق وكان كما ذكر ذا طيش وشجاعه وتهور ورقاعه وصولة وجولة يسبق فعله قوله فاهريق في تلك الساعه دم واحد من تلك الجماعه يدعى خواجا يوسف وكان في حياة تيمور نائب الغيبة بسمرقند وهو أمير مشهور ففي الحال قتل والى الدار الآخرة نقل ثم استقل لنفسه بدعوى السلطنه ودعا الخلائق من ههنا ومن هنه فدهشت أولئك الرؤس وعلموا أنه قد حل بهم النقم والبوس

﴿ذكر

﴿ذكر خدع الله داد سلطان حسين وتلافيه تلافه بالمكر والمين﴾

غير أن الله داد ثبت جاشه المزؤد واستحضر تلك الساعة عقله المفقود فابتدر سلطان حسين مناديا واستنبهه في أمرهم مناجيا وقال له بعبارة فصيحة ان لي اليك نصيحة ثم استخلاه وقال أنا كنت مترقبا منك هذه الفعال ومترصدا منك اظهار ما أنت بصدده ومن أين لخليل سلطان أن يحتوي على الملك بمفرده غير أن هيبة مولانا السلطان باسطه ولم يكن بينه وبين الملوك واسطة مباسطه ولو كان عندي من ذلك أدنى شعور لرتبت المصالح على ما تقتضيه الاوامر الكريمة والأمور ثم ان الخاطر الكريم يشهد بصدق هذا الحديث وأنا عبدك من قديم وسل من من كان من الممالك والاجناد الذين كانوا محصورين في أمر خداياداد من خلصهم من حبائل أسره وانقذهم من ضرام ضره واطفأ عنهم ما التهب من شرار شره اذ لولا أنا لكان أبادهم وأيتم أولادهم وخبّم بهم طريفهم وتلادهم فاسأل ان تسلهم يخبروك وعلى حقيقة الامر وجلية الحال يظهروك وربما أخبروك بذلك لما أتوك ومع هذا استفت قلبك وان أفتوك وأفتوك ولا زال يطري بما اخترع بلاغته شواظ تفرعنه ولهيبه ويذكي في خياشيم رعونته عبير احتياله متمسكا بمسكه وطيبه ويرمي عن قوس ختله الى سويداء اختياله نبال مكر أغفلت فيه نصال القضاء والقدر لانها كانت مصيبه فأشرب مكره وتبع أمره وجعله ظهره واستقدح في أموره فكره ثم انه بعد ان امن عليه باستمالته استشاره في قتل رفقائه فقال له لا شك ان خليل سلطان ملك الناس بالانعام والاحسان وهو وان كان في الشجاعة قاصر اليد قليل البضاعة لكن استعبد أبطال الرجال بحسن الخلق وبذل الاموال غير أن المال بعرض الفناء والزوال وأنت بحمد الله مآثرك مشهوره ومنازل منازلاتك الابطال معموره ورايات كسرك قرون الاقران على جبين الكباش منشوره ورؤس مناطحاتك ثيران الوغى على قرون الزمان أبدا منصوره قلت

فكم لرزت شجاعا في السبار فمذ * رأى مجالك ولى ضارعا وجرى
مذ كنت راسا وعيناك في الحروب أرى * في رأسك الفحل في عينيك الظمرا

وأنا أعلم أن عامة الجند سيبتهج بطلعتك ويرقص فؤاده لحصول سكونه فرحا

بحر كملك فانه لا بد لهم من رأس يسوسهم وضابط همام يصونون بتدبيره نفائس هممهم ونفوسهم وقرم كالليث الحادر والسيل الهامر بل كالبحر الغامر منصورات دعواته وهي قناصر موصوف بما قال الشاعر

أضاف الى التدبير فضل شجاعة * ولا رأي الا للشجاع المدبر

وبما قال شعر

ولا يكشف الغماء الا ابن حرة * يرى غمرات الموت ثم يزورها

وهل ثم في هذا العصر موصوف بهذه الصفات الا أنت وما النجدة والكرم والحسب والنسب الا راحل حيثما رحلت وساكن أينما سكنت ولو وجدت شاه ملك وشيخ نور الدين أن وراءهما منك الحصن الحصين لاسندا اليك رواية هذا السند السديد ولأويا من جنابك العالي الى ركن شديد وحاصل الامر انك مولى الكل وجميعهم لك عبيد واذا كان الامر كذلك فقد ملكتهم فسواء عندك أبقيت عليهم أو أبدتهم ولكن ابقاؤهم أولى ولا زالت العبيد تترقب مراحم الموالي فان اقتضى الرأي السعيد أن نكون كلنا موثقين في الحديد مع زيادة قيد ايمان أكيد فرأيه أعلى واتباع ما يقتضيه أحرى وأولى فانتقى رأيه واتخذه عماد الامور ورآه فاستتبعه طبعه وقال اسلك ورايه

﴿ذكر أخذ سلطان حسين على الامراء الميثاق ومشيه على خليل سلطان وهم معه في الايثاق﴾

ثم انه أحضر الامراء وهم في قبضة سطوته أسراء وقد نازح كل من متعلقيهم صوب ناحيته وتوجه الى دار كل المخبرون فقامت عليهم النائحة والناعية وأوثقوهم بقيدي الحديد والايمان بأن يكونوا معه في السراء والضراء على خليل سلطان فمد كل منهم الى القيد رجله والى اليمين يده وعاهده على ما يختار وأن يقدم له نفسه وأهله وماله وولده فحين استوثق منهم أزاح بالأماني السوء عنهم وتركهم موثقين في القيد ونكص قاصدا سمرقند وأرسل الى خليل سلطان يخبره بما جرى من أمره ودرج واستعد لمبارزته فيما هو قد عبر جيحون وخرج وأنه هو أيضا طالب من ملك خاله حصته ومنازع خليل سلطان في السرير منصته

ذكر تبريز خليل سلطان من سمرقند لملاقاة سلطان حسين بطوائف جنده ورجوع سلطان حسين عاثر ومعه خفي حنين

فاستعدّ له خليل سلطان وخرج من سمرقند لاستقباله في أسرع زمان ثم ان السلطان حسين أحضر الله داد ومن معه من الشياطين المقرنين في الاصفاد واستأنف عليهم العهود وأكد عليهم قيود العقود وأحل كلا منهم محله وأجاز عقده وحله وخلع عليه وأجاره واستمر حرم حقيقته ومجازه وبش بأنعامه الى مقاماتهم وهش وسار بهم حتى وصل الى مدينة الكش والله داد كان قبل ذلك بزمان أرسل الى خليل سلطان يخبره بوقوع هذا الهم وما جرى عليهم من شرور وماتم ثم قال له ان فالك سعيد وأمرك حميد فانهض برأي رشيد وعزم سديد وجناح حديد فان ضدك مصيد والله تعالى ناصرك قريبا غير بعيد فلا تخف من كيده كيد وان كنت طفلا فانك فتى شبت أهواء القلوب نحو ات محبته فصرت شيخ السلطنة وكل الانام لك مريد فوصل خليل سلطان الى ذلك المكان فعبى السلطان حسين جيشه واستعمل ثم قره وطيشه وجعل الله داد على الميمنة ورفيقه على الميسرة ولما ترا آى الجمعان وتدانى الزحفان وحقت الحقائق وسدت المضائق وتعادت الاسود والغرانق وبادر كل منهم من مكانه وقصد كل من الله داد واقرانه عساكر خليل سلطانه فتخبطت عساكر السلطان حسين وسلب ثوب عزه فنبذ بالعراء ملتحفا من ظنونه ثوبي خيبة وحين ودهمه من البلاء ما أنساه سلبه فرجع بخفي حنين وعرّج على وجهه قاطع الفلاة حتى وصل الى ابن خاله شاه رخ صاحب هراة فلم تطل له عنده مدة فاما سقاه هلكا واما مات حتف أنفه عنده فكان ذلك آخر العهد بسلطان حسين ورجع خليل سلطان الى دار ملكه قرير العين

بقية ما جرى لبير محمد عما قصده من فرح وهم وكيف آل ذلك الى وبال وحزن فنقض ما تم

ثم ان بير محمد تمادى في غروره واستمر يرتع في روض الطلب وسروره وتكررت بينهما دروس المراسلة وتحررت مسائلها بعد مطاولة المقاولة أن ينزلوا منازل

المنازلة ومجاولة وعلاج المقابلة والمقاتلة وكان متولي أمور ديوانه ومشيد قواعد ملكه وسلطانه شيخ ضيائي بير علي تاز حامي حقيقة باب الملك وفارس المجاز سرة بطحاء مملكته وقطب سماء دائرته وقدوة علمائه وأمرائه وقوة خوافي عسكره وقوادمه فخرج من سمرقند بعد ما ركز كل طود لوماله على قندهار وتوجه بعزم أمضى من البتار وحزم أنفذ من الخطار قائد ذلك الخضم المدار والسيل الثرثار والغمام المدرار حتى وصل الى جيحون فوقف منه التيار ثم أمر ذلك البحر العجاج أن يركب من جيحون الاثباج ويصادم منه تلاطم الامواج فرج الله البحرين هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج فعبروا منه بسفنهم الجسر وجاوزوه مجاوزة بني اسرائيل البحر وسار بتلك الأخشب حتى أرسى على ضواحي نخشب

(ذكر مقابلة العساكر الخليلية جنود قندهار بصدق نية والقائهم بعزيمتهم اياهم في أشر بلية)

وكان قبل ذلك خليل سلطان قد نجز أمره كما كان وبث أمطار مدد الايثار وقوى العزائم على الملوك بالاستحضار لجنوده من أمصار الجرايات وثمار الادرار ما يستمدون به لملاقاة شياطين قندهار فلبى دعوته العام والخاص وكل بناء من عفاريت الجنود وغواص واجتمع من أعيان أولئك الأعوان كل مطيع مقتطف ثمر احسان ذلك البستان من انس وجان وجاء ذلك البحر أفواج أمواج العساكر من كل مكان وهم ما بين رؤوس الجغتاى والجتا وكل فرعون من بلاد تركستان قد علا وعتا وفوارس فارس والعراق ورستمدار وجاء قرابية خراسان والهنود والتتار ومن كان تيمور أعده لمضائق الامور ولم يفارقه في حضر ولا سفر وأرصده لكل نائبة من خير وشر شهر

فوارس لا يملون المنايا * اذا دارت رحى الحرب الزبون

فاستأنف عليهم فواتح الفتوح واستخلص منهم لما دهاه كل صديق نصوح وأسبغ عليهم من دروع عطاياه السابغات وساعف على قامة آمالهم من حلل انعامه المضاعفات ففتحت عليهم الارض خزائنها وصبت عليهم من معادنها ولوازمها ظاهرها وكامنها فصار كل راجل منهم وفارس وقد تحلى فيما تحلى به من تلك النفائس

يزري بحسن هيئته على مخدرات العرائس فسار ونسمات النصر من انفسهم فائحه ولمعات الفتح من بوارق بشائرهم لائحه والسبع المثاني لأبواب النجح والفتوح في وجوههم فاتحه ولازال ذلك الراس يرمى ويمشى حتى حط على ضواحي قرشي وهي المدينة المذكوره فاستقرت تلك العساكر المنصوره وذلك يوم الاحد مستهل شهر رمضان سنة ثمانمائة وثمان فبات كل من ذينك الجيشين وقد ضم ذيله وكف عن التبذر والتبدد سيله وحفظ من الأغيار رجله وخيله واحيى في معتكف المراقبة الى الصباح ليله قلت

الى أن بدا ام الضيا في ظلامه * يلوح كدرج الماء من تحت طحلب

ولما سل الفجر صارمه الفضي وابرز ابريز ترسه ومسح على لوح الجو ما طرسه مسود الليل من دخان نقسه تهيأ كل من أولئك الاطواد للاصطدام واشتعلت في قلوب تلك القبائل نار الحمية للاصطلاء والاصطلام فعبى كل عسكره ما بين ميمنة وميسره ومقدمة ومؤخره ثم تدانوا وتكانوا وتطاردوا وتعاندوا وتراجزوا وتعاونوا وتعانقوا وتطاعنوا وتناجزوا وتعانوا والتقت الرجال بالرجال والخيل بالخيل وارتفع ظلام القتام الى رؤس الأسنة فرأوا في صلاة الظهر نجوم الليل وجرى في ذلك القسطل من كل قناة عيون السيل ثم عند منتصف النهار انكشف الغبار عن انطرود قيدوهار وسعد أولئك الكبار بار وعلاهم غبار العثار ثار وخبرهم بالانكسار سار وصيت خليل سلطان الى الأقطار طار والى الآفاق بالانتصار صار فولى بير محمد وعلى رأسه بحر الدمار مار وفي قلبه زناد البوار وار حتى كأن في قلبه جمر الغضا والعار فار وفي كبده نار لهب المرخ والعفار فار وجندلت رجاله وأوطئت أبطاله ونهبت أثقاله وتحوزت أمواله وسبي حريمه وعبيده وسلب طريفه وتليده وتشبث هو بأذيال الهزيمه وعلم ان اياب سالما نصف الغنيمه كما قيل

ايابك سالما نصف الغنيمه * وكل الغنم في النفس السليمه

ورجع خليل سلطان وقد استنار به الكون والمكان وأسفرت دولته واستطارت صولته وشكر الله الملك وأتم صيام رمضان في مكان يدعى حكدالك

﴿ذكر خروج عسكر العراق على خليل سلطان وتجاهرهم
بالخروج وقصدهم الأوطان﴾

ثم في ليلة الاثنين غرة شوال خرج من العراقيين الرؤس والأبطال ومعهم حريمهم
وأتباعهم وأولادهم وأشياعهم وكبيرهم شخص يدعى حاجي باشا وهم يجارون
تحت أمره كيفما شا وكانوا ذوي صولة وجوله وصحبتهم السلطان علاء الدولة ابن
السلطان احمد البغدادي لصلبه وكان قد وقع في أسر تيمور فسجنه في سجن شكنته
وكربه فأفرج عنه خليل سلطان وجعله عنده ذا مكانة ومكان فبينما الناس
مشغولون بأمور العيد رفع أيديهم أولئك الصناديد وكأنه كان تقدم لهم
بذلك مواعيد فخرجوا وتحت جنح الليل وشمروا وقصدوا رأس العراق الذيل
وطاقوا واخترقوا ما وراء النهر وما والاهما كل الميل لأنهم كانوا اعتقدوا أن دار
العراق أزلت بانيها ومياه أنهر سلطنتها عادت الى مجاريها فلم يقف أحد أمامهم
ولا مشى خلفهم ولا قدر على أن يربط عن السير رجلهم وكفهم فقطعوا جيحون
ووصلوا الى خراسان فتصدى لهم كل من سمع بهم من كل مكان فانفرط نظامهم
لعدم اتفاقهم فتقطعوا في البلاد قبل وصولهم الى عراقهم وأين ايران من توران
ودجلة من جيحان فعيد خليل سلطان في ذلك المكان ثم ألوى راجعا الى الأوطان

﴿ذكر ما فعله بير محمد بعد انكساره وما صنعه بعد وصوله الى قندهاره﴾

ولما وصل بير محمد الى قندهار واستقرت به الدار تلملمت أموره وصامت سول
قصوره مقصوره ودارت من سيارات عسكره بدوره بدوره وتسعرت سمومه وحروره
وتطاير شراره وشروره فتأرق وتحرق وتحرق أسفا قلبه وتخرق وتمزق غيظا
أديمه وانفرق وكان ذا حماقة وقلة لياقة فطير أجنحة مراسيمه الى سكان أقاليمه
واستنهض على خليل سلطان كل حبيب صحيح الود وكريمه واستطب لجريح قلبه كل
قريح الطعن والضرب وكل لديغ القلب وسليمه فلبوا دعواته بالإطاعة وأجابوا
نداءه بالسمع والطاعة ثم سالت الأودية والجبال بالخيل والرجال وأرسل الى
خليل يقول ضمن كتاب مع رسول ان أول مصافنا كان فلتة تقدمت وشرارة
تسهل في اطفائها فالتهبت وطمت ولو أني استقبلت من أمري ما استدبرت

وقدرت

وتحقرت ما استحقرت واستكبرت ما استصغرت لا انتصرت ربما انكسرت واعثرت على مرادي وما عثرت ولكن أضعت الحزامه فحرمت السلامه وتناولت أمرك برؤس الأنامل فأكلت يدي ندامه مع أن صلابة جندك وقوة ظهرك وعضدك ونبال نبالتك وساعد سعدك وعضب غضبك ورمح رشدك وحد صارمك وصرامة حدك انما كان رؤس العراق وما حصل لك منهم من الاتفاق وأما الآن فقد وقع منهم نفاق واتفق لك منهم عدم اتفاق وظهر تباعد وشقاق فعدمت لذلك كيدك واختل فكرك وجندك وها أنا قد جئتك بجد جديد وبالحد والحديد فاستعد للقاء وتيقن عدم البقاء فان الحرب كما علمت سجال وكما أديل لك علينا بالامس فان غدا الشامل لك يدال

﴿ذكر توجه بير محمد لمقابلة خليل سلطان ثاني كره وما حصل عليه في ذلك من كرة وفره وتوليته الدبر كما بدا أول مره﴾

ثم توجه بتلك الجنود والاعوان وقطع جيحون ووصل الى مكان يسمى حصار شادمان فتوجه اليه خليل سلطان ومعه من عساكر الرجال والفرسان وجراد الجيش وقتله وضعاد عسه ما يجري من الدم الطوفان فربتلك الاطواد والبحار وسرى وهو ما بين رامح وسار حتى وافى جنود قندهار وكان كما ذكر من قبل قد قدح في سواق أحشاء العساكر القندهارية من خوف نار الخليل زناد النبل فكانوا على وعي والسوع يخاف من جر الحبل فقبل أن يزعق لنفير ويضرب الطبل نفر من كل فرقة منهم طائفة وتنادوا أزفت الآزفة ليس لها من دون الله كاشفة فالبس بير محمد خلعة الخلع ولم يكن له بها طوق فالتجأ الى القلعة القلع وأرصد الابواب وأحكم الاسوار واستعد في حصار شادمان للحصار فأحاط به من العساكر كل جارح وكاسر ودار عليه من بني يافث كل سام وحام وجد في المحاصرة منهم كل طاعن وضارب ورام فتندم بير محمد على ما قصد في ذلك وتعمد وتذكر ما قال له أول الخواجا عبد الاول لكنه اعتذر بالقضاء والقدر فرماه القضاء بسهم جواب أجاد فيه وأصاب * وقال

وعاجز الرأي مضياع لفرصته * حتى اذا فات أمر عاتب القدرا

فانعكس منه كل رأى وقال وتغير عليه كل أمر وحال وذهب عنه نشاطه فما يبديه من ملك ومال ونفر عنه كل أسد أصلى للحرب نارا حامية لما سطا على حام وصال وحسم عمله سوء تدبيره كل ذى قرابة حين امله بالامانى الكاذبة كل سراب وآل وعزت شقق تدبيره على منوال تفكيره سدى ولحمة فلم يبق له من دون الله من وال

(ذكر ما صنعه بيرمحمد من حيلة عادت عليه بافكاره الوبيلة لان جدرانها كانت قليلة)

ولما عدم حوله أخذ فى أعمال الحيلة فاستدعى عدة مضبوطة من الجلود المخطوطة الجيدة الدباغ المصبوغة بالوان الاصباغ ثم فصلها لبوسا اشكل بوسا ونشر عليها المرايا المصقولة وبعض صفائح مصقوله وموهها واشكلها بالمسامير واحضر من سوقة بلده رؤس الجماهير واستكثر من الرعاع والهمج الجموع ثم أشعر تلك الدلاص والدروع ووزع على تلك الرؤس والظهور هاتيك الدروع فصار كلما صارت الشمس بازغه أصعد الى الاسوار وخارج البلد تلك الاسود وعليهم تلك الدروع السابغه فاذا رآهم الناظر من بعيد توهم رجالا ولم يعلم أنهم نقد العبيد واذا قرا آى ذلك العباد والجمهور الذى ملأ الفضاء كان كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء واستمر على ذلك مدة يقاسى المعاناة ويعانى الشدة وكان الذى تعاطى هذا المكر الجلى دستور مملكته أخى بيرعلى ومع ذلك كله لم تنفعه تلك الحيله وعادت عليه أفكاره الوخيمه ووساوسه الوبيلة وانكشف سره وانهتك ستره فضاق ذرعا وقصر منه باع الجلال ومع نقص عدده وعدده وزاده الدهر النكال

﴿ذكر اعتراف بيرمحمد انه ظلم وطلبه الصلح والقائه السلم﴾

فبسط بساط التضرع وطلب وسائط التشفع وعلم أنه لا عاصم من أمر الله الا من رحم فناشد خليل سلطان الله والرحم وقال معنى ما قالت

يعطى الكريم ولا يخل من العطا * والعفو شيمته اذا رقم الخطا

فاجاب خليل سلطان مقاصده وتأكدت من الطرفين معاقدة المعاهده بان لا يقصد أحد منهم بالاذى صاحبه واذا كان الله تعالى رفعه لا يضع من جانبه ويسلم اليه ما فى يده ويبقى على الود والصداقة فى يومه وغده ثم تحالفا أن لا يتخالفا وتواثقا أن يتوافقا وتصادقا أن يتصادقا وتعاقدا على أن يترافقا وتوافقا أن

لا

لا يتناولها ووفيا بالاول والذمه وراعيا القرابة والحرمه وانشمر كل عن صاحبه وعاد معه من قومه وذلك فى سنة تسع وثمانمائة

﴿ ذكر مآله ومآلهما ووقعة بين بير على وبير محمد أزاحت ثوب الحياة عنهما وأراحت الخلائق منهما ﴾

ولما وصل بير محمد الى وطنه واستقر بين خدمه وسكنه خرج عليه بير على تاز واستقل بدعوى الملك وامتاز ثم قبض عليه وكبله ثم انه خذله وجدله وشرع يقول وهو يصول ويجول أمور الدنيا اضطربت وأشراط الساعة اقتربت وهذه دولة الدجالين وأوان تغلب الكذابين والمحتالين مضى تيمور وهو الدجال الاعرج وهذا زمان الدجال الاقرع وسيأتى بعد هذا الدجال الاعور وان كان أحد يجزع من قرع باب السلطنة فانا أقرع فلم يجب أحد من الرؤس والاذناب سؤاله ولا أنعم له بما أقر عينه وأنعم باله اذ لم يوجد فى تناول هذا الامر لمحظور من مبيح ولم يكن لذلك الوعد فى مرام الملك غير المنيح والسفيح فدعا أربابه لكلها تفرها وخيفه فكشر كل فى وجهه أنيابه وجاذبه هذه الجبهه فلم يبق له قرار ولا ثبات فسل يده ومد رجله صوب صاحب هراة فبمجرد وقوعه عنده فى شرك الاقتناص قبض عليه واجرى عليه أحكام القصاص وصفا له الملك فتدهار من غير مضارب ولا مضار واستراح خليل سلطان أيضا من الانكاد والمضار

﴿ ذكر ما وقع من حوادث الزمان فى غيبة خليل سلطان ﴾

وفى هذه السنة بادرت بالهجوم تتار الروم ووصلوا بالعزم وقطعوا جيحون بالرحل وهو جمعهم من خوارزم وقصدوا بلادهم فتصدى لهم من كل جانب من شتتهم واباده وحصل لهم من عدم الاتفاق ما حصل لعساكر العراق وايضا فى غيبة السلطان خليل واشتغاله بهذا السفر الطويل اغتنم الفرصة خدايداد وشيخ نور الدين فتوجهوا الى سمرقند طامعين وأخذوا عليها ونهبوا ما حوالها فتحصنت منهم وترفعت عنهم فنهبوا اطرافها ورجعوا ونحو بلادهم انقلعوا

﴿ ذكر تجريد خليل سلطان الاجناد وتوجهه الى شيخ نور الدين وخدايداد ﴾

ولما رجع خليل الى سمرقنده أراح طوائف عسكره وجنده ثم دعا أصحابه ووجوه نحوهم أركانه وهيأ أنصاره وأطلابه وسار بتلك القبائل المضطربه والاسود الهوادر والفحول المغتلمه واستمر ذلك الطود الراسي يكون بين حركة وسكون حتى وصل الى سيحون وحين شرع في ذلك الطور والنار ذات النور على نهر سيحون في العبور رأيت البحر المسجور فاذعن له شاهرخيه وخجند وتحصنت منه تاش كند فتوجه لحصارها وعزم على هدم أحجارها فبعد أن حاصرها مدة وأذاقها الباس الجوع والشده جاءت الى طلب الامان وسلمت اليه قياد الاذعان فاجاب سؤالها ورفع بالصلح حالها ثم قفا آثارهما طالبا دمارهما

﴿ذكر ايقاد شيخ نور الدين وخدايداد نارا للخليل ليحرقاه فأطفأها الله تعالى ووقاه﴾

وكان خدايداد وشيخ نور الدين يحومان حول الحمى ويترقبان من فرص النهب والسلب معاني عسى ولعلما فتوجه وراءهما ورام اقتفاءهما فجعلا يرحلان عن رأى منه وسمع وينزلان عن أمل فيه وطمع وجعل يقتفيهما في كل منزل فاذا رحلا يتبع قفاهما وينزل وكان خليل سلطان معتمدا على عسكره معتقدا بحلول نصره وظفره فكأنه في بعض الليالي غفل عن التحرس وكان لهم في جيشه من دأبه التجسس والتحسس فخيب الظن وخانه ووسط على مكان يسمى شرابجانه وكان قد تقدم على الثقل فطار جاسوسهما اليهما بما فعل فاقبلا كالسيل وبيتاه بالليل فخرج من عسكره جماعه وكأنما قامت القيامة في تلك الساعه ثم تركاه وردّا وتزاعقا وندّا وتشتتا في المهامه والموامي ومن أين للسلطان اقتناص المرامي فكف عنهما عنان الطلب وقصد بالسلامة دياره وانقلب

﴿ذكر مفارقة شيخ نور الدين خدايداد وتقاسمهما تلك البلاد﴾

ولما كانت مودة خدايداد وشيخ نور الدين كالفخار وأساس ما بينهما من الصداقة كمن أسس بنيانه على شفا جرف هار اختلفا وما ائتلفا وتجاذبا شقة الشقاق ونفق في تبايعهما بضائع النفاق ولم يعلم أحد من راق وظن أنه الفراق فقرّ شيخ نور الدين نحو سغناق واستولى على تلك الاطراف والآفاق

﴿ذكر رجوع شيخ نور الدين الى الاعتذار والتنصل عند خليل مما كان منه وصار﴾

ثم أرسل شيخ نور الدين خليل سلطان واعتذر عما صدر منه من العصيان وطلب منه أن يقابل اساءته بالاحسان ويرجع اليه عوائد صدقاته كما كان فأجابه الى سؤاله وأسبل على سوأة جرمه ذيل النسيان وأرسل اليه امرأة عمه تومان

﴿فصل﴾ ولم يزالا على الوفاق وشق شقة الشقاق مرتفقا رتقة الرفاق حتى وقع خليل سلطان في الرباق وصفا لشاهرخ ملك سمرقند وراق توجه اليه شاه ملك مظهر الصلح ومضمر النفاق واستنزله بالمكر من قلعة سغناق بعد أن أحكما العهد والميثاق ووقع بينهما الاتفاق وأن يتلاقيا ركبانا ويتعاطيا الاشواق بعد السلام والاستسلام والعناق وكان في جماعة شاه ملك شخص يدعى أرغوداق ثم أقبل شاه ملك بجماعته ونزل شيخ نور الدين من قلعته وسار شاه ملك وحده من غير عدة وعدة وتعانق هو وذلك المغرور وبثا ما بهما في غيبتهما من أمور وسرور وشرور فأكد عليه الميثاق والعهد ووصى كل منهما ما يفعل الآخر من بعد ثم ودعه وانصرف واتصل بجماعته ووقف وسارع كل من جماعته بمفرده الى مصافحة شيخ نور الدين وتقبيل يده حتى أفضت النوبة الى أرغوداق فتوجه بما أضمره من الخداع والنفاق وكان في الشجاعة أسدا وكالفيل قوة وجسدا فوصل اليه وقبل يديه ثم التزمه عناقا وأحكمه اعتناقا فاقتلعه من سرجه وأهبط نجمه من برجه وقطع رأسه وجمع به ناسه ولما سمع بذلك شاهرخ طفق ينتدب ويصرخ ولعن شاه ملك ونهره وضرب أرغوداق وشهره لكن ما أمكنه وصل ما قطعاه ولا غرس ما قلعاه كما قيل وليس لما تطوي المنية ناشر واستمر مدة لا ينظر اليهما ثم بعد ذلك رضي عليهما واستمر خدايداد متشبثا بأذيال العناد مشتركا بين العتو والفساد غير مسلم الى الصلح القياد الى أن أباره الدهر وأباد وسنذكر كيف باد باعدامه وأباد

﴿ذكر أمر خليل سلطان ببناء ترمذ التي خربها جنكيزخان وتجهيزه العساكر لهذا الشان﴾

ثم في شهر صفر سنة عشر وثمانمائة ارسل خليل سلطان من الجنود عدة وأضافهم الى الله داد وضم اليهم من رؤس الاجناد الياس خواجا وابن قماري منصور

وتوكل قرقرا ودولة تيمور الى ترمذ مع آخرين ليعمروها فاستعمروا سائرين حتى
وصلوا الى ترمذ فجمعوا فى الحال احتياجاتهم من الاحجار والاخشاب والقرمد ثم
تقاسمت ثلاثة الرؤس أبدانها وعملوا على أن يتسوروا قلة أسوارها وحيطانها وجعلوا
يعملون ولا يلبثون ويبنون بكل ريع منها آية يعبثون وتركوا بالنهار أكلا وبالليل
نوما فأتموا بنيانها فى نحو من خمسة عشر يوما وحصنوا بروجها ومحلاتها وفرزوا دروبها
وطرقاتها ورفعوا أعلام مساجدها ومناراتها وبنوا مواضع أسواقها وأبنيتها ثم
أمروا الباقين من ذرية النازحين عنها من أهلها وكل من رحل من خراب عمرها الى
عمران سواها أن يرجعوا اليها ويقيموا عليها وكان أرباب تلك الساكنين قد
استوطنوا منها البساتين وبنوا فيها أسواقهم وبيوتهم وجمعوا فيها أسباب معاشهم
وقوتهم واستمروا على ذلك من وقت جنكيزخان الى وقت تيمور كوركان فكانوا
فى وطنهم آمنين وعن حركات الانزعاج والتنقل ساكنين فلما مات تيمور وحدث
شرور وأمور أراد خليل سلطان أن يصونهم وأرسل من شيد حصونهم وكانت
الجديدة عن العتيقة نحوا من فرسخ فصارت العتيقة أحصن من الجديدة وأرسخ
لاسيما وقد علا البانون منارها وهم يحكمون بصافح أقدام طود جبل أسوارها
بخلاف الجديدة فان قصورها ساكنها غير مشيدة وهى عن النهر بعيدة فلما ناجوا
الناس أن ادخلوا الى دار قراركم فكأنهم كتبوا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا
من دياركم فلم يثقل الله داء عليهم ولا اكترث فى ذلك ولا التفت اليهم ولم يظهر فى
ذلك عنادا ولكنه حشر فنادى أن كل من سبقت يده من أهل البلد الى شئ من
هذه الاماكن والعمائر الجدد فهو له من غير منازع ولا ممانع ولا مدافع ثم أمر
بانتقال الخبازين والقصابين والطباخين والسمانين وعين لهم منزلهم ومأواهم
ولم يتعرض لمن سواهم فجعلوا يبيعون على العساكر ويشترون ويربحون فى ذلك
ولا يخسرون فاختل نظام سائر الجمع اذ الانسان مدنى بالطبع فألجأهم الاضطرار
أن يتبعوهم بالاختيار فتفقد ما يليق به أحوال كل من كبيرهم وصغيرهم وورد
على ما اقتضته أوامره قواعد أحوالهم ثم عمر قرشى حنده وقفل الى سمرقنده

﴿ذكر ما فعله شاه رخ من جهة خراسان فى مقابلة ما فعله خليل سلطان﴾

ولما علم شاه رخ بما فعله خليل سلطان جهز طائفة من عساكر خراسان وجعل
عند ذلك السحاب المنجاب من بحر أمره أمير يدعى مضراب وهو أخو جهان شاه
الذي كان تيمور على محاصرة قلعة دمشق ولاه وأمر رؤس تلك الجنود أن يبنوا
قلعة تسمى حصن الهنود وهي من أقصى بلاد خراسان يفصل بينها وبين ترمذ نهر
جيحان ففعلت من البناء العساكر الخراسانية نحو ما أعربت عنه العساكر
الخليلية السلطانية وفي أثناء مدة البناء تراسل الله داد ومضراب وتصافيا وتواصلا
بالاحتشام والاحترام وتهاديا

*(اشارة الى ما حدث في أقاليم ايران وما جرى من سيول الدماء
منذ نضوب ذلك الطوفان)*

ثم ان السلطان أحمد وقرا يوسف رجعا الى العراق ووقع بينهما على سياسة الملك
الاتفاق واستقر السلطان أحمد في بغداد ووثب قرا يوسف على الجغتاي بالعناد
ليستخلص منهم ما استولوا عليه من بلاد وكتب الفتح على راياته آيات نصر من الله
فاستخلص ممالك أذربيجان بعد أن أباد طواغيتهم وقتل أميرانشاه ومد عنان
الكلام في استيفاء هذا المقام يخرجنا عما نحن بصدده من المرام الى أن وقع
بينهما الشقاق وتخبطت أذربيجان والعراق ثم قتل قرا يوسف السلطان أحمد
باشارة بسطام وذلك في شهور سنة ثلاث عشرة وثمانمائة من هجرة النبي عليه السلام
وأما عراق العجم فانها كانت أحصن أحم فاستقل بدعوى الملك متوليها بير عمر
فنهض عليه ذو قرابته يدعى اسكندر فقاتله وكسره ثم قبض عليه وقهر
واستقل بدعواه فتوجه اليه شاه رخ صاحب هراه فقبض عليه وأباده وجمع به
أهله وأولاده واستصفى بلاده فخلصت لشاه رخ ممالك العجم كلها وانثال الى خزائنه
من أموالها وأثقالها وطالها من غير أن يعاني في ذلك نصبا أو يقاسي في تحصيله تعبا
ووصبا مع أن مملكته كانت أوسط الممالك فلم يتطرق اليه أحد بسوء ولذلك وأنه
كان حسن الجوار قليل الحركة وأبوه قد حسم عنه بقتله ملوك العجم مادة شر وهلكه
فثبت في مكانه بين أسود شعبت وثبت وكبت ما له من الأعداء بما له من أصدقاء
وثبت فاهتزت أراضي دولته بنبات الثبات وربت وكان عيون السعد كانت

تراقبه وهو انس الملك تناجيه وتخاطبه بقوله شعر

نزهوا دلك عن سوانا والقنا * فيه نابا حل لكل منزه
واصبر طلسم لكنز وصالنا * من حل ذا الطلسم فاز بكنزه

﴿ذكر خروج الناس من الحصر وطلبهم أوطانهم من ما وراء النهر﴾

وفى أثناء هذه الحالات قصد الناس من سمرقند التبدد والشتات وطلب كل غريب وطنه وتحرك يبغى سكنه وقطنه اما باجازة واحتمال واما بهزيمة واختفا وأول من استجاز من أهل الشام وارام المسير شهاب الدين احمد بن الشهيد الوزير ثم تفرقت الطوائف عجما وعربا وتبددوا فى الآفاق شرقا وغربا ووقع فى سمرقند القحط وغلاء الاسعار ولم يرخص بين الناس سوى الدرهم والدينار ثم حصل بعد ذلك الرفاهيه واجتمع للناس الرجاء والامنيه وطاب الزمان وحصل الامان وذهب المقت وصفا الوقت وعند صفو الليالى يحدث الكدر

﴿ذكر ما اثار الزمان الغدار من دمار وبوار ألقى به الخليل فى النار﴾

وكان خليل سلطان تزوج بشاد ملك زوج سيف الدين الامير وملكه سلطان هواها فكان فيه كالأسير فمال بكل جوانحه اليها بحيث انه قصر نظره عليها وصارت محبته كل يوم تزداد وانست قصته قضية قيس وليلى وشيرين وفرهاد فكان كما قيل شعر

أعانقها والنفس بعد مشوقة * اليها وهل بعد العناق تدان
وألثم فاها كى تزول صبابتى * فيشتد ما ألقى من الهيمان
كأن فؤادى ليس يشفى الذى به * الى أن يرى الروحين يمتزجان

واستمر ذلك الى أن ران هواها على قلبه وأخذ بمجامع لبه وربط جوارحه وحل جوانحه وفصل قصاواسماه كانا بلسانه واتحدا فصار ينطق بلسانها وتنطق بلسانه وصارا ينشدان والى حالهما يرشدان

أنا من أهوى ومن أهوى أنا * نحن روحان حللنا بدنا

بل كانت القضيه بالعكس قلت

انما كانت بروح نفخت * هذه الاثنان منها فى بدنين

وكان لا يصدر أمر إلا عن رأيها ولا يستضيء في سياسة الملك إلا بنور زند كأنها
فسلمها قياده واتبع مرادها مراده وهذا من غاية البله والعته وكيف يفلح من
ملك انقياده امرأته وكان لها خادم قديم ليس من بني الأحرار ولا بكريم بل كان
من أطراف الناس يبيع في أول أمره البز والكرباس يدعى باباترمش بطرف
معمش ووجه مغبش وصورة قبيحة وسيرة غير مليحة وكان يتقاضى حوائجها
ويدخل عليها قبل وصول خليل سلطان إليها فلما وصلت مخدومته إلى ما وصلت
وحصلت لها المرتبة التي لغيرها ما حصلت ارتفعت درجة خدمها وزادت حشمة
حشمها واستفاد باباترمش من إضافته إليها التعظيم وبحسب كرامة المخدوم
يحصل للخادم التكريم فصار يرأس جماعتها ويسوسهم وعجالتها تحلى بحلاوة هم
القوم لا يشقى جليسهم ثم ترقى حتى صار عليه مدار أمرها ثم تخطت قدمه إلى
التكلم في أسباب الملك وغيرها ثم تدرج إلى فصل المحاكمات الديوانية وإجراء
القضايا السلطانية ثم ترقى إلى التولية والعزل وتعاطى ذلك على سبيل الجد
والهزل وانتهى في ذلك فصار دستور الممالك ولم يقدر أحد على رد كلمه لحدة
شوكته بقوة مخدومته فبسط يده ولسانه كما اختار وامتثل كل أحد ما أمر به وأشار
واستطال على الله داد وأرغون شاه فصار يبرم ما ينقضانه وينقض ما أبرماه وبلغ
في قلة الأدب إلى أن كان يمد رجله بحضرتهما ولا يقوم بذرة من واجب حرمتهما ثم
حجر أن لا تفصل قضية إلا بمشورته وإن كان غائبا فينتظر حضوره أو يتوجه إلى
حضرته ومن حين نبغ إلى أن بلغ ما بلغ كان نحوا من ثلاث سنين وصارت
الجغتاي وجندهم لا يثنون منه في العذاب المهين فحصل لالله داد وأرغون شاه من هذا
التدرج غاية الضرر ونهاية الحرج وبلغا الغاية في الإهانة والنكاية
وأعضل داؤهما وأعجز دواؤهما واستلذا ذهاب العيش وزواله على البقاء في
هذا الحال

❊ذكر ما افتكره الله داد ودبره في مراسلة خدايداد❊

ثم إن الله داد استعمل فكره ولكن أخطأت أسنة الحمرة فطلع قدرا فانقلبت عليه
ونسج كدود القز شبكة حتفه بيديه قلت

اذا انعكس الزمان على لبيب * يحسن رأيه ما كان قبحا
يعاني كل أمر ليس يعني * ويفسد ما رآه الناس صلحا

فلم يجد لتبريد الاكباد الامراء سلوة خدايداد طالبا عليه صورة هذه القضيه وأخبراه بما عن وضوح رجليه وأشارا عليه أن يتوجه بأمل فسيح ويقصد بعساكره سمرقند وخاطره مستريح فنهض من ساعته وتوجه بجيشه وجماعته ودب دبيب الدبا فوصل الى مكان يدعى أوراتبا فلما سمع بذلك خليل سلطان أرسل الى الجنود والأعوان وتعجب من وقاحته وتعوذ من كلاحته وجهز الله داد وأرغون شاه مع العساكر الجرارة للملاقاة فسارا حتى دانياه فقابلاه وما قاتلاه ثم أرسلا الى خليل سلطان يستعظمان العدو ويقولان ان هذا الرجل بلغ من ملاحاته وشدة دعارته وقلة مبالاته انه لم يتزعزع من مقامه ولا دخل ريح هيبتنا في صماخه فأمدنا بباقي العسكر وحصل تشوف لما يكون من الخبر وأرسلا أيضا أن هذا قد آذى وزاد فسادا وجاوز في عداوته تمردا وعنادا فأمدنا بنفسك وأدركنا بجدك وجهدك فان هيبتك أقوى وطلعتك أضوى وما ارتكب هذه الجرأة ولا أقدم على هذه الجيئه الا وقد أضمر شرا كبيرا وطوى في باطنه قارا وقيرا فأدركنا بباقي المقاتله فان هذه المرة تكون الفاصله فخرج خليل سلطان بقلب مطمئن وخاطر على حلول الحوادث متمكن وأمل فسيح وصدر منشرح معجبا بشبابه مغرما بأصحابه متمايلا بين أحبابه متهاديا بين أترابه في شرذمة قليله وطائفة نبيله أبعد ما عنده نزولهم وأشرد ما لديه حلول نكد وغم يفديه الكمال ويناديه لسان الجمال بقوله

تدللا فأنت أهل لذا كا * وتحكم فالحسن قد أعطاكا

فوصل بتلك العصابة السلطانيه الى قصبة تسمى سلطانيه فأرسل الله داد الى خدايداد أن الركاب السلطاني خرج من سمرقند في اليوم الفلاني وفي الساعة الفلانيه يحل كورة سلطانيه

﴿ذكر ما قصده خدايداد من الكيد ووقوع خليل سلطان في قنص الصيد﴾

فقصد خدايداد المخاتله وترك ثقله مقابل المقاتله ونبذ العساكر وراء ظهره

وتأبط شر شرار وهراوة مرة واستصحب من أبطال القتال ورجال النضال والنزول طائفة جاسرة غير خائفة على ما قيل شعر

رزانا اذا لاقوا خفافا اذا دعوا * كثيرا اذا شدوا قليل اذا عدوا

والتحف ذيل الليل ولما أظهر الحيل واستطرق الى مطلوبه طريقا عوجا واستقود الى مقصوده قواد الدجى كما قيل شعر

لا تلق الا بليل من تواصله * فالشمس نمامة والليل قواد

حتى وصل الى سلطانية وهى قصبة أنشاها تيمور ولم يكن لأحد به شعور فلم يفجأ خليل سلطان الا وقد جاءه موج البلاء من كل مكان فنهض كل من معه من الأصحاب وأخذوا فى الحرب والطعن والضراب وقاتلوا قتال الموت وأيقنوا حلول الفوت فمضت عليهم الحرب العضوض وطرحتهم ما بين مهشوم وموقوذ ومرضوض فقتل حقيرهم وجليلهم ووقع فى نار عدوهم حبيبهم وخليلهم ثم رجع خدايداد الى معسكره فائزا بنجحه مستبشرا بظفره

﴿فصل﴾ ثم ان خدايداد حلف لخليل سلطان بأشد ما يكون وأبلغ من من أنواع الايمان انه لا يقصده بأذى ولا يرمى فى عين معيشته بخيال قذى ولا يؤذيه بقول ولا عمل ولا يسلط عليه من يؤذيه بمكر ودخل وسيرى نتيجة ما حلف وان الله تعالى عفا عما سلف

﴿فصل﴾ ثم التمس منه أن يرسل الى الله داد فى دونه من الأجناد أن يستسلموا لخدايداد وأرسل خدايداد أيضا الى الناس بأنى قد استوليت منكم على الراس فان أطعتم فى أطعته وان لم تسلمونى قطعته ولما رقم خليل سلطان فى هذا الكرب تصور ان هذا اسم غرب ثم ظهر له مكان ذلك المكمن وتحقق كيف أخذ فى المأمن وعلم من أين صب ذلك البلاء عليه وأنى آخذه من ذلك الجانب الذى يأمن اليه فقال بلسان الحال

جزى الله عنا الخير من ليس بيننا * ولا بينه ود ولا نتعارف

فما سامنا خسفا ولا شفنا أذى * من الناس الا من نود ونعرف

ثم أرسل الى سائر الامراء ورؤساء الجيش والوزراء أن يستسلموا لخدايداد ولا ينازعوه ولا يدافعوه فيما يريد ولا يمانعوه فاستسلم الكل اليه واستقل ذراه

وسلم عليه فاستولى على تلك الجنود المجنده وتحصن من غوائل المخاتلة بالرماح المسدده والسيوف المهنده وقدم بجنود حصار وخجند وأغتام تركستان وطغام أوزكند وأشروسنه وسوى أولئك وتقدم الى سمرقند ولم يلتفت الى الله داد فمن دونه وتحقق الله داد أن صفقته في ذلك مغبونه فسلخ الزمان عنه ما كان ألبسه من ثوب عز وسلب ونزع من بين يديه ما كان فيه من جاه ومال وذهب وكان قيام ذلك الحشر في سنة ثمانمائة واثنتي عشرة

❊ذكر ما جرى من الفساد بسمرقند عند قدوم خدايداد❊

فوصل خدايداد الى سمرقند ودخل فتغيرت تلك الرسوم والدول وكأنه ظهر اختلاف الملل والنحل وكان له ابن يدعى الله داد فدعاه بالسلطان على رؤس الاشهاد وتفحص عن مكامن الخزائن ونقب في أطوادها عن الفلزات والمعادن ونقر عن مضمرات الضمار وبحث عن الخبايا والدفائن وتغيرت الأوضاع وتبدلت بالفظاظة رقاق الطباع وصاروا كما قيل شعر

أما الخيام فانها كخيامهم * وأرى نساء الحي غير نسائها

وتنكرت الصفات حتى كأنه تحولت الذوات أو بدلت الارض غير الارض والسموات شعر

وتنكرت أرض الغوير فلم يكن * ذاك الغوير ولا النقا ذاك النقا

❊(ذكر بلوغ هذه الامور شاهرخ بن تيمور وتلافيه تلك الحوادث وحسمه مادة هذه العوائث)❊

ولما اتصل بشاهرخ هذا الخبر عبس وبسر وأصحر وزمجر وازور وازبأر واكفهر وتنمر وجهه وتغير واستشاط وتقلق وولول واسترجع وحوقل وحرق وتنكد وتأوه وأنشد شعر

لقد هزلت حتى بدا من هزالها * كلاها وحتى سامها كل مفلس

ثم طير بطائق مراسيمه كل مطير الى أطراف ممالكه بجمع العسكر وأمر شاه ملك أن يسير غير مرتبك ويستديم السير ويسابق بمطاياه عتاق الطير فيتدارك ما انفرط من النظام ويطارد من يرد ممالكه الاغتام الطغام فلا يدع راتعهم أن

عجل ويعاجل مستعجل قدرهم أن عجل فصار شاه ملك في الحال بعساكر في المدد كالجبال وفي العدد كالرمال ثم أتبعه شاهرخ بسائر الاساوره وكواسر الاكاسره وسار لا يلوي على أحد ولا يسكن في حركته الى طالع ولا رصد حتى وصلوا جيحون وعبروه شطوا رجهه وستروه فانبسط ذلك السيل على وجه الماء فكان البحر غطي بالغمام المتراكب وغرق في بحر الطباه

(فصل) ولما قطع البحر تلك الأطواد واتصل الخبر بخدايداد تيقن أنه لا طاقة لذبابه وقروده بذئاب جنود شاهرخ وأسوده وأن خليل عساكره تفرقعنه ويسلمه ويقبض عليه ولشاهرخ يسلمه فأسرع في تجهيز آربه وبادر الى تجهيز مطالبه وأخذ ما وصلت يده اليه من أموال وأوسق ما بلغت طاقته من نفائس وأحمال واستصحب خليل سلطان وتوجه الى ايدكان وأودع الله داد وأرغون شاه وباياتمش في القلعه وأبى أن يستصحب أحدا منهم معه وترك شاه ملك أيضا في المدينه بفراق خليل ارهينه وبسلب ما كانت فيه من العز مهينه

ذكر ما جرى بسمرقند بعد خروج الجنود الجنديه وقبل وصول الشواهين الشاهرخيه

ثم لما رحل خدايداد وانفصل ولم يكن أحد من جهة شاهرخ وصل وما كان للناس ظهر ولا راس اراد الله داد وأرغون شاه أن يتوجها الى شاهرخ ويستقبلاه فرفع خواجا عبد الأول عليهما يده واقام انهوهما من الخروج من القلعة رصده واستعان بشطار المدينه وكان الله داد قبل ذلك أنكاه نكاية أورثته ضغينه كما قيل مصراع

من يزرع الشوك لا يحصد به عنبا

فلم يختلف في رياسته اثنان ولا انتطح فيما أمرهم به عنزان وصارت اشارته الآمرة الناهيه وتداول مراسيمه فيما بين الناس جاريه وأوامره المطاعة في تلك الأيام العاليه والمهم يرفع بينة الاعمادله ولم يزل خواجا عبد الأول يسوس الرعيه ويوصي على الله داد ورفيقيه ومن معهم ويشدد مضائق القضيه الى ان طلعت طلائع شاه ملك وأعقبتها العساكر الشاهرخيه

ذكر بدور بدور الدولة الشاهرخية في مطالع ممالك ما وراء النهر بعد غروب شمس الدولة الخليلية

فخرج أهل المدينة لاستقباله مستبشرين برؤيته بجبين هلاله فنزل في أحسن منزلته ووضع كلا من الناس في مرتبته ثم قبض على الله داد ورفقته وعاقبهم بأنواع العقاب وعسف في تعذيبهم واستخلاص الاموال منهم أنواع العذاب ثم قتلهم صبرا ونقلهم من الدنيا الى الاخرى الا بابا ترمش فانهم عاقبوه وبأنواع العذاب أذاقوه ففي بعض الايام وقد انكت فيه من العذاب الآلام أخذ الموكلين عليه ليطلعهم على قضية أو يذهب بهم الى خبيئة فراوغهم وهو في قيد وتسبق على حوض ماء عريض عميق فانسل من قراب أيديهم عضب يده الداق ورمى بنفسه وزخ في ذلك الماء على غفلة فغرق

﴿فصل﴾ ثم ان شاهرخ زار باه وأقام شرائط عزاه وجدد ترتيب القراء على تربته والقومه واستأنف معالم المرتبين في ذلك والخدمه ونقل الى خزائنه جل ما كان على حضرته من أقمشته وأمتعته وأسلحته وعفر بيادر الخزائن وحفر تخوم تلك الكنائن وشرع في تمهيد القواعد وترتيب مراتب الاقارب والاباعد

﴿فصل﴾ وقبضوا على شاد ملك واهانوها وشانوها بابتذال الامان صانوها وعصبوها بالعذاب عصب السلمه وهزوها لاستخراج الاموال منها هزات أعواد الثمامه ثم بعد ذلك الابتذال واستخلاصهم منها أنواع الاموال جزموها وأرشدوا منها الوثاق وشهروها منادين عليها في الاسواق واستقرت على شاهرخ الامور وارتفعت صدور وانقصمت ظهور وعلا انسان وانحط انسان فسبحان من هو كل يوم في شان عز شانه وتعالى سلطانه يغير الدول ويقلب الاحوال ولا يعتري سلطانه تغير ولا انتقال

﴿ذكر ما قصده خدايداد من اغتنام النكد والفساد وكيف آل ذلك النكال الى ان جرى عليه الوبال﴾

وأما خدايداد فتحيل في مكانه وخلا بخليل سلطانه فانه كانه جدد معه عهوده ومواثقه أنه أمضى مكره وبوائقه وذكر أن ذلك النكال والنكاد اغتفله معه ارغون شاه والله داد مع احسانه اليهم واسباله ذيل الانعام عليهم وانهم كافأوه مكافأة التمساح وقابلوا بافسادهم منه الاصلاح ثم قال له اذكر منه علمي أولا

وظاهرا

وظاهرا وانظر ما أفعله معك باطنا وآخرا وسأفعل معك ما يتحقق به خلوص الطوية وصدق النية بحيث يذهب الكدر ويبقى الصفا وينمحي الجفا ويثبت الوفا ونعيش باقي عمرنا متصافين وفي رياض الهنا متوافين متكافين فمحوا بماء الكتب في الواح صدورنا من المحبة والشفقة مساطير الاساطير المكتتبة في باب الحمامة المطوقة وسأردك ان شاء الله تعالى الى دارة عزتك وأجتهد في تحصيل ما يعيدك الى نشاطك وعزتك ثم خطب باسمه في اندكان وأمر بذلك في أطراف تركستان

﴿تتمة ما جرى من خليل وخدايداد من المعاقدات وتأكيد العهود والمودات الى أن أدركهما هادم اللذات﴾

ثم تأكدت بينهما وثائق الايمان وذهب خدايداد يستمد المغول لخليل سلطان وترك خليل سلطان باندكان وكان المغول لما بلغهم موت تيمور المخذول سلبوا قرارهم وأخلوا ديارهم ولجأوا الى الحصون وتشبثوا بأذيال كل كهف مصون كما ذكر أولا فلما تحققوا موته واستثبتوا فوته تنادوا بالامن والامان وجاوروا خدايداد في ذلك المكان وأرسلوا يهنئون خليل سلطان وبعثوا اليه هدايا سنية وتحفا فاخرة ملوكية من جملتها كرسي من ذهب أو رشة صاغه في قالب العجب فأكرم خليل سلطان رسلهم وأعظم برهم وأجل مقامهم حوارا وأجرا وجازاهم بكل حسنة عشرا فلك

الخير أبقى وان طال الزمان به ❊ والشر أخبث ما أوعيت من زاد

ولا زالت خلع المودة بينهم تنسج ووجوه المكارمة والملاطفة يوما فيوما تتبهج حتى جرى له ما جرى وجرى عليه من بحر القضاء والقدر ما جرى فساعة وصول خدايداد اليهم قبضوا عليه وأرسلوا الى خليل سلطان ينهون صورة الحال اليه وقالوا انا نعلم ما بيننا وبينك من خالص الوداد وانا عالمون بما وقع بينك وبين خدايداد وانه كان السبب في تبددك وخروج ملكك من يدك وقد جاء يستمد نالك فارسم لنا ما بدا لك فان رسمت قتلناه وان اشرت أمددناه وفي الجملة مهما أمرت نتلقاه امتثلناه فأرسل يقول قد علمتم كيف آداني ومزق عرضي وأخزاني وأخرجني

من ممالكي وسلطاني وغربني عن أهلي وإخواني وأذاقني إذ رأسني بمفارقة حبي وأوطاني والآن فقد جعلني ترسا يتقي بي الحوادث والبأسا وقد عرفتم كيف يريد أن يتصرف وعلى كل حال فالعارف لا يعرف ومع هذا فما رأيتم في ذلك من المصلحة فافعلوه ففي الحال قطعوا رأسه وإليه أرسلوه

﴿ذكر عود خليل سلطان من تلك الممالك أنه كان وقصد عمه شاه رخ ولعبه بالنفس مع ذلك الرخ﴾

واستمر خليل سلطان في ذلك المكان وأطراف تركستان يرسل بالفارسي الأشعار الرائقة وينشئ في حبيبته ما ينسي القصائد الزيدونية ويذكر ما هو فيه من الغربة وما جرى عليه من الفراق والكربة فيصدع بذلك القلوب ويفتت الأكباد إلى أن مل المقام في تلك البلاد فنفض منها ذيله وضم رجله وخيله وقصد عمه وركب الطريق وأمه فأكرم عمه مثواه ولم يذكر له أخبار ما أنشاه وضم إليه حبيبته ولم إلى خليل جليلته وقرر قاعدة ذلك الإقليم وشيده وولى فيه أولوغ بيك ولده ونقل إلى خراسان معشوقها ومعشوقها خليل سلطان ثم ولاه ممالك الري ولم يقم بها إلا أدنى شي وانتقل إلى رحمة الله وكان عمه دس له شيئا سقاه فدفن بمدينة الري وطوي نشر ذلك الحاتم أي طي وحين وقفت شاد ملك على هذا الخطب الجليل واشتعلت أحشاؤها بنار الخليل قالت لا ذقت فقدك ولا عشت بعدك وأنت ورنت وأنشدت وغنت شعر

سكنت السواد لأنني * فيه حليك الناظر
من عاش بعدك فليمت * فعليك كنت أحاذر

ثم أخذت خنجرا فوضعته في لبتها واتكأت عليه بقوتها فنفذ من قفاها وأحرقت بنارها كل من رآها فدفنا في قبر واحد وأمسى لسان حالهما ينشد شعر

أجارتنا إنا غريبان هاهنا * وكل غريب للغريب نسيب

وصفا للشاه رخ ممالك ما وراء النهر وخراسان وخوارزم وجرجان وعراق العجم ومازندران وقندهار والهند وكرمان وجميع بلاد العجم إلى حدود أذربيجان إلى يومنا هذا أعني سنة ثمانمائة وأربعين ونسأل الله تعالى حسن العاقبة بمنه

ولطفه والحمد لله رب العالمين

❁(فصل في صفات تيمور الذميمة وما جبل عليه من سجية وطبيعة)❁

وكان تيمور طويل النجاد رفيع العماد ذا قامة شاهقة كأنه من بقايا العمالقة عظيم الجبهة والرأس شديد القوة والبأس عجيب الكون أبيض اللون مشربا بحمرة غير مشوب بسمرة ضخم الأطراف عريض الأكتاف غليظ الأصابع مسبل الأكارع مستكمل البنية مسترسل اللحية أشل أعرج اليمنين عيناه كشمعتين غير زهراوين جهير الصوت لا يهاب الموت قد ناهز الثمانين وهو مع ذلك جأش متمكن وبدن مستمسك متين صلب الهمة كأنه صخرة صما لا يحب المزاح والكذب ولا يستميله اللهو واللعب يعجبه الصدق ولو كان فيه ما يسوءه لا يأسى على ما فات ولا يفرح بما يأتيه وكان نقش خاتمه راستي رستي يعني صدقت نجوت ويسم دوابه ويرسم سكته على الدرهم والدينار ثلاث حلق هكذا لا يجري في مجلسه شيء من الكلام الفاحش ولا سفك دم ولا من سبي ونهب وغارة وهتك حرم مقداما شجاعا مهابا مطاعا يحب الشجعان والأبطال ويستفتح بهم أقفال الأهوال ويفترس بهم أسود الرجال ويستهدم بهم وبصدماتهم قلل الجبال ذا أفكار مصيبة وفراسات عجيبة وسعد فائق وجد موافق وعزم بالثبات ناطق ولدى الخطوب صادق قلت

فكم قدحت آراؤه زند فتنة * حمته لدى البأسا وأردت قبائلا

شجاعا مدركا للمعنى والألغاز مرتاضا مستيقظ الحزم لا يخفى عليه تلبيس ملبس ولا يمشي عليه تدليس مدلس يفرق بين المحق والمبطل بفراسته ويدرك الناصح والغاش بدربته ودرايته يكاد يهتدي بأفكاره النجم الثاقب ويستتبع بآراء فراسته سهم كل كوكب صائب قلت

يشاهد أعقاب الأمور بعقله * كما شاهد المحسوس بالعين ناظر

إذا أمر بأمر أو أشار بشيء لا يرد عنه ولا يثني عنان عزيمته عن شيء منه لئلا ينسب إلى قلة الثبات وركاكة الرأي والحركات قلت

إذا قال قولا أو أشار إشارة * ترى أمره في ذاك كالنص قاطعا

وكان يقال له في ألقابه صاحب قران الأقاليم السبعة وقهرمان الماء والطين وقاهر

الملوك والسلاطين يحكى ان قاضى القضاة ولى الدين عبد الرحمن بن خلدون المالكى قاضى القضاة بمصر كان صاحب التاريخ العجيب والسالك فيه الاسلوب الغريب على ما ذكره كل من رآه واطلع على لفظه ومعناه من الاذكياء المهرة والادباء البررة ممن الى لم اره وكان قد قدم الشام مع عساكر الاسلام وحين دارت العساكر الادبار انشبته فى مخاليب تيمور الاقدار قال له فى بعض مجالسه وقد أنس بقوانسه بالله يا مولانا الامير ناولنى يدك التى هى مفتاح فتوح الدنيا حتى أتشرف بتقبيلها وقال له أيضا المراد أن يستصحبه معه وقد سرد عليه شيأ من تواريخ ملوك الغرب وكان تيمور مغرما باقراءة التواريخ واستماعها فاعجبه ذلك غاية الاعجاب ورغب منه فى استصحاب يا مولانا الامير عمر موجت من انيته ولى فيها نائب غيرك أو ان يجرى فيها غير أمرك ولى فيك عوض من طريقى وتلادى وأهلى وأولادى ووطنى وبلادى وأصحابى وأخدانى وأقاربى وخلانى وملوك الناس وعن كل ظهر وراس بل وعن كل الورى اذ كل الصيد فى جوف الفرا وما أتأسف ولا أتلهف الا على ما مضى من عمرى وانقضى من دهرى كيف تقضى ذلك فى غير خدمتك ولم تكتحل عينى بنور طلعتك ولكن القضاء جاز وسأستبدل الحقيقة بالمجاز وما أولانى ان أكرر على لسانى قوله

جزاك الله عن ذا السعى خيرا * ولكن جئت فى الزمن الاخير

فلاستأنفن فى دولتك عمرا ثانيا ولا عدن الزمان بابعادى عن عهدوتك عاديا ولأتداركن ما مضى من عمرى بصرف ما بقى فى خدمتك والتشبث بغرزك ولا حسبن ذلك أعز أوقاتى وأعلى مقاماتى وأشرف حالاتى ولكن ما يقصم ظهرى الا كتبى التى افنيت فيها عمرى وصرفت جواهر عقلى فى تصنيفها وخامشت نهارى وسهرت ليلى فى ترصيفها وذكرت فيها تاريخ الدنيا من بدئها وسير ملوك شرقها وغربها وانى ظفرت بالاعمالك واسطة عقدهم وخلاصة تقدمهم ولا طرزن بسيرك خلع دهرهم ولا صيرن دولتك هلال جبين عصرهم اذ انت أبو القاسم والبازغ بدر نصره فى شرق الغرب من دياجير الاعصم والمكاشف به على لسان كل ولى والمشار اليه فى الزوايج والجفر المنسوب الى أمير المؤمنين على وصاحب القران المنتظر فى آخر الزمان وهى فى القاهرة ولو حصلت عليها ما فارقت ركابك

ولا هجرت أعتابك والحمد لله الذى رزقنى من يعرف قيمتى ويعرف خدمتى ولا يضيع حرمتى مع كلام فصيح صادع بديع بليغ خالب خادع فاهتزت فرحا أعطافه وتراقصت مرحا أطرافه وأعجبه ذلك وأغراه ميله الى كتب التواريخ والسير واستهواه حب معرفة أحوال الملوك الذى ذكر حتى شده عن مخايله بسحر هذا البيان البديع وسلبه ثم انه استوصفه بلاد الغرب وممالكها واستوضحه أوضاعها ومسالكها وقراها ودروبها وقبائلها وشعوبها كما هو دأبه وشأنه والقصد فى ذلك امتحانه لانه لم يكن محتاجا لذلك اذ فى خزائنه تصوير صور جميع الممالك وانما أراد بذلك معرفة مقدار علمه وكيفية أدائه وفهمه وكلمه فأملى كل ذلك من طرف لسانه كأنه يشاهده وهو جالس فى مكانه وشرح تلك الامور كما فى خاطر تيمور ثم قال له كيف تذكرنى وتجعلنى مع الملوك الاكابر ولم نتسلسل فى النسب تلك المفاخر وما نحن من يعاسيب النحل فانى تعدينا مع الفحل فقال أعمالكم البديعة أوصلتكم الى تلك المنزلة الرفيعة فأعجبه هذا الكلام وقال لجماعته اقتدوا به فانه امام ثم أخذ تيمور خبر القاضى بما وقع فى بلاده وما جرى بين ملوك الغرب وأجناده ولا زال يذكر له أخبار الناس حتى سرد عليه أخبار متعلقيه وأولاده فتحير القاضى من املائه وقال ان الشيطان ليوحى الى أوليائه ثم ان تيمور عاهد القاضى ان يتوجه الى القاهره ويأخذ أهله وأولاده وكتبه الزاهره ولا يلبث أكثر من مسافة الطريق ويرجع اليه بأمل فسيح وعهد بنيل الامانى وثيق فتجهز الى صفد واستراح من ذلك النكد

(فصل) وكان تيمور محبا للعلماء مقربا للسادات والشرفاء يعز العلماء والفضلاء اعزازا تاما ويقدمهم على كل أحد تقديما عاما وينزل كلا منهم منزلته ويعرف له اكرامه وحرمته وينبسط اليهم انبساطا ممزوجا بهيبه ويبحث معهم بمباحثة فيها الانصاف ولطفه مندمج فى قهره وعنفه مندرج فى بره

شعر
متفرق الطعمين مجتمع القوى * فكأنه السراء والضراء

وقيل

مر المذاق على أعدائه بشع * حلو الفكاهة للاصحاب كالعسل

وكان مغرما بأرباب الصناعات والحرف أى صناعة كانت اذا كان فيها شاطر

وشغف ببعض بطانته المضحكين والشعراء ويقرب المنجمين والأطباء ويأنس بقولهم ويصغي الى كلامهم ملازما اللعب بالشطرنج لكونه منقحا للفكر وكانت همته عن الشطرنج الصغير فكان يلعب بالشطرنج الكبير ورقعته عشرة في احدى عشر وفيه من الزوائد جملان وزرافتان وطليعتان ودبابتان ووزير وأشياء غير هذه وسيأتي وضعه والشطرنج الصغير بالنسبة الى الكبير كلا شيء مواظبا لاقراء التواريخ وقصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وسير الملوك وأخبار من مضى من الأنام سفرا وحضرا كل ذلك بالفارسي وقد تكررت قراءتها عليه وطنت نغماتها على أذنيه فقبض زمام ذلك وملكه حتى صارت له ملكة بحيث ان قارئ ذلك اذا غلط ردّه الى الصواب من الغلط وذلك لأن التكرار يعلم الحمار وكان أميا لا يقرأ شيئا ولا يكتب ولا يعرف شيئا من العربية ويعرف من اللغات الفارسية والتركية والمغولية حسب لا غير وكان يعتقد القواعد الجنكزخانية وهي كفروع الفقه من الملة الاسلامية ويمشيها على الطريقة المحمدية وكذلك كل الجغتاي وأهل الدشت والخطا وتركستان وأراذل الطغام كلهم يقدمون قواعد الملعون جنكزخان على قواعد الاسلام ومن هذه الجهة أفتى كل من مولانا وشيخنا حافظ الدين محمد البزازي رحمه الله ومولانا وسيدنا وشيخنا علاء الدين محمد البخاري أبقاه الله وغيرهما من العلماء الأعلام وأئمة الاسلام بكفر تيمور وبكفر من يقدم القواعد الجنكزخانية على الشريعة الاسلامية ومن جهات أخر أيضا وقيل ان شاهرخ أبطل التورة والقواعد الجنكزخانية وأمر أن تجري سياستهم على جداول الشريعة الاسلامية وما أظن لذلك صحة فان ذلك عندهم قد صار كالملة المرعية والاعتقادات المعهودة ولو اتفق انه جمع مرازبه ومرابطه في عسكره ويغلق أبوابها ويطلع عليهم من منظره ويفتح عليهم شيئا من هذا الباب لحاصوا حيصة الحمر الى الأبواب

﴿فصل﴾ وكان فريد الطور وحيد الغور لا يدرك لبحر تفكيره قعر ولا يسلك في طود تدبيره سهل ولا وعر قد أقعد في ممالكه نواميسه وأقام في سائر البلاد جواسيسه وهم ما بين أمير كاطلاميش أحد أمرائه وفقيه فقير كعبود المكتبدار من أعيان ديوانه وكان ذلك في القاهرة المعزية ومعابدها في أحد

الصوفية

الصوفية بالشيخ صائية وما بين متسبب وتاجر ومصارع شرير وبهلوان فاجر ومكدو صنايعي ومنجم وطبايعي وقلندري قوال وحيدري جوال وبحري سباح وبري سياح وسقاء ظريف وحذاء لطيف وسلاة دلاله وشيخة محتالة كدلة المحتالة ومن مرت به التجارب وذرب أكباد الابل مشارق ومغارب وبالغ فيما هو بصدده من المكر والاحتيال منزلة الكمال وألف بلطيف ختله ودهاه بين الماء والنار والهدى والضلال وجاوز في الحيل والمكيدة ساسان وأبا زيد وألزم في حكمته وجدله ابن سينا وأسكت في منطقه اليونانيين اذ عكس عليهم القضايا بجمع بين المتنافيين وألف بين المتعاديين قلت

فاق من قاد للعدى كل جيش * بكلام ثنى البعيد قريبا *
مزج النقل في القياد بعقل * فهدى عاشقا وأهدى حبيبا

وكانوا ينهون اليه حوادث الاطراف وأخبارهم ويكتبون اليه ما قدموا وآثارهم ويذكرون لديه أرزاقهم وأسعارهم ويصفون منازلهم وأمصارهم ويصورون سهولهم وأوعارهم ويخطون بيوتهم وديارهم ويبينون مدى ذلك بعدا وقربا وما في ذلك ضيقا ورحبا وجهات وأقطارا شرقا وغربا وأسامي الامصار والقرى وألقاب المنازل والذرى وأهل كل مكان ورؤسائه وأمرائه وكبرائه وفضلائه وشرفائه وأغنيائه وفقرائه واسم كل ولقبه وشهرته ونسبه وحرفته وسببه فكان يطالع بفكره ذلك ويتصرف بتفكيره في سائر الممالك وكان اذا حل ببلد واجتمع به من أعيانها أحد شرع يسأله عن فلان وفلان وما جرى لفلان في الوقت الفلاني بما زاله من أمر وشان والى م آلت تلك الواقعة وكيف فعل فلان وفلان فيما كان بينهما من المنازعة فيبهت ذلك الرجل ناظرا ويظن أن تيمور كان في تلك الحالة حاضرا وكان كثيرا ما يطرح عليهم من أغاليط المسائل ويحكي صور مباحثات جرت لهم ورسائل فيتصورون أن له في ذلك العلم قدما أو كان منه للعلماء خدمه ولذلك تصور بعض الناس أن ذلك الوسواس الخناس كان مقيما بالسلارية وبعض بالغ حتى قال انه رآه في فقراء الشيخ صائية

﴿فصل﴾ ومما يحكى من فراسته انه لما نزل على سيواس وقد حصنها منه أولوا النجدة والباس قال لعسكره اعملوا الحيلة انا فتحوها في ثماني عشرة ليلة

فان كان كذلك فلا شك ان ذلك الاعرج كان ملهما أو مستدرج وكان ذا مغالطات
وحركات لها مغاورات اذا همه أمر يتعاطى دفعه وهو يظهر انه راغب فيه وربما
يظهر الرغبة عن شيء وهو مريد حصوله ومشتهيه وقد مر نظائر هذا كله فمن مغالطاته
انه اذا كان له في مكان روم أو أراد أن ينزل بساحة قوم قصد الاخفاء والتعميه
وطلب الايهام والتوريه وبحر عسكره لا يخلو من تمساح متجسس أو سرطان متحسس
ولو لم يكن لاحد في عسكره عين فان بزوغ العين لا يخفى على ذي عينين فانه يجمع
أركان دولته وأعيان مملكته وذوي آرائه ومشورته بحيث انه لا يتخلف منهم أحد
ولا يجزي مولود عن والد ولا والد عن ولد ثم يظهر لهم خفية أموره ويطلب منهم المشورة
في جهة مسيره ويطلق لهم عنان الكلام ويقول لا تثريب على من خاض في ذلك
من خواص الانام ناظر في عواقب الامور ما بين يوم وعام فليتكلم كل ولا حرج فسواء
هوى الى حضيض الخطأ والى أوج الصواب عرج فان أخطأ فلا انتقاص وان
أصاب فله أجران فيبذل كل جهده ويعاني في ذلك وكده وكده ويبدي في ذلك
ما أدى اليه اجتهاده ويتصور ان ذلك يوافقه مراده فتتفق الآراء على ناحية
من الانحاء ثم ينفض ذلك المجلس ويجتمع بأخصائه ويجالس كسليمان شاه وقاري
وسيف الدين والله داد وشاه ملك وشيخ نور الدين ويمحضون القضية محضا غير ذلك
ويبحثون فيها بحثا دقيق المسالك فيقع آخر الامر الاتفاق على التوجه الى بعض
الآفاق ثم يدعو رؤساءهم وسادتهم في ذلك وقادتهم ويأمرهم بالتوجه اليه
فيتصدعون على ما عول في ذلك عليه وحين تقوض الظلام خيامه وينشر رائد
الصبح أعلامه ويضرب الكوس للرحيل ويأخذ الناس في التحميل ويتوجه
الناس الى الجهة التي أمرهم بالمسير اليها ووقع الاتفاق عليها دعا عشية بعد
ما حملوا وأخذوا في المسير وأمرهم أن ينحازوا ويرحلوا الى جهة أخرى لم يكن أبداها
لاحد من الجماعة الا في تلك الساعة ولولا الضرورة لما أفشاها ولا أعاد سريرتها
لاحد ولا أبداها فيضرب الناس ضربا ويضرب ضربا ويأخذ العسكر شرقا
ويأخذ غربا فتضطرب تلك الاطواد وتختبط وتنفرط عقود نظامهم ولا تكاد
تنضبط وتحل قوائم مواشيها من المسير وترتبط ويموج بعض الناس في بعض
وينعكسون تماما في أرض طولا وفي عرض ويتوله كل أحد ويتدله ولا يدري الى

أين يتوجه فان كان فى عسكره من يثق به أمره براقب ذهابه ومجيئه فبمجرد ما رأى تحميلهم وشاهد تحويلهم ورحيلهم طار الى مخدومه وأظهر له ما فى معلومه من توجه العساكر الى الجهة التى اتفقوا عليها وانه شاهدهم بعينه وقد توجهوا اليها فيأخذ حذره أهل ذلك الجانب ويتحصنون بسائر الجوانب من النوائب فلم يشعر الا وقد دمر على الجانب الذى قصده وخطبه ونبذه من نار العذاب الموقدة فى السعير والحطمه وكم كان له من دهاء ومكر خفى وذكاء ومن جملة ذلك انه لما كان بالشام وقد قابلته عساكر الاسلام أشاع أن سوار أساورته تخلخل وتأخر قليلا الى وراء وتحلل وأذاع انه أعوزته ورحله الزاد وانه صائب صوب بغداد ثم أسفرت القضيه عن ان انهزمت العساكر المصريه وكان قصده بذلك تثبيت جاشهم واستقرار رؤسائهم وأوباشهم وان يكر كل منهم على ما ازم فيربض فى مكانه ولا ينهزم فيحيط بالكل كيده ويصير المجموع صيده ومما يحكى من شدة عزمه وثباته على ما يقصده وحزمه وحلول نقمته عن يعارضه ويعاكسه فيما يرومه ويناقضه أنه لما توجه بالجنود الى بلاد الهنود بلغ الى قلعة شاهقه أقراط الدرارى بآذان مراميها عالقه ورسوم النجوم الطارقة تتعلم الاصابة من رشاقة سهامها الراشقه كان بهرام فى هواها أحد سواطيرها وكيوان فى مسرا خادم نواطيرها والشمس فى استوائها قرة عينها وقطرات السحاب فى الانسكاب تترشح من قعر معينها وشقة الشفق الحمراء على آذان مراميها وانوف أبدانها سرادق وكرباب نجوم القمة الخضراء عيون مكاحلها وأفواه مدافعها طابات وبنادق فيها من الهنود طائفه ثابتة الجنان غير خائفه حوت أهلها وما تخاف عليه الى الاماكن الحرزه وتثبتت هى فى تلك القلعة حافظة لها محرزة مع انها قد ذمة قليله وطائفة دليله لا خير عندهم ولا مير ولا فائدة سوى الصبر والضير ولا للقتال عليها سبيل ولا حواليها لاحد مبيت ولا مقيل بل هى مطلة على القاتله مستمسكة من المعاقله فأبى أن يجاوزها دون أن يناجزها بالحصار ويناجزها والاديب العاقل ما يترك خلفه وراءه معاقل فجعلت المقاتلة تنازلها من بعيد ونصب كل من أهلها عليهم من أسباب المنايا ما يريد كما يريد فكان كل يوم قتل من عسكره ما لا يحصى والقلعة تزداد بذلك اباء واستعصاء وهو يأبى الرحيل عنها الا أن يصل الى غرضه منها ففى

بعض أيام المحاصرة ظهروا وبواسطة المطر انحصروا وصار بعضهم على القتال
وركب لينظر ماذا يصنعون في تلك الحال فلم يرتض أفعالهم لما عكست أرجالهم
أحوالهم فدعا منهم رؤس الامراء وزعماء العسكر والكبراء وأخذ يمزق أديم
عرضهم بشفار شتمه ويشق ستر حرمتهم بمخاليب لعنه وذمه ونفخ الشيطان في
خيشومه فألهب فيهم نيران غضبه وشؤمه وقال يا لئام وأكلة الحرام تتقلبون
في نعماي وتتوانون عن أعداي جعل الله نعمتي عليكم وبالا والبسكم بكفرانها
خيبة ونكالا يا فاجري الذمم وكافري النعم وساقطي الهمم ومستوجبي النقم
ألم تطؤوا أعناق الملوك بأقدام أقدامي وتطيروا الى آفاق الدنيا بأجنحة احساني
واكرامي وتفكهوا بغلبات الفتوح بحسام سواقي وتنزهوا في متنزهات الاقاليم
سوائم تحكمكم بتربية دولتي بي ملكتم مشارق الارض ومغاربها وأذبتم جامدها
وأجمدتم ذائبها شعر

ألم أك نارا يصطليها عدوكم * وحرزا لما ألجأتم من ورائيا
وباسط خير فيكم بيمينه * وقابض شر عنكم بشماليا

ولا زال يقرعهم ويعنفهم ويهددهم ويبرطم وهم مطرقون لا يحيرون جوابا ولا
يملكون منه خطابا ثم ازداد حنقا وكاد أن يذوب خنقا فاخترط السيف بيده
اليسرى وهجم به على قوم أولئك الاسرى وهم أن يجعل رقابهم قرابه ويسقي
دماءهم فرنده وذبابه وهم على تلك الحال في الخزي والاذلال باذلون نفوسهم
ناكسو رؤسهم ثم تراجع وتقاعس وملك نفسه فلا وتمالك فأغمد عن تشريقهم
حسامه ولم يلو لأمر قلة ولا دبرة فغلف غربه وشامه ثم نزل عن مركبه واستدعى
الشطرنج الكبير ليلعب به وكان عنده شخص يدعى محمد قاوجين وعليه ذو
إمكان مكين ومقام أمين مقدم على كل الوزراء ومبجل دون سائر الامراء مسموع
القول مقبول الرأي ميمون النقيبة محبوب الشكل فتشفعوا اليه وعولوا في
حل هذا الاشكال عليه وقالوا ساعدنا ولو بلفظه وراقبنا ولو بلحظه واعمل
معنا بهذا المعنى قال شعر

ساعد بجاهك من يغشاك مفتقرا * فالجود بالجاه فوق الجود بالمال

وبما قيل

واعون

وأهون ما يعطي الصديق صديقه * من الهين الميسور أن يتكلما
وقيل
وإن امرأ أقدى عن غير منطق * يسد به من خلة لضنين

فأجابهم والتزم أن يرده عما ألزمه به وأزم وراقب مخايل المقال وراعى فرص المجال وأخذت أفكار تيمور تفور في أمور القلعة وتغور وجعل يستضوي أضواءهم ويستوري آراءهم ولا يسع كلا منهم إلا القبول لما يستصوبه رأيه ويقول ففي بعض الأحايين اتفق أن قال محمد قاوجين وقد زلت به القضاء وأحاطت به نوازل البلاء أطال الله بقاء مولانا الأمير وفتح بمفاتيح آرائه ورايته حصن كل أمر عسير هب أنا فتحنا هذه القلعة بعد أن أصيب منا جانب من أهل النجدة والمنعة هل يفي هذا بذا ويوازن هذا النفع بهذا الأذى فما احتفل بخطابه ولا اشتغل بجوابه بل استدعى شخصا من المرقدارية فظا في المنظار ذا مقالة زرية يدعى هرا ملك ذا عرق سهك ووجه بالسواد سدك أوسخ من في المطبخ وأسنخ من في المسلخ أما بالنكاطة ورث عرقه وصار الفقير حليب بالنسبة إلى عرقه فحين ما حضر لديه ووقع نظره عليه أمر بثياب محمد قاوجين فنزعت وبخلقان هرا ملك خلعت ثم ألبس كلا ثياب صاحبه وشد وسطه بحياصته وعادوا بن محمد وهو ساهر به وضابطي ناطقة وصامته وكاتبيه ثم نظر ما له من ناطق وصامت وذائب وجامد وملك وعقار وأهل وديار وحشم وخدم من عرب وعجم وأوقاف وإقطاع وبساتين وضياع ومماليك وأتباع وخيل وجمال وأحمال وأثقال حتى زوجاته وسراريه وعبيده وجواريه فأنعم بذلك على ذلك الوسخ وأمسى نهار وجود محمد قاوجين وهو من ليل تلك النعمة منسلخ ثم قال تيمور أقسم بالله وآياته وكلماته وصفاته وأرضه وسمواته وكل نبي ومعجزاته وولي وكراماته وبرأس نفسه وذاته لئن آكل محمد قاوجين أحد أو شاربه أو ماشاه أو صادقه أو صافاه أو آوى إليه أو آواه أو راجعني في أمره أو شفع عندي فيه أو اشتغل بعذره لأجعلنه مثله ولأصيرنه مثله ثم طرده وأخرجه وقد سلبه نعمته وأحرجه فصار مسلوب النعم قد حلت به نوائب النقم وعجبوه بالحلق ورأى نعمته على أقل الخلق واتصل غيره بالحلق وقطع منه الحلق فملقت حبة قلبه أي فلق واستمر على ذلك في

عيش مرّ وعمر طالك وحاشا أن تشبه قصته قضية كعب بن مالك فكان يستحلي
مرارة الموت ويستبطي اشارة الفوت وكل لحظة من هذا الحيف أشد عليه
من ألف ضربة بالسيف فلما مات تيمور أحياه ورد عليه خليل سلطان ما سلبه
حقدا اياه

(فصل) وكان من أبهته وعظمته وشدة شكيمته وهيبته وحرمته أن ملوك
الأطراف وسلاطين الاكناف مع استقلالهم بالخطبه واستبدادهم بالسكه
وانفرادهم بالزعامة والرياسه وقيامهم بأمور الايالة والسياسه كالشيخ ابراهيم
ملك ممالك شروان وخواجا علي بن المؤيد الطوسي سلطان ولايات خراسان
واسفنديار الرومي وابن قرمان ويعقوب بن علي شاه حاكم كرمان وحاكم منشا
وطهرتن أمير ارزنجان وسلاطين فارس وأذربيجان وملوك الدشت والخطا
وتركستان ومرازبة بلخشان ومراجيح مازندران وعلى الجملة فالطيعون من
ملوك ايران وتوران كانوا اذا قدموا عليه وتقدموا بالهدايا والتقادم اليه
يجلسون على أعتاب العبودية والخدمه نحوا من مد البصر من سرادقاته قائمين
بشرائط الأدب والحرمه فاذا أراد منهم واحدا أرسل اليه من الفراشين أو نحوهم
قاصدا فيهيب ذلك القاصد وهو يعدو كالبريد وينادي ذلك الواحد باسمه يا فلان
من مكان بعيد فينهض في الحال من هيبته مجيبا لبيك لبيك دعواه ويعدو نحوه
متعثرا في اذياله متلقيا ما برزت به مراسيمه بقبوله واقباله مطرقا رأس التذلل
والخضوع مصغيا بآذان الخنوع والخشوع مفتخرا على أضرابه لكونه أهله
ودعاه واعتنى به وقيل كان أناس من جماعته يلعبون بالنرد فافترقوا فرقتين
واختلفوا في نقش الكعبتين فقال أحد اللاعبين ورأس الأمير تيمور كذا وكذا
كان نقش الكعبتين فرفع يده خصمه ولطمه وسبه ولعنه وشتمه كأنه ذبح
يحيى أو زكريا نشر أو كفر بمحمد أو قدم موسى على أبي البشر وقال يا ابن الفاعله
والفاعل ابن الفاعله بلغ من انتهاكك الحرم أن تذكر الأمير تيمور بفم وأنى
لك أن تجعل خدك موطئ مداسه فضلا أن تحلف برأسه انه لأجل من أن يتفوه
مثلي ومثلك باسمه أو يتلفظ بشيء من محدوده ورسمه وانه لأعظم من كخسرو
وكيكاوس وكيقباد الذين ملكوا المشارق والمغارب وأنظم من بختنصر وشداد

وقيل

وقيل انه قصد في بعض الاوقات الاصطياد وأرسل عينه ويسرة على العادة طوائف الجيش والأجناد ورسم أن يخرج مشاة تلك الرقاع ورجالة تلك القرى والبقاع فيمتدوا في الوهد واليفاع وحين تلتئم على الوحوش حلقة الكيد ويصح ان يتنازع فلا رمي وأصمى كلامن عمرو وزيد لا يشير أحد بضربة ولا طعنة ولا رمية الى صيد بعدا ثم يردون أوابد تلك البيداء الى بهرة ذلك البيد فامتثل كل ما به أمر وحين صار كالبنيان المرصوص صف تلك الأحزاب والزمر وأحاطت صافات تلك العساكر بالوحوش احاطة النجوم بالقمر ماجت بحار الوحوش في ذلك البر ولم تجد لها من دردور تلك السيول الغامرة من مخرج ولا معبر فدارت ومارت وثارت وحارت وثارت وبارت واستجارت بعد ما جارت واستكانت بعد ما زأرت وانطوت أرضها التي طالما طويها انتشرت وطرزت خلع أعلامها بأعلام واذا الوحوش حشرت فبينما هي على تلك الحال في أشد ما يكون من الأهوال أمر بأن تضرب الطبول من كل الجهات وينفخ في صور المزامير والبوقات فدق الكوس وزعق النفير وامتلأت الدنيا من الشهيق والزفير ورجت الارض رجا ومارت الاقطار هرجا ومرجا وحين سمعت السباع صوت الطبول ورأت الوحوش هذا الامر المهول سقطت قواها وتقطعت كلاها وجثت وما انبعثت ثم تقاربت وتلاصقت وتقارنت وتضامت وتصورت أن القيامة قد قامت فأخذ بعضها بعنق بعض ونامت فعانق الثور منها اللبوه وضاجع الاسد فيها الظبيه واختفى السرحان بين الغزلان واستجار الثعلب ببنات الأرنب ولاذ بالأروى النعام والأرنب بالعقاب وعاذ الضب بالنون واليربوع بالغراب فعند ذلك أمر الاطفال من أولاده وأولاد الامراء وأحفاده أن يرموا ويصموا ويقنوا مهما أرادوا ولا يطلبوا وجعل ينظر اليهم ويتفرج عليهم ويزهزه لأفعالهم ويقوقه على أحوالهم ويجرؤهم على الاقدام والنضال ويشجعهم بذلك على صيد الابطال وجعلت حواشي الجيش تجزع على ما أصموا وتجهز على ما اغروا وصار ذلك المسد يترنم وينشد شعر

صيد الملوك أرانب وثعالب * فاذا ركبت فصيدي الأبطال

﴿فصــــل﴾ وكان يحمل اليه البطش من البشان والعسر وزجه من نيسابور

وكازرون ومعادن خراسان والياقوت من الهند والماس منها ومن السند واللؤلؤ
من هرمز والقطيف والحسا والبشم والمسك وغيره من الخطا ومن سائر الأقطار
خالص الفضة ومصفى النضار

(فصل) وأنشأ في سمرقند بساتين عديده وقصورا شوامخ مشيده كل له
ترتيب غريب ووضع أنيق عجيب أحكم أساسها وطاول بالنسر الفواكه غراسها
سمى أحدها بستان ارم والآخر زينة الدنيا والآخر جنة الفردوس والآخر بستان
الشمال والآخر الجنة العليا ثم انه هدم مصرا وبنى في كل بستان منها قصرا
وصور في بعض هذه القصور مجالسه وأشكال صورته تارة ضاحكة وأخرى عابسه
وهيآت مواقعاته وصور محاضراته ومجالس صحبته مع الملوك والأمراء
والسادات والعلماء والكبراء ومثول السلاطين بين يديه ووفودها بالخدمات من
سائر الاقطار اليه وحلق مصائده وكمائن مكائده ووقائع الهند والدشت والعجم
وصورة انتصاره وكيف انكسر عدوه وانهزم وصورة أولاده وأحفاده وأمرائه
وأجناده ومجالس عشرته وكاسات خمرته وسقاة كاسه ومطربي ايناسه
وتغزلات مقاماته ومقامات تغزلاته وحظايا حضرته وخواتين مملكته الى
غير ذلك مما وقع له من صورة حادثة في الممالك مدى عمره المتقارب المتدارك كل ذلك
كما وقع ووجد ولم ينقص من ذلك شيأ ولم يزد وقصد بذلك الافاده لمن كان عالم
الغيب عن أحواله بالشهاده فكان اذا توجه الى مكان وخلت سمرقند من الظلمة
وأعوان الشيطان تفسحوا تلك البساتين ويتوجه اليها أهل المدينة الأغنياء
والمساكين فلا يوجد أعجب منتزها منها ولا أحسن ولا أرفق مرتفقا ولا آمن
وأما ثمارها الطيبة فانها مسبله بحيث انه لا يباع منها قنطار بخردله وأنشأ في
ضواحي سمرقند وأطرافها قصبات سماهن بأسماء كبار البلدان والامهات كمصر
ودمشق وبغداد وسلطانية وشيرازه رأس البلاد وأنشأ بستانا في ضواحي
سمرقند على طريق الكش وبنى به قصرا عمادا تخذت قرابا حكى أن بعض مشيدي
عمارته ضاع له فرس واستمرت ترعى في البستان ستة أشهر حتى وجدوها

(فصل) ونساؤه الملكة الكبرى وهي أقدم وأكمل والملكة الصغرى
وهي أحسن وأجمل وهما من بنات ملوك الخطا وتومان بنت الامير موسى أمير

نخشب المار ذكره في اول الكتاب وحلبان كانت كالبدر عند الكمال
وكالشمس قبل الزوال قتلها في حياته لشيء بلغه عنها وكان غير واقع وانما فعل
ذلك معها لانه قيل ان سعد وقاص كذبا وأظنها كانت من الخطايا وأما السرارى
والخطايا فأكثر من أن يحصين فالمتكان المذكورتان عمتهما شاه ملك خوفا
منهما على خليلها وتومان أرسلها خليل سلطان الى شيخ نور الدين بسغناق كما مر
وبعده جاءت الى سمرقند وسمعت انها عزمت في يومنا هذا أعني سنة أربعين وثمانمائة
على الحج والله تعالى أعلم

(فصل) أولاده وأسباطه المتخلفون من بعده أميرانشاه قتله قرا يوسف كما ذكر
وشاهرخ وهو المتملك في يومنا هذا وبنت تدعى سلطان بخت زوج سليمان شاه كانت
مترجلة لا تحب الرجال وذلك لما أفسدها النساء البغداديات القادمات سمرقند ولها
تواريخ سوء أحفاده غالبهم انقرض الا أولاد شاهرخ وأمثلهم ألوغ بك حاكم
سمرقند وابراهيم سلطان حاكم شيراز وباي سنقر حاكم كرمان ماتا كلاهما في سنة
ثمان وثلاثين وثمانمائة وجوكى وهو الذي مشى على اسكندر بن قرا يوسف وشتت
شمله بعد موت قرايلوك وذلك في شهور سنة تسع وثلاثين وثمانمائة ثم مات في أواخرها

(فصل) أمراؤه ووزراؤه لا يحصون وأشهرهم من ذكر في هذا الكتاب وما
مات الا من الطبقة الثالثة من الأمراء والوزراء كذا أخبرني شيخي الشيخ علاء
الدين البخاري رحمه الله تعالى (دواوينه) الخواجه محمود بن الشهاب الشهروى
ومسعود السمناني ومحمد الساغرجي وتاج الدين السلماني وعلاء الدولة واحمد الطوسي
وغيرهم (منشئ ديوانه) وهو عبارة عن كاتب السر مولانا شمس الدين قاضي زمانه
وفاضل اوانه فارسيا وعربيا يعرف أخبار الانشاء كيف شاء كان قلمه في فتح أقاليمه
أنفذ من سنان مخدومه ولما مات تيمور احتجب وطوى بساط الأدب فقيل له
ضحكت البشرة الا تباشر وصفت العشرة فهلا تعاشر فقال ذهب الذي كان يعرف
قيمتي فانا لا أذهب في خدمة الاحداث حرمتي (امامه) عبد الجبار بن النعمان
المعتزلي (صدور مملكته) مولانا قطب الدين والخواجه عبد الملك وابن عمه الخواجا
عبد الاول وغيرهم (قارئ قصصه وتواريخه) مولانا عبيد (أطباؤه) فضل الله
وجمال الدين رئيس الطب بالشام كان وغيرهما وكان دائما يستعمل معاجين الاحجار

وفي سنة ثلاث يجتني باكورة الابكار (مخدوم) لا يحضرني أسماؤهم

(فصل) حصل في أيام استيلائه بسمرقند من الفقهاء مولانا عبد الملك وهو
من أولاد صاحب الهداية كان يلقي الدرس ويلعب الشطرنج والنرد وينظم الشعر في
حالة واحدة ونعمان الدين الخوارزمي أبو عبد الجبار المذكور كان يقال له النعمان
الثاني وكان أعمى والخواجا عبد الأول ابن عم مولانا عبد الملك انتهت إليه الرياسة في
ما وراء النهر بعد ابن عمه ومولانا عصام الدين بن عبد الملك انتهت إليه الرياسة في يومنا
هذا بعد ابن عمه عبد الأول ومن المحققين مولانا سعد الدين التفتازاني توفي في محرم
الحرام سنة احدى وتسعين وسبعمائة بسمرقند والسيد الشريف محمد الجرجاني توفي
بشيراز ومن المحدثين الشيخ شمس الدين محمد بن الجزري كان أخذه من الروم وكان
قد هرب إليها من مصر بعد توجهه من بلاد الشام قبل الفتنة توفي بشيراز والخواجا
الكبير المفسر الحافظ المحدث محمد الزاهد البخاري فسر القرآن الكريم في مائة مجلد
توفي بمدينة النبي صلى الله عليه وسلم سنة اثنين وعشرين وثمانمائة ومن القراء مولانا
فخر الدين ومن حفاظ القرآن المجودين قراءة وصوتا عبد اللطيف الدامغاني
ومولانا أسد الدين الشريف الحافظ الحسيني ومحمود الحرق الخوارزمي وجلال الدين
أحمد الخوارزمي وعبد القادر المراغي الأستاذ في علم الأدوار ومن الوعاظ والمتكلمين
مولانا أحمد بن شمس الأئمة السراي كان يقال له ملك الكلام عربيا وفارسيا
وتركيا وكان أعجوبة الزمان ومولانا أحمد الترمذي ومولانا منصور القاقاني ومن
الكتاب المجودين السيد الخطاط ابن بنت كير وعبد القادر المذكور وتاج الدين
السلماني وغيرهم ومن المنجمين أناس برعوا لا أعرف من أسمائهم غير مولانا أحمد
الطبيب النحاس المستخرج قال لي استخرجت من زايجة الطالع الحملي سنه وكان
هذا الكلام في سنة ثمان وثمانمائة ومن الصواغين الحاج علي الشيرازي والحاج
محمد الحافظ الشيرازي وغيرهما ومن الحكاكين طائفة مجيدة وأمثلهم التون وكان
آية في فنه ينقش الفصوص ويحفر اليشم والعقيق بخط أحسن من ياقوت ومن
الشطرنجيين محمد بن عقيل الحلبي وزين اليزدي وغيرهما وعلامة ذلك علاء الدين
التبريزي الفقيه المحدث كان يعطي زين اليزدي بيدقا ويغلبه ولابن عقيل فرسا
ويركبه ولقد دوخ تيمور الأقاليم شرقا وغربا وقرى دست مصافاته كل سلطان

يصال

وكل شاه مات عنده جدا ولعبا وكان يقول له أنت في ملك الشطرنج فريد كما أنى
في سياسة الملك وحيد وكل منى ومن مولانا على شيخ في فنه ذو كرامات لم يوجد له نديد
وله في لعب الشطرنج وعلم مناصبه شرح وما كان أحد يقول انه ينتج ولاد فكره
في لعبه معه من غير طرح وكان فقيها شافعيا محدثا أريحيا حسن البهجة
صادق اللهجة حكى لي أنه رأى أمير المؤمنين عليا كرم الله وجهه في المنام وأنه
ناوله الشطرنج في كيس فلم يغلبه أحد بعد ذلك من الانام ومن أوصافه في لعبه أنه
كان لا يتفكر ويجرد ما يلعب خصمه بعد التفكر والتأمل الطويل ينقل من غير
أن يتدبر وكان يلعب على الغائب مع خصمين ويعلم مع الطرح ان هو في جهته على
الجهتين وكان يلعب هو والامير بالشطرنج الكبير ورأيت عنده شطرنجا مدورا
وشطرنجا طويلا والشطرنج الكبير فيه من الزوائد ما مر ذكره وهذه صورته

(١) موضع بيدق الرخ (٢) موضع بيدق الفرس (٣) موضع بيدق الذبابه (٤) موضع بيدق الطليعه (٥) موضع بيدق الزرافه (٦) موضع بيدق الشاه (٧) موضع بيدق الفيل (٨) موضع بيدق الجمل (٩) موضع بيدق الوزير (١٠) موضع بيدق الفرزين (١١) موضع بيدق البيدق (١٢) موضع الرخ (١٣) موضع الفرس (١٤) موضع الذبابه (١٥) موضع الطليعه (١٦) موضع الزرافه (١٧) موضع بيدق الشاه (١٨) موضع الزرافه (١٩) موضع الطليعه (٢٠) موضع الذبابه (٢١) موضع الفرس (٢٢) موضع الرخ (٢٣) موضع الفيل (٢٤) موضع الجمل (٢٥) موضع الوزير (٢٦) موضع الشاه (٢٧) موضع الفرزين (٢٨) موضع الجمل (٢٩) موضع الفيل

٢٣		٢٤		٢٥	٢٦	٢٧		٢٨		٢٩
١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧	١٨	١٩	٢٠	٢١	٢٢
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١
		٣			٢			١		
١٤	١٣	١٢	١١	١٠	٩	٨	٧	٦	٥	٤
٢٥	٢٤	٢٣	٢٢	٢١	٢٠	١٩	١٨	١٧	١٦	١٥
٣٦	٣٥	٣٤	٣٣	٣٢	٣١	٣٠	٢٩	٢٨	٢٧	٢٦

(١) موضع بيدق الفيل (٢) موضع بيدق الكشف (٣) موضع بيدق الثور (٤) موضع بيدق الرخ (٥) موضع بيدق الأسد (٦) موضع بيدق الزرافه (٧) موضع بيدق الطليعه (٨) موضع بيدق الوزير (٩) موضع بيدق الشاه (١٠) موضع بيدق الفرزين (١١) موضع بيدق الذبابة (١٢) موضع بيدق الجمل (١٣) موضع بيدق الفرس (١٤) موضع بيدق البيدق (١٥) موضع الرخ (١٦) موضع الفرس (١٧) موضع الذبابة (١٨) موضع الطليعه (١٩) موضع الزرافه (٢٠) موضع الكشف (٢١) موضع الزرافه (٢٢) موضع الطليعه (٢٣) موضع الذبابة (٢٤) موضع الفرس (٢٥) موضع الرخ (٢٦) موضع الفيل (٢٧) موضع الأسد (٢٨) موضع الجمل (٢٩) موضع الثور (٣٠) موضع الفرزين (٣١) موضع الشاه (٣٢) موضع الفرزين (٣٣) موضع الثور (٣٤) موضع الجمل (٣٥) موضع الأسد (٣٦) موضع الفيل

وطريقته تعلمه بالفعل أقوى وليس في شرحه بالقول كثير جدوى ومن المطربين
عبد القادر المراغي المذكور وولده صفي الدين وختنه نصر الدين وقطب الموصلي
واردشير الجنكي وغيرهم ومن النقاشين كثير وأعلاهم عبد الحي البغدادي وكان
ماهرا في فنه ومن المجلدين شهاب الدين أحمد الزردكاشي ومن نقاشي الزجاج
والنحاس وغيرهم ما لا يحصى وهؤلاء كل منهم كان علامة دهره وأعجوبة عصره ولو
رصعت على الالفاظ بجواهر أوصاف هؤلاء الأعيان لملأت الأكوان من فرائد
الجمان وقلائد العقيان وهؤلاء من حضرني ذكرهم أعرفه وأما من لا أعرفه
أو أعرفه ولا يحضرني ذكره فأكثر من أن يحصى وأغزر من أن يستقصى وحاصل
الامر أن تيمور كان جبى كل تحفة وجبى الى سمرقند غرائب كل شيء فكان بها من
أهل كل فن عجيب وأسلوب من الصنايع غريب من هو على جبين الفضل شامه
وبرز على أقرانه فصار في فنه علامه

﴿فصل﴾ وكان في سمرقند انسان يسمى بالشيخ العريان فقير آدمي بشكل
جني وعز سمي قبل ان عمر على ما هو فيه مشايخ وبين أكابرهم وأصاغرهم
ذائع ثلاثمائة وخمسين سنة مع أن قامته مستوية وهيئته حسنه كان المشايخ
المعمرون والاكابر المعمرون يقولون لقد كنا ونحن أطفال نرى هذا الرجل على
هذا الحال وكذلك نروي عن آبائنا الاكرمين ومشايخنا الاقدمين ناقلين ذلك
كذلك عن آبائهم والمعمرين من كبرائهم وكان أطلس وله قوة ناهضة وحدة
من رآه يتصور أنه لم يبلغ أشده لم يكن للكبر بوجهه تجعيد ولا أثر وكان الامراء
والكبراء والاعيان والصلحاء والفضلاء والرؤساء يترددون الى زاويته
ويتبركون بطلعته ويلتمسون بركة دعوته وفي سمرقند مسجد يسمى مسجد
الرباط يهب لمن يدخله الانشراح والانبساط والروح والنشاط وقيل ان أحمد
فوالله كان وليا يسمى الشيخ زكريا هو معتمد تلك البلاد ومزاره في مكان مشهور
على طود من الاطواد وقبره يستجاب عنده الدعا وهو عن سمرقند نحو يوم في المدى
وهو بالكرامات موصوف وفي كرخ هذه المقامات معروف وهو في ربوة ذات قرار
فيها جنات تجري من تحتها الانهار محفوف باليمن والانس كأنه اقتطع من حظيرة
القدس يحكى انه لما كان فاعلا في ذلك البنيان وقطع في جبهته قطعة من الطين

فرأى ذلك أحد المباشرين واستمر ذلك الطين على هذه الحال نحوا من ثلاث
ليال فلما أرادوا وضع المحراب وقع الاختلاف في الخطا والصواب وكثر في ذلك
الصخب والاضطراب فقال الشيخ زكريا ضعوا المحراب على هذه البقعة ولا تعدلوا
عنها يمنة ولا يسرة فقال ذلك المباشر في ذلك المكان حاضر يا للعجيبة والقضية
والغريبة رجل لم يغسل وجهه ثلاثة أيام يرشد الناس الى معالم الاسلام فقال
ذلك العابد الزاهد أو رجل هو من لم يتم ثلاثة أيام بوضوء واحد ولكن تعال أيها
الجاحد وقف مكانك وثبت جنانك ولا تكن ممن أنكر وتولى وانظر الى عروس
الكعبة كيف تجلى فنظر ذلك الذى انكر فاذا الكعبة أمامه تتخطر ثم التفتوا
الى الشيخ ففقدوه وطلبوه أرضا وسماء فلم يجدوه وهذا المسجد فيه شيء عجيب هو أن
أسطوانات من خشب من جملتها سارية شمخت ارتفاعا نحوا من خمسة عشر ذراعا
وغلظ جسمها وبدنها فلا يقدر الرجل على ان يحتضنها وباقي السوارى بها قد
حطن قيل انها شجرة قطن ولها خاصية عجيبة ظريفة غريبة من كان به وجع
الضرس يضع عليه مقدار حبة من خشب ذلك الضرس فانه ينفعه ويسكن في الحال
وجعه جربته فصح ويسأل من يدعى رؤية عرفند عما رأى فيها من العجائب
وشاهده من علامات الظرف والغرائب فان أخبر برؤية هذه السارية الفائقة
كانت رؤيا صادقة واعتقد بصدق الكلام والا كانت رؤيته أضغاث أحلام
(فصل) سمرقند ليس فيها كيل ولا صاع ولا يجرى على شيء من المكيلات
فيها بالكيل حسبان وانما معرفة حساب ذلك عندهم بالميزان ورطل سمرقند
أربعون أوقية كل أوقية بالمثاقيل مائة فيكون رطلهم أربعة آلاف مثقال كل
مثقال درهم ونصف من غير زيادة ولا اخلال فعلى هذا رطلهم بالدمشقي عشرة
ارطال حكى لى مولانا محمود الحافظ المحرق الخوارزمي ولقب بالمحرق لان سهام
ترجيعاته كانت تصيب حبات حشاشات اذ ترمى وتفوق نبال أوتارها نحو آذان
القلوب فتصمى طائرها ولا تخفى فان صدعت من القلوب حجرا تطاير من اتقاد اسها
في الارواح شرار فيحرق بزنانه الارواح ويشغل بنغماته الاشباح قال استصحبنى
تيمور في بعض أسفاره فكنت ملازم خدمته في ليله ونهاره فنزلت عساكره على
حصن لحصاره وضرب خيمته على مكان عال ليشرف منه على القتال ويتمرج في

صنع الرجال ففي بعض الزمان حضرت عنده أنا ورجلان وكان قد حصل له حتى أورثه كرباً وغماً وكانت سماء النزال ذات حبك واشتباك ورماح القتال في القوام واشتباك فاراد أن يطالع أحوالهم ويشاهد أعمالهم وأفرطت شهوته الى الهيمة فقال احملوني الى باب الخيمة فدخل ذانك الرجلان تحت أبطيه وأوقفاه بباب الخيمة وأنا بين يديه فجعل يشاهد حربهم ويتدبر طعنهم وضربهم ثم أراد أن يأمرهم بشيء فقال لي يا محمود الي فأسرعت اليه ودخلت تحت عضده فأرسل أحد الرجلين الى عسكره يأمرهم بما دبر من تجره وتدبيره فكأنه لم ير طائلاً ولم يرو غليلاً فقال انزلاني وعلى الارض ضعاني فوضعناه فسقط كأنه رمة بالية أو لحمة على بارية ثم أرسل ذلك الرجل الآخر اليهم وأمرهم بما اقتضته آراؤه وأكد عليهم فبقيت أنا وهو وحدنا لم يبق أحد عندنا فقال لي يا مولانا محمود انظر الى ضعف بنيتي وقلة حيلتي لا يد لي تقبض ولا رجل تركض ولو رماني الناس هلكت ولو تركوني وحالي ارتبكت لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً ولا أجلب خيراً ولا أدفع شراً ثم تأمل كيف سخر الله تعالى لي العباد ويسر لي فتح مغلقات البلاد وملأ برعبي الخافقين وأطار هيبتي في المغربين والمشرقين وأذل لي الملوك والجبابرة وأهان بين يدي الاكاسرة والقياصرة وهل هذه الافعال الا افعاله وهذه الاعمال الا اعماله ومن هو أنا غير سطيح ذي فاقه لا ناب لي في الدخول الى هذه الافعال ولا طاقه ثم بكى وأبكاني حتى ملأت بالدموع أرداني فانظر الى هذا الوزير كيف ملك بهذا القول مسالك القائلين بالجبر وأنشدوا فيه بالفارسي بيتين وهما شعر

نيم تنى ملك جهانرا كرفت * چشم كشا قدرت يزدان ببين
باى نه وتخت بزير قدم * دست نه وملك بزير نگين

(ترجمة فقلت دوبيت)

قد أظهر قدرته في سكه * من ملكه الدنيا في قسمه
لا كف له والملك في خاتمه * لا رجل له والتخت موطى قدمه

(فصل) وأما عساكره وطرائق سلوكهم فانهم على دين ملوكهم كانوا استدرجوا من حيث لا يعلمون ورزقوا من حيث لا يحتسبون مسخر لهم خفيات الدول

مفتوحة عليهم خبيات الخزائن ميسر لهم مكامن المطالب والمعادن كل طارف منهم قد جال وسطا وسار بطوق اللوم أهدى من القطا قد دبروا الامور وجربوا أحوال الدهور وقاسوا معاصر العصور وكابدوا المكائد وعالجوا الشدائد ومارسوا الاشيا وذاقوا الشمس والدنيا وعرفوا مداخل كل مارق ومخارجه وأدركوا مداركه ومعارجه لا يدهيهم داهيه ولا يطغيهم طاغيه يجاوزون بفراه ويجيزون بهمه صحراه شعر

لا يفزع الارنب أهوالها * ولا ترى الضب بها ينجحر

فيقف بعضهم ثم تراه ينظر الى أرض ذلك المكان وثراه ثم يقول ليس هذا الثرى من هذا الثرى ثم ينزل من دابته ويأخذ من ذلك التراب ويشمه ثم يلتفت الى جهاته الاربع فيقصد منها جانبا ويؤمه ثم لا يزال يسير بمن معه من الاعوان حتى يصلوا الى مكان فيحفرون ويخرجون كنز الدفائن وما في ذلك المكان من الاسلاب والخزائن وكذلك اذا وصلوا الى عمائر أو مروا على مقابر يتوجهون الى الخبيه كأنهم وضعوه بأيديهم وأودعت شياطينهم ذلك اليهم وربما يجيئون الى مقام مرحلي سلكه فيه أيام ومضى عليه فيه شهور وأعوام وفيه شئ مطمور لم يكن لصاحبه وسالكه به شعور فبمجرد دخولهم اليه يقع ذلك عليهم ويطلعون عليه وحين يطلع سالكه على ذلك يأكل ندامة وحسرة يديه وكان لهم درايات في دهرهم عجيبه وسهام آراء في غرضهم مصيبه وكانوا يحملون البقر ويركبونها ويسرجون الحمر ويلجمونها ويسابقون على ذلك أصحاب الخيل العراب الى قصبات المغانم فيسبقونها ويطعمون الخيل لحم الكلاب والجمل ويعتاضون عن شعير الفرس بالقمح والارز والدخن والزبيب والعدس وربما أعوزهم ذلك في السفر فأطعموا دوابهم لحاء الشجر حكى القاضي برهان الدين ابراهيم بن العوشة الحنفي المذكور رحمه الله تعالى ان قازان والتتار لما قدموا هذه الديار خرج من له قوة الفرار فارا من الشرور كما فعلوا في قضية تيمور ومن جملتهم تاجر بالصالحيه كان في عيشة رخيه وله أموال وافرة وغيبه فجمع ماله من صامت المال ووضعه في قدرة فوال ثم عمد الى بركة ماء فحفرها ووضع تلك القدرة تحتها وطمرها ثم رد الماء اليها وأعاد مياهها الى مجاريها وحين استتب الوثوب وقدمت الدواب للركوب قالت له

امرأته

امرأته قد دفنتا القرطين وأخاف أن يحدث علينا في الطريق شين فانظر لهما مكانا وحصل لنا بذلك أمانا فقال أما الآن فلا مكان ثم أخذهما ووضعهما في سقف سقيفة على خشبة لطيفة ثم ركبا وتركا الديار وذهبا فلما حل بدمشق التتار نزل منهم فرقة في تلك الدار فجعلوا يأكلون ويشربون وهم في خوضهم يلعبون فبيناهم بعض الأيام في النشاط قرض الفأر أحد تلك الأقراط فتدحرجت لؤلؤة وسقطت على البلاط فتبادرت الجماعة اليها جاريه كأنهم يتسابقون الى قرطي ماريه فسبقت الجماعة ودخلت البلاعة فكشفوا عن وجه الارض سطر خدرها فوجدوا الاموال كما هي في قدرها فأخذوها واللؤلؤة وأخرجوها وقصدوا باقي القرطين واقتسموها وجماعة تيمور ايضا كذا كانت وكل معضلة من القضايا اذا وصلت اليهم هانت وكل منهم كان على دين مليكه وفي فنه الى غايته مرج فان كنت محدثا عن أحوالهم وأخبارهم فحدث عن البحر ولا حرج

﴿فصل﴾ يحكى أن واحدا منهم من أهل الذكاء والكيد أراد في فصل الشتاء التنزه فقصد الصيد فأخرج مركوبه وهو بقره فشد عليها سرجه وهو خشبة مكسره غرزه قضيب مدور وحزامه حبل مبتر وتجمل بلباسه وهو جلد فروة منفوش وبتاجه وهو طرطور من لبد منفوش وشد كنانته وهي جلود ممزقه مشدودة بحبل وعليها خروق ملزقه سهامها فقدا التوت وحنيتها قد استوت ومعه بازي قد نتف القرناص ريشه وقلع عن حقل بدنه زرع خوافيه وحشيشه ثم ركب جواده وحمل بازيه وقصد اصطياده فرأى جماعة من البط على ساحل غدير حط فرفع يده بالبازي ساعه حتى عاين تلك الجماعه ثم وضع يده بخفض وأرسل البازي على الأرض فصار يحجل رويدا قد أضمر للبط كيدا اذ لم يكن له قوة الطيران ولا جناح عليه يستعان فوصل الى الطير بسكون وهي آمن ما يكون لانها لا تتوقع البلاء الا من جهة السماء فدخل بينها فما نفرت منه ولا هربت عنه فلم تشعر الا وقد وثب على واحدة وقلزها فأدركه صاحبه وأخذها ولما رحلوا عن دمشق وقد مشقوا أوراق نعمها من أغصان وجودها الى مشق وكان مع بعضهم بقرة نهبها وحملها ما أخذه من الاموال التي سلبها وأركبها أسيره وسار بها مدة يسيره فبعد سيرها يومين أو ثلاثة فلقت ونادت بلسان حالها انها لهذا خلقت فلما لم تجد

عطلها ما شئت توكلت على الله وبركت فأنزلوا الراكبة عنها وساموا عليها فلم تقم
فحلوا أحمالها وضربوها فلم تتحرك فأوسعوها ضربا وأشبعوها عناء وسبا وتلك
المباركة باركة فأدموها وهم يضربونها الى أن كادوا يهلكونها فمن شاحط بمقدمها
ومن جاذب بمؤخرها ومن متعلق بقرنها ومن متشبث بأذنها وهي جاثمة مثل جبل
أبرهة فعجزوا عنها وأيسوا منها فبينما هم على ذلك وقد ضاقت عليهم المسالك
وإذا هم بشيخ كوسج كأنه شجرة عوسج قد سلك المشارق والمغارب ومرت به أنواع
التجارب وقاسى برد الأمور وحرها وذاق حلوها ومرها وعرف خيرها وشرها
مر بهم وهم في كربهم فلما رآهم أسارى عاجزين حيارى سكارى وما هم
بسكارى قال تنحوا عنها أي جهة ثم دنا منها دنو الراقي من ذي جنة وأخذ كفا من
تراب أنعم من عيش الشباب ثم قبض على قرنها وصبه في أذنها ثم هز رأسها الى
مناخرها حتى وصل التراب الى دماغها فوثبت قائمة وهي من ذلك الرغام راغمة
وجعلت تنفض رأسها وزادت اضطرابها وشماسها وغلبت السير وكادت تطير
فأعادوا عليها أحمالها وزادوا أثقالها فصارت تلك البلهاء تعدو ولا يقدر عليها
﴿فصــل﴾ وكان في عسكره من الترك عبدة الأصنام وعباد النار من المجوس
الأعجام وكهنة وسحرة وظلمة وكفرة فالمشركون يحملون أصنامهم والكهان
ينتجعون كلامهم ويأكلون الميتة والدم المسفوح ولا يفرقون بين مخنوق
ومذبوح وناس حزاؤن وزواجر حراصون ينظرون في ألواح الضان ويحكون
عما يرون فيها على أحوال كل مكان وما حدث في كل بقعة من الأقاليم السبعة
من الأمان والخوف والعدل والحيف والرخص والغلاء والسقم والشفاء
وسائر ما يكون فلا يكادون يخطئون ولهم أيام وشهور وأعوام كل عام منسوب
الى حيوان يحسبون بها ما مضى من السنين فلا يتأتى فيها زيادة ولا نقصان وفي
الخطائيين خط يسمى دالبرجين رأيت حروفه اعدادا أربعين وسبب زيادته أنهم
يعدون التفاخيم والامالات حروفا وكذلك البين بينات فتتولد الزوائد وكل
حرف زائد وأما الجغتاي فلهم قلم يسمى أويغور وهو بالقلم المغولي مشهور وعدته
أربعة عشر حرفا وسبب نقصانه وانحصاره في هذا العدد أن حروف الحلق يكتبونها
على هيئة واحدة وكذلك تلفظهم بها ومثل هذا الحروف المتقاربة في المخرج مثل الباء

والفاء

والفاء ومثل الزاء والسين والصاد ومثل التاء والدال والطاء وبهذا الخط يكتبون
تواقيعهم ومراسيمهم ومناشيرهم ومكاتيبهم ودفاترهم وخاتيمهم وتواريخهم
وأشعارهم وقصصهم وأخبارهم ومجلاتهم وأسفارهم وجميع ما يتعلق بالامور
الدنيويه والتورة الجنكيزخانيه والماهر في هذا الخط لا يبور بينهم لانه مفتاح
الرزق عندهم

﴿فصل﴾ وكما كان فيهم من جبل على الفظاظه والقسوة والغلاظه ومن هو
قليل الرحمة بل وعديم الاسلام كفرة فجرة أوغاد انذال طغام أغتام قد اتخذوا من
دون الله هاديا ونصيرا واستكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا استحرهم
كفرهم وجهلهم اياه الى أنه لو ادعى النبوة أو الالهية لصدقوه في دعواه كل منهم
يتقرب الى الله تعالى بره ينذر له اذا وقع في شدة ويفي بنذره واستمر على اعتقاده
الباطل وكفره مدة حياته وبعد موته ينقل النذور ويقرب القربان الى قبره وكان
ترقى معه في المصاحبه حتى وصل الى مقام المراقبه قيل انه كان في السفر فرأى
واحدا من العسكر كان السكرى عطف رقبته أو السرى أمال شقته أو على حال
لا يتوجه عليه فيه لوم ولا عتب فضلا عن ان يترتب عليه ضرب أو سب فقال تيمور
ترى ما ثم أحد قاطع يقطع رأس هذا الفاعل الصانع ولم يزد على هذا الكلام
فسمعه واحد من اولئك الكفرة اللئام اسمه دولة تيمور وهو أمير كبير مشهور قد
البسه الله ثوب النقمه ولم يشمه شيأ من روايح الرحمه ففي الحال سل رأسه من بين
كتفيه وحمله الى تيمور ووضعه بين يديه فقال تيمور ويلك ما هذا الامر الاعظم
فقال هذا الرأس الذي امرت أن يقطع فاعجبته هذه العبارة وابتهج بأن أمره
يمتثل بأدنى اشاره وكان فيهم الظرفاء والادباء والاذكياء والشعراء ومنهم في
الفضل أعلام وعلماء وفيهم المحقق والباحث في العلوم والمدقق ومن شارك في
كل العلوم وبحث فيها بحثا شافيا من طريقي المنطوق والمفهوم ويقرر مذهب
الصوفية واحياء العلوم ومع هذا بعضهم يمضي على مقتضى ما علمه وكان من الذين
آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمه وبعضهم كان مع رقة الحاشيه واللطافة
الفاشيه والعلم الوافي والظرف الشافي والجمال الفائق والكمال الشائق
والكلام الرائق قلبه أقسى من الحجر وفعله أنكى من ضرب الصارم الذكر

يقولون من قول خير البريه ويمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميه واذا وقع مسلم فى مخاليبهم أو ابتلى غريب بتعديهم صنف ذلك العالم المحقق والحبر المدقق فى استخراج المال أنواع العذاب وأصناف العقاب واستحضر فى فنون تعذيبه كتبا ورسائل وسرد فى علوم تعذيبه خطبا ورسائل فيصير ذلك المسكين يتشكى ويستغيث ويتلوى ويستجير بالله وآياته ويستشفع بكل ما فى أرضه وسمواته من ملك ونبي وصديق وولى وذلك الفج يضحك ويتظارف ويتمايل ويتلاطف وينشد لطائف الاشعار ويتمثل بطرائف النوادر والاخبار وربما تحرق وبكى وتأوه لما يفعل بذلك من التعذيب والتشكى وصار كبعض قضاة الاسلام المتولى على مال الايتام يخطب ويبكى وفعله فى قلوب المسلمين ينكى ولما كانوا فى دمشق دخلوا الى بيت واحد من الاعيان برقاق الجم راذاه وعلوه من النفائس والطرائف والنعم شعر

قصر عليه تحية وسلام * خلعت عليه جمالها الايام

فقبضوا على صاحب ذلك المنزل وربطوه وبانواع العذاب والعقاب عذبوه ثم أحكموا رجليه شدا وعلقوه واستخرجوا النفائس واستجلوا من حسانهم العرائس وأحضروا لذيذات المطاعم والمشارب وقضوا من التفكه والتنعم ما لهم من مآرب وجعلوا يأكلون ويشربون ويلهون ويطربون واذا تحرك فى واحد منهم الخبث أوغل وأخذه فى سكره العبث عمد الى ذلك المسكين وهو فى شدة النكاد فسقاه الماء والملح وسففه الكلس والرماد وكان فيهم عالم متقشف عن تناول المسكرات متعفف كما قيل

عجبت من شيخى ومن زهده * وذكره النار وأهوالها
يكره أن يشرب فى فضة * ويسرق الفضة ان نالها

وكانوا اذا رأوا القدح المزعفر أحضروا له السكر المكرر ووضعوه له فى صينى الطوافق وصبوا عليه الماء الرائق فيسكرون هم بالاقداح القوادح ويسكر ذلك الفاسق المحروم من الروائح ثم يتوجه الى صاحب المنزل ويضحك عليه وهو فى اشد ما يكون من العذاب ويسخر منه ويهزل ثم يتمايل على صوت المثانى والمثالث ويتناول من تلك المآكل والمشارب ويقول بشر مال البخيل بحادث أو وارث وكان

في عسكره كثير من النساء يلجن معامع الهيجاء ووقائع البأساء ويقابلن الرجال
ويقاتلن أشد القتال ويصنعن أبلغ ما يصنع الفحول من الرجال في النزال من طعن
بالرمح وضرب بالسيف ورشق بالنبال واذا كانت احداهن حاملا وأخذها وهم
سائرون الطلق تنحت عن الطريق واعتزلت الخلائق ونزلت عن دابتها ووضعت
حملها ولفته وركبت دابتها وأخذته ولحقت أهلها وكان في عسكره ناس ولدوا في
السفر وبلغوا وتزوجوا وجاءهم أولاد ولم يسكنوا الحضر وكان في عسكره ناس
صلحاء عباد ورهبون زهاد أجواد أمجاد لهم في الخيرات أوراد وفي وردها أصدار
وايراد دأبهم خلاص مأسور أو جبر مكسور أو اطفاء حريق أو انقاذ غريق
أو اصطناع معروف أو اغاثة ملهوف مهما أمكنهم ووصلت اليه يدهم اما بقوة
وأيد واما بنوع خديعة وكيد واما باستيهاب واستشفاع أو تعويض وابتياع
وكانوا سائرين معه بالاضطرار وداثرين معه هذه المعاني بالاختيار حكى لي مولانا
جمال الدين أحمد الخوارزمي أحد القراء المشهورين المجودين وكان امام محمد
سلطان في حياته وامام مدرسته بعد وفاته ثم خطيب بروسه وبها أدركته المنيه
سنة احدى وثلاثين وثمانمائه رحمه الله تعالى قال كنت في سمرقند في مدرسة محمد
سلطان أعلم مماليكه وأولاد الامراء القرآن فأرسل الي جده الظلوم وهو
متوجه الى بلاد الروم ان توجه اليه ويفد هو والامير سيف الدين عليه فامتثل
ما به أمر وأخذ في اعداد أهبة السفر وقال لي هي مرافقتك واقطع علائقك
وخذ أهبة سفرك واعمل مصلحة رحلك ونقلك ووافقنا في المرافقه فان من حسن
المرافقة الموافقه فاستعفيته من الذهاب وفتحت له في سد خوخة السفر كل باب
فقلت له يا مولاي أنا رجل من أهل القرآن والفاقه مالي بفتح باب السفر من طاقه
لاني ضعيف البنيان رخو الاركان لا جلد لي على الحركة وان كان في صحبة
مولانا الامير كل خير وبركه خصوصا في هذا السفر البعيد الشقه الكثير المشقه
ومع كوني ليس لي على ذلك من طاقه لا جمل لي في مناخ السفر ولا ناقه وأما انتم
فالسفر عليكم حتم لازم وحق ملازم لا يسعكم فيه التخلف ولا يفسح لكم فيه المطل
والتسوف فلم يعفني وتعلل لي بعلل علائي فيها ولم يشفني فلم أر بدا من الاستعداد
وتحصيل الرفيق والزاد ثم سرنا حتى وافينا جده وقد ركب في الجادة حده وجده

ورأينا من تلك العساكر جهارا لا أول لها ولا آخر ان انفرط أحد من سلك جماعته وضل معتزلا عن سنن سنته لا يصل اليهم بالسرج والشمع ويهتدي الى سنة جماعته الا ان كان يوم الجمع فبينما أنا معهم أسير وقد وهن مني العظم الكسير وأثرني التعب وأخذني النصب والوصب وملت السرى وهدمت الكرى نفضت يدي من الرفيق وأخذت على جهة من الطريق فلما أن خلوت هيمت بالقرآن العظيم وتلوت ثم استهواني الذوق والشوق فاقت بي أشواق ساقي الى فوق وكان صوته اطيب من رقيق المقطوع على رخيم الموصول وألذ من جسم شمول على كاس شمول بنسيم الشمال معلول وبرضاب الحبيب مشمول قال واذا بي بارين شيخين كالعود البالي نحيفين اشعثين اصفرين ذوي طمرين اشبرين يصرخان من حذب وعلقاني علوق الوتد بالطنب فهالني اقبالهما أهوالي واستقبلاني أقوالي فلما زمت زمزمتي وسكنت همتي وكفت في خزانة صدري جواهر كلماتي وشدت بطابع دهائي زواهر آياتي بكيا انا بكاء بمقاتي وأمنا على دعواتي ثم أقبلا اقصوى وسلما واهتزا لما سمعاه من تلاوتي وترتيلها وقالا أحسن الله قبالك كما أحييت قلوبنا ومحوت بما سطرت في ألواح صدورنا بحسن تلاوتك ذنوبنا ثم انهما آنساني بالخطاب وجارياني بالسؤال والجواب واذا هما من صميم الحفاظ وخالص عسكر تيمور ومن ضيفي النتار وسنخ الفتن والشرور ثم سألاني عن قراري وجاري ومن رفيقي في هذا السفر وجاري فأخبرتهما عن مولدي ومحتدي ومسقط رأسي من بلدي واني من أهل القرآن واني مع محمد سلطان فقالا لي يا سيدنا الشيخ اغاجئنا اليك لتحسن الينا وانما الملوك من شيء فلا تقصد فيه علينا فقلت قولا وطولا فلن تجدا مني ملولا فقالا يا مولانا هذا شيء يعنينا وان كان قد عنانا وكل من اشتغل بما لا يعنيه فقد ترك ما يعنيه ووقع فيما يعنيه شعر

ومن لم يعرف الخير * من الشر يقع فيه

فبالله يا سيدنا قل من أين تأكل فقلت على خوان محمد سلطان فقال ما أكول هذا العسكر حلال أم حرام ووبال فقلت الغالب عليه الحرام بل كله والله مظالم وآثام لانه من الثارات والنهب والغارات والغصب والاختلاسات والسلب فقالا والله يا امام لقد أسأنا الأدب اذ رامحناك بهذا الكلام ولكن انتم أهل

العلم شيمتكم العفو عن الجاني والحلم وأنتم أولى بجبر الكسير وفك الاسير وتيسير
الامر العسير فقابل منا هذا النقص بالصفح ولا تعامل هذا الاخلاق باللوم
فقلت سلا ولا تسلسلا فقال نسألك بالله الذي اصطفاك لحزن كلامه الذي تعبد
به عباده وبين لهم فيه معالم حلاله وحرامه لا تؤاخذنا بما تجمعنا عليك به فان
الشيخ الرشيد كالوالد الشفوق لا يؤاخذ ولده بقلة أدبه فقلت كلا سلاما شئتما
وسلاما هو ما أردتما فقال يا سيدنا أما كان لك مندوحة عن مرافقة هؤلاء اللئام
والتعفف بالحلال استغناء عن الحرام فقلت انى دخلت فيهم وانا مضطر وخرجت
معهم وأنا كاره مجبر واكرهني محمد سلطان وحاباني بما حباني من الاحسان
فصحبتهم وعيني ذاتي من تحمل الراحة مرها وحملتني فرسي في سفري كرها ووضعتني
كرها فقال أرأيتك لو امتنعت عن الخروج أ كانوا يريقون دمك ويأسرون
أولادك ويسبون حرمك فقلت لا والله وحاشا الله فقالا أ كانوا يحبسونك
ويضربونك وفي مقام المصادرة يجلسونك فقلت أنا أمنع جنابا من أن يسوموني
خسفا وعذابا لاني حافظ القرآن والقرآن حافظي من هذا الخسران قالا فغاية
فعلهم معك اذا راوا تعززك وتمنعك أنهم كانوا يشقونك ويعمدون الى معلومك
فيقطعونك ويسخطون عليك ويمنعون برهم الواصل اليك قلت ولا كانوا
أيضا يفعلون كذا وتعززي وتمنعي ما حط من مكاني عندهم الى هذا الاذى ولكنهم
جاؤوني فاستحييت وخادعوني فانخدعت وليتني أبيت فقالا لا يصلح هذا لك عذرا
ولا يسلك بك الى صحة الاعتذار بين يدي الله تعالى سواء المحجة فهلا جلست
في مكانك واشتغلت بتلاوة قرآنك ومطالعة علمك ومباحثة اخوانك وفرغت
بدنك من الكلال وملأت بطنك من الحلال واحتميت في حمى دينك من هؤلاء
اللئام واسترحت من الاضطرار الى تناول الحرام مع انا سمعنا من أمثالكم ما قد
ضرب في أمثالكم أهل القرآن وخاصته أهل الله وخاصته وأنهم صفوته بين
خلقه وبركاتهم أدر سحاب رزقه وان السلاطين ملوك الناس أجمعين وانكم انتم
ملوك الملوك والسلاطين واذا أعتقكم الله وأعفاكم الناس وصرتم لانسان
العالم بمنزلة القلب والكبد والراس ولم يبق لاحد عليكم سلطة ثم القيتم أنتم
أنفسكم بايديكم الى هذه الورطة وتهافتم على التهالك تهافت الفراش على النار

وتشبثتم مع كونكم قادرين على الخلاص باذيال الضر والاضطرار فكيف يصح
هذا الاعتذار واى يجديكم هذا العذر من عذاب الملك الجبار وهل مثلكم الا كما قيل

معاشر القراء يا ملح البلد * ما يصلح الملح اذا الملح فسد

فقالت اما اذا امرتنا القضيه فكانا فى هذه المصيبة سويه * مصراع

(بى مثل ما بك يا حمامة فاندبى)

وقيل   بى مثل ما بك يا حمام البان * أنا بالقدود وانت بالاغصان

فبكيا انتحابا وتأوها التهابا وتنفسا الصعدا وقالا اين ما بين قصتنا وقصتك
فى المدى فورب الخافقين ان بين القصتين لبعد المشرقين ولكن ما للمقال مجال
وما كل ما يعلم يقال واين السر من الاعلان وان الحيطان لها آذان فقالت هذا
ليس بحجة فلا تعدلا عن سواء المحجة فقالا نحن المضطرون جبرا المأخوذون
قهرا وقسرا وانما كتبنا فى الديوان مضافون الى واحد من أعيان الاعوان
اذا ورد علينا مرسوم بالبروز فى يوم عيد مثلا أو نوروز ويكون الخروج وقت
الظهر وتأخر منا واحد الى وقت العصر لم يكن له جزاء فيما ارتكبه الا الصلب
أو ضرب الرقبه فضلا عن ضرب وشتم وشناعه او رفع عمل أو تقديم شفاعه وأين
أنت من قعودنا او تخلف أو استتار بذيل توار أو توقف فنحن مدى الدهر لاجل هذا
مستوفزون وعن مثل ما جرى على أضرابنا من هذا البلاء متحرزون مجتهدون
أبدا لما اشار وما أمر عاملون بمقتضى رحم الله من رأى العبرة فى غيره فاعتبر
وياليتنا أمكننا التحويل عن مملكته والرحيل عن أقاليم ولايته وسلطنته وكيف
لنا بذلك وهى مسقط راسنا ومحل أناسنا ومحط ايناسنا ومألف رحالنا
ومن درجات معيشتنا ومدرج آبائنا ومخرج أبنائنا ومقام قبائلنا وعشائرنا ومثابة
قاطنينا ومقابرنا ولو غاب من هوام قبائلنا احد بعد الخلاص بليل أو نهار لجلب
الباقين سبيل الظلم والحيف واضحى من رقاب سائرنا مثل الموت بالسيف وأما اذا
برزنا وعزمنا على السير معه وتجهزنا فنسأل كم منه نقيب واى سوقى يدلك
البريد الدرب فنأخذ أهبتنا لذلك المقدار وكل منا ابن عم الآخر وجار وله جراب
فيه سويقه ومعه كلفة نفسه وفرسه وعليقه يصوم مدى الدهر ويفطر على ما يسد

الرمق ويلبس ما يستر العورة من رث الثياب والخلق كل ذلك من زرع أيدينا وكدنا
وما نبذله فيه من عرق جبيننا والحلال غاية جهدنا لا نتعرض لمال أحد ولا لعرضه
ولا نقف في طريق إبرامه ولا نقضه ولا لأحد عندنا نشب ولا بيننا وبين أحد علاقة
ولا سبب ولكن يا مولانا البلاء الطام والمصاب العام رفعا رؤسهما يمينا وشمالا
وارتعدت فرائصهما هيبة وجلالا وابيضت شفاههما واسودت جباههما وأخذا
في البكاء والعويل والنحيب والانتحاب العريض الطويل فوالله لقد ذابت نفسي
لديهما واستصغرت كبار المشايخ بالنسبة إليهما وتفكرت فيما دهاهما من شدة الأمر
وعلت أناتهما الفائضتان بفيهما على الجمر ثم تأوهت آها بعد آه وقلت بالله
يا أخواناه وما هذا البلاء الطام والمصاب العام الذي ذكرتماه فقالا أخوانا
ومواشينا وحوامل مهادنا وغواشينا نرفق بها في التحميل وما نركبها إلا وقت
الإعياء في الرحيل وأمر قصمها قصم ظهورنا وأعجز أمورنا واضطرنا إلى الخوض
في دماء المسلمين وأموالهم والجأنا إلى رعي زرعهم وتحمل وبالهم وما ندري كيف
الخلاص وأنى نجوا من ذا القفص فبالله يا سيدنا الشيخ هل تجد لنا في هذا الأمر
العالي رخصة أو هل من قطرة برد تطفي حدة الحرارة وتسكن شوق هذه الغصة
فقلت لا والله إلا عناية الله وأيم الله لقد أشبعتماني شرا وجرعتماني صبرا وقهرا
وأوسعتماني تكدارا وكان همومي ما بي من نصبي وعذابي يكفيني اليوم
تكفيني فقد زدتماني بلاء على بلائي وعناء على عنائي وبالله من أنتما وما اسمكما
وفي أي قطر أرضكما ومعاؤكما ومع من أنتما فبيتما ما حييتما تخبراني ولا تجبراني
لابحي في كل وقت البكا وأفوز بالسلام عليكما فقالا يا مولانا الحمد لله الذي برؤيتك
حيانا أن معرفتنا لا تجديك شيأ ولا تبرك وعدم المعرفة بنا لا يؤذيك ولا يضرك
والغالب على ظننا يا مولانا أنك بعد اليوم لن ترانا وإن قدر اجتماع فهو نعي
على رؤسنا إليك وخليفتنا الله والسلام عليك ثم ودعاني وفارقا وأودعاني ألم
الفراق وانصرفا هذا من البحر قطره ومن الطود دره ونسأل الله سبحانه وتعالى
أن يصون عن الزلل أقوالنا وعن الخطل والخلل أفعالنا وأحوالنا وحسبنا الله ونعم
الوكيل

﴿خاتمة الكتاب﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله الذي أدب عبده أحمد فأحسن تأديبه وخصه اذ رباه وأنشأه
عربيا بكل بديعة وغريبه وأظهر له في بيان بديع المعاني منهج كل فن وأسلوبه
فأعجب أهل زمانه اذ أعجزهم بما أتاهم به من كل أعجوبه أحمده حمدا
تفتقت في رياض آلائه أنوار فصاحته وأشكره شكرا تفتقت في رياض نعمائه
أزهار بلاغته وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تطابق خبرها
الواقع والاعتقاد وأسندت الى حقيقة الصدق فصارت حقيقة الاسناد
فتنطق الايمان بأقوالها وتعلق الاسلام بأفعالها وأشهد أن سيدنا محمدا
عبده ورسوله الذي أنشأ أخباره بقصره على التوحيد وقصر فصل رسالته على وصل
الاخلاص بالتمهيد صلى الله عليه صلاة باقية بقاء اعجازه موصولة بطنب الاطناب
وصل فصيح الكلام بايجازه وعلى آله وأصحابه شموس سماء الفصاحة وبدور
أفلاك البلاغة وسلم تسليما كثيرا أما بعد فيقول العبد المفتقر الى مولاه المعترف
بتقصيره وخطاياه المغترف من بحار كرمه وعطاياه الراجي لحدائق المغفرة
المثمرة اجتناء أحمد بن محمد بن عبد الله الحنفي مذهبا الحمصي لقبا الانصاري نسبا
الدمشقي مولدا السني معتقدا عامله الله بما كان أهله وحفظ عليه دينه وعقله
لما كانت الدنيا دار انقلاب ومحل تغير واضطراب قصدت على الاخرى
لا اكتساب اما الجنة بنيل الثواب واما العقوبة بنيل العقاب وكان سبيلها سريع
الاستفناث واذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث اردت ان يخلد لي ذكر
يجول في خواطر الآخرين فكر أهل رحمة تبقى أبد ما الحياة فني فنادى
لسان الحال لا خيل عندك تهديها ولا مال وأما الاولاد فليست حالهم كما في ثمره
ووازن في سياق نفعه وضره فلم يبق الا علم ينتفع أو افادة ترفع وقد صنف العلماء
في كل فن من العلوم ما بلغوا فيه الغاية وتدربوا في تقريره وتحريره من البداية
الى النهاية وميزوا معانيه متونا وشروحا وبينوا الفاظه ومبانيه دروسها ممن
دروس العلوم قد درست وحدائق رياضها ذبلت ويبست وصار الكلام فيها

والمقرر

والمستوى فى تحقيقها وتدقيقها اليها ولم يبق لطالب العلم به انتفاع الا انه اذا احتاج الى القوت عرض كتبه للتباع غير أن بعض كبراء العصر ورؤساء الدهر وبقايا الاكياس متشوفون لتواريخ الناس ومتطلعون لمعرفة أحوال من ساس من ذنب وراس ويتشرفون لسالف الاخبار كيف كان أمر الناس وسار ولم يكن فيما مضى من هذه الامة وانقضى من متغلبيها وبغاتها ومتمرديها وطغاتها مسلمها وكافرها مقسطها وباغيها هاتيها ومواتيها مصادقها ومعاديها صالحها وطالحها سانحها وبارحها غابرها ودارجها عابرها وخارجها مثل تيمور الاعرج ولا أعجب منه فى العتو ولا أخرج سيره كلها عبر وكل عبرة منها فيها اسير أموره أظهر من أن تخفى وما أضرمه من فتائل الفتن شرقا وغربا أعظم من أن يطفا فقصدت ماذكرته وذكرت ماقصدته وتوخيت الافادة والاعتبار لا التفاخر والاشتهار فاعترضتنى نوائب الخطوب وكشرت دون مرامى أنياب القطوب وجبهتنى يد الردع وصدمتنى قارعة المنع بأن أكبر الكبائر فى هذا الدهر الداثر أدب أديب أو فضل أريب أو علم عالم لاسيما غريب لقد كره الاديب والفقيه كراهية التحريم الا التنزيه وقد تقرر هذا فى الاذهان ورسخ ولهم الذنب اذ بداهم أوكتاوفوهم نفخ ثم ذكرتنى شانى وخاطبتنى بلسانى شعر

أتصرف غض العمر فى طلب العلى * فتظمى أكبادا وتسهر أعينا
تقاسى صروف الدهر فقرا وغربة * وبعدا عن الاوطان للقلب موهنا
وعيلة أطفال ضعاف كأنهم * جوازل زغب أنهكتها يد الضنا
فى مثل تلك الحال ما كنت ضائعا * وكنت بنفس فقرها واسع الغنى
الى ان حباك الله فضلا ورفعة * وحزت فنونا من علوم محاسنا
فصرت عزيزا فى البرايا مكرما * وطار الى الآفاق من صيتك الثنا
وقد سل فوق الرأس سيف مشيبه * وهل بعدها غير معترك المنا
أتخشى ضياعا بعد ذاك وعيلة * فترهب من فقر وترغب فى الدنا
فتبذل وجها طالما صنت ماءه * لك الله لاتفعل وكن متمكنا
وهل فى الورى من يرتجى لملمة * وان قيل من للمكرمات يقل أنا
فصن من جميع الخلق نفسك واتكل * على الله مولى لم يزل بك محسنا

فيتم ذو فضل بصدر منشرح سقط منك واستريح فتضاعفت الحال تشتيتا وزاد التكبد تفتيتا وارتبكت في عزمين واشتبكت بين همين بين ان اسكت فاضيع او ان اقول فلا يسمع فقدمت رجلا واخرت اخرى واستنهضت جواد فكري كرا وفرا فقوى الى صدق النية فيما هممت وخلوص الطوية على ما عزمت وجمعت من بال متفرق والفت من فكر متمزق من قضايا تيمور الطويلة العريضة نبذه وجذبت بكف الافكار من قوس حكاياته جمله ثلث في بيانها من بدايع المعاني العجيبه وسلكت وقد صرفت نحو مشرق النطق سنان الكلام مقضيه وشحذت غربه فجاءت بحمد الله تعالى طريفة المعاني كاملة الطريقة المباني فاضلتها فات في مرآة الادب

بالفاظ الفاظ تشير الى النهى * تعلم فن السحر كيف يكون

حوت دقة الجزل ورقته ورياقة الهزل ورقته ولطافة الادباء وظرافة الشعراء وفصاحة العلماء وبلاغة الفصحاء وحقائق الحكماء ودقائق العلماء مع الامثال العالقه والاستشهادات الانقه والاستطرادات الرائقه والتشبيهات الغريبه والاستعارات العجيبه ونوافث السحرة من علماء البيان ونوادر الهورة من ارباب الديوان وفرحت جليل الهمس فيها رقيق الغزل ونسجت جديد الجد بدقيق الهزل وطرزت طرائف ذلك كله باعلام الآيات الشريفه ونقوش الاحاديث الكريمة المنيفه أصبت بكل ذلك عز الفهد وطبقت بحسامه مفصل القرب فات في مرآة الادب

كان الذي قد كان مني تاعبا * فرض لي أذنيه ما أنفقا

فذاق لهذا الشهد صدق حلاوة * ففتح عينيه وربما تلفظا

فمن اراد التنزه في انوار بلاغتها تعلمت عليه بدوام تكرارها ومن قصد التمسك في رياض الانشاء فليقتطف من جنى ازهارها ومن سلك طرائق الادب فليجن من حدائقها ثمار اثمارها ومن رام التسلق الى ذروة العلوم فليتشبث باذيال استعاراتها ومن طلب الاعتبار بتقلبات الزمان فليتأمل حقائق اخبارها ومن اعتنى بسياسة الافعال فليتدبر دقائق اسرارها مع اني لم ارق احدا هنا في التهذيب ولم تدل استحقاقها في حسن الترتيب والتشذيب لان الكلام كالدر المنتظم والدر المنتظم لا بد ان

يتعانق

يتعانق لفظه ومعناه أولا وآخرا ويتطابق عبارته وفحواه باطنا وظاهرا والا اختل نظمه واعتل فهمه وانحطت منزلته وسقطت من سلم الفصاحة درجته وهذا يحتاج الى بحر ذهن صاف ومعدن علم بكفالة ما يتم به عقود جواهره واف وذوق أحلى من العسل وفكر أمضى من الأسل ويحتاج كما قيل الى حاضر من التوفيق ومعاون صالح من النية فان غروب الأسنة رجعا وزت الى ما ينشب على القائين الجنة ومن لى بذلك وأنى يتيسر لى سلوك هذه المسالك وكنت طالما أفوق سهم النظر في بيداء التأمل نحو قنص معنى دقيق وأصوب غواص الفكر في دأماء التدبر الى جوهر قصد رفيق حتى اذا قلت فاز القناص وحاز الغواص واذا بقاطع الشواغل قطع بترس الشواغل والحوادث على سهم خاطرى الطريق وتمساح الهموم التهم غواص فكرى فاذا هو في بحر الغموم غريق فتسد في وجه قصدى المسالك وأصير من نهار أزهر الى ليل حالك قلت

وأنى أنتقي للنظم درا * ولم تظفر يدى منه بودعه

لكن لما كان الشروع ملزما واتمام ما شرعت فيه محتما لم أر بدا من اتمام ما أسديته واصلاح ما غيّته فصرت في وعوره أقع وأقوم وفي بحوره أغطس وأعوم ان راق راكد الخاطر أوحى الفكر الفاتر فتذكرت من الكلام أوائله وألحقت بكل منه ما شاكله واذا أزعجه من الزمان الجفا تكدر منه ما صفا وتبلدت الافكار وتولدت الأخطار وتساوى عند بصر البصيرة الليل والنهار قلت

أكل كل سطر بعد شهر * وأنى كل بيت بعد عام

فلا أضع المحمول الا وقد حمل الموضوع * ولا أذكر الخبر الا وقد نسى المبتدا

(قلت مضمنا شعرا)

والفكر كالبحر يبدى لى جواهره * مع الصفاء ويخفيها مع الكدر

ويحرم القاصد ويخلط رأس المال والفائده فقل لى أنى ينتظم قال وقد انفرط نظام الحال هذا وان الكلام له مقامات ولكل من الفصاحة والبلاغة درجات (قلت قد عبا مترجما)

ماستوى في موقف افصاح منطيق ولو * قد حبا سحبان وأضحى الأعجمي

فافتكر فيما ترى في منزل أعني الورى * هل ترى تبت تحاذى قبل بالأرض اباهي

وأين من يوفي المقامات حقها ويعطي كل مستحق منها مستحقها ولهذا سلكت في هذا الكتاب مسلك أبناء العصر وطريقة أولاد الدهر فان الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم ولو اتخذت فيه أخذ العرب العرباء وألبسته في ألفاظه ومعانيه ثوب الاستعصاء والآباء فأبرزت ما قصدته من المعاني الجزلة العجيبه في قوالب ألفاظ غريبه لما التفت أحد اليه ولا عوّل لقصور الهمم والافهام عليه وربما كانت المجازات المشهوره خيرا من الحقائق المهجوره والغلط المستعمل أولى من الصواب المهمل أبرزتها في اشارات رشيقه وعبارات رقيقه وعملت في بعض المواضع بقوله رجز

عمدا كسوت شعرها ما قشرا * ولو أشاء كسوتها شعرا

﴿ولقد قيل﴾

اذا أحسست في لفظي قصورا * وخطي والبراعة والبيان

فلا ترتب لفهمي ان رقصي * على مقدار ايقاع الزمان

ثم ان بين هذا الكتاب وبين ما صنعه قبله ذوو الآداب بونا بعيدا وأمدا بعيدا بوجوه منها ان زمانهم كان بالرفاهية يساعد وأنا في عصر لا ساعد لي فيه ولا مساعد ومنها ان وقتهم كان فيه من يربي الفضل وأهله ويجعل كلا منهم محله من الملوك والاكابر وذوي الفضائل والمآثر وأرباب المناصب والمفاخر وأقل من فيهم كان يحب السماع ويميل الى الفضل والأدب بالطباع فكان الفضل فضيله والأدب خصلة جميله وأما الآن فقد انقلب بأهل الزمان فصار حامل الفضل والأدب من رهطه والمنتظم من السلك في سلكه ورهطه كأنه سارق حملته تحت ابطه ومنها ان الاوهام كانت مدركه وكانت آلات قريحة المتكلم متحركه اما الآن فقد صارت الاوهام جامده والقرائح خامده ونارها هامده ومنها ان غالب ما صنف أخبار كاذبه وسهام أغراض غير صائبه لان لا الواقع يطابقه ولا الخارج يوافقه فجر مصنفه الى ما اعتقده تخيله وتوهمه فكره فألف حسبما اراد وأسس على مقتضى اختياره ما شاد وأما هذا الكتاب فأخباره صادقه وكلماته بالصدق ناطقه اذ هي في الواقع للخارج مطابقه فأبدأ وأنشئ الا المرء أعاد على طبق ما أريد منه ووفق ما أراد وليتني في هذا وهذا كفافا من خيرها وشرها لا علي ولا لي

وأني

ولئن ساعد الزمان بترفيه الحال وخلاص سكان الهموم ربيع البال لاتبعن آثاره ولأسترن بقدر الامكان عواره ولأبذلن الجهد فى ترقيحه واصلاحه وتنقيحه والافالصفح مأمول والعذر عند خيار الناس مقبول والمسئول من صدقات ذوى الأدب البالغين فى البلاغة أعلى الرتب أن يسبلوا ذيل الاغضاء عليه وينظروا بعين الافادة والاستفادة اليه ويقيلوا العثار ويقبلوا الاعذار فيشدوا أسره ويجبروا كسره ويرقعوا اخلاله ويحققوا أمله راجين من لطف الله ما أرجوه منهم لعل الله سبحانه أن يعفو عنى وعنهم مع انا كلنا فى الهوى سوا وانما الأعمال بالنيات ولكل امرئ مانوى الحمد لله حمدا يعلا أركان الأمكنه ويعطر خياشيم الأزمنه وصلى الله على سيدنا محمد صلاة تبلغ قائلها أمنه وتحله بشفاعته فى جنة الفردوس الأعلى أسكنه وعلى آله وأصحابه الذين استمعوا القول فاتبعوا أحسنه ونستغفر الله من حصائد الألسنه وحسبنا الله تعالى ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

بعون الله الملك الغفور تم طبع الكتاب المسمى بعجائب المقدور فى أخبار تيمور ولعمرى انه أتى فى فنه بالعجب العجاب وسفر عن تفاننه بكل أعجوبة وفصل وخطاب وكان تمام طبعه الفائق وتحسين وضعه الرائق بالمطبعة العامرة العثمانيه التى محل ادارتها بمصر بحارة العراخية بخط باب الشعريه على يد مديرها ومنشيها المتوكل على الملك الخالق الفاضل الشيخ عثمان عبد الرازق وفاح مسك ختامه وبدر بدر تمامه فى أوائل شهر محرم الحرام افتتاح سنة ألف وثلاثمائة وخمس من هجرة النبى عليه الصلاة والسلام ماتليت أخبار وأذيعت أسرار وتعاقب الليل والنهار وغرد طير فى الأسحار آمين

آمين

م

فهرست كتاب عجائب المقدور في أخبار تيمور

صحيفه

صحيفه

دستكر

صحيفه

صحيفه

صحيفه

صحيفة

صحيفة

وصار

صحيفة

﴿تم الفهرست﴾